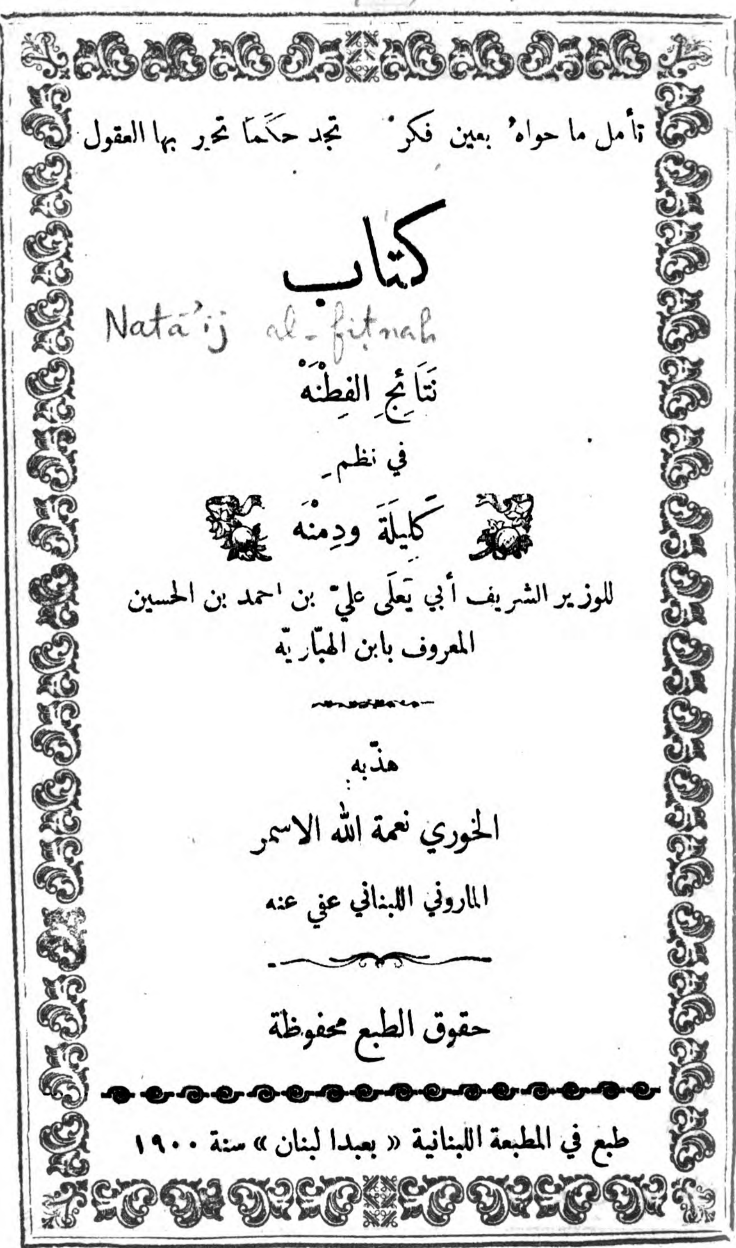
Ibn al-Habbāriyah, Abū Ya'lā



تأمل ما حواهُ بعين فكرٍ تجد حكماً تحير بها العقول

كتاب

Natā'ij al-fiṭnah

نتائجِ الفِطْنَه

في نظمِ

كَليلةَ ودِمْنَه

للوزير الشريف أبي يَعلَى عليّ بن احمد بن الحسين
المعروف بابن الهبّاريّه

هذَّبه

الخوري نعمة الله الاسمر

الماروني اللبناني عفي عنه

طبع في المطبعة اللبنانية « بعبدا لبنان » سنة ١٩٠٠



مقدمة المصحّح

بسم الله الازلي

احمدك اللهمَّ يا من هدانا الى الحقّ بعبارات صريحه • ومهّد لنا للوصول الى قمَّة الكمال طريقاً فسيحة • وضربَ لنا في كتابه لارشادنا الى الفضائل والآداب امثالاً فصيحة • هي لهداية الحائد عن المنهج القويم احسن بل انجع نصيحه •

امَّا بعد فيقول العبد الفقير الى عفو ربّه الخوري نعمة الله الاسمر الماروني اللبناني انّني لما كنت في الشهبا مديرًا شؤون مدرسة القديس انطونيوس البادوي لطائفة الأرمن الكاثوليك وُفِقت الى وجود كتاب كليلة ودمنة شعرًا من نظم الوزير الشريف ابي يعلى عليّ بن احمد بن الحسين المعروف بابن الهبّاريّة خطّته يد الكاتب الب بن عبد العزيز بن الب في شهر ذي الحجَّة الحرام سنة سبع واربعين وسبعمائة هجرية فتصفحته فاذا هو في غاية ما يكون من الاتقان ولولا النذر اليسير من اغلاط النسخ لكان آية السلامة من التحريف بين الكتب الخطيّة القديمة

وقد قابلت بينه وبين نثره فلم أجد فرقاً في حسن السبك ومتانة التركيب وانما وجدت اختلافاً في ترتيب الابواب ثمّ في خلوّ الشعر من مثل الرجل الخائف من الذئب وهو اول امثال باب الاسد والثور ومن بعض فقرات من سائر الابواب ومن باب الحمامة ومالك الحزين والثعلب وهو آخر ابواب الكتاب • ولعلّ ذلك ينسب لأمرين سهو الناسخ

عن البعض وعدم وجود البعض الآخر في ما أخذ عنه الناظم ووجدت فرقًا في باب ايلاذ و بلاذ فقد سمّاها الناظم هيلار و بيلار مع بعض اختلاف في سياق المثل ·

ولما كان لكتاب كليلة ودمنة من الشهرة ومن اقبال العموم على مطالعته ما يغني عن الاطناب في تقريظه وكان الشعر ابقى في الذاكرة واحبّ الى الحافظ من النثر فكّرت في تقديمه لابناء الوطن مصحّحًا كاملاً فاخّرني عن الاقدام عليّ بما انا عليه من قصر الباع وما يحتاج اليه هذا العمل من سعة الاطلاع وقد اعتمدت البقاء على الاحجام لما بحثت عن ترجمة الناظم وممدوحه اسعد بن موسى الذي جُعل النظم هديّة له وعن ابي الفرج الفيلسوف الذي قُدّم الكتاب بواسطته ولم أجد الاّ شيئًا قليلاً عن الناظم وحده وذلك في دائرة المعارف واظنّ انّ ما فيها مختصر من كتاب وفيّات الاعيان وانباء ابناء الزمان للقاضي ابن خلكان ·

اما الممدوح والوسيط فلم اقف لهما على ذكر في الذي لديّ من الكتب غير اني اظنّ انّ الوسيط هو ابو الفرج الارمنازي لانه من معاصري ابن الهبّاريّة

وبقيت محجمًا لا انشط من هذا العقال الى ان اكد لي الجمّ الغفير من العلماء والشعراء ان الواقفين على النظم سيغضّون الطرف عن قصوري واغفالي ترجمة اسعد بن موسى وابي الفرج لِمَا سيجدونه فيه من الفوائد فاقدمت وجلاً على تصحيح اغلاطه وحذف ما فيه من الأمثال التي يترفّع اهل العصر عن مطالعتها ونظم غيرها مأخوذًا عن النسخ النثرية المطبوعة مع نظم ما ذكرت ان الكتاب خالٍ منه واشرت الى كلّ ما نظمته بان وضعته ضمن هذه العلامة « » وابقيت ترتيب الابواب على ما في



النسخة الخطية والحقت النظم بما يكفل لقارئه تفسير الغريب من الفاظه .
فاسأل الله ان يكون مغزى امثاله مفيدًا لقارئه انه سميع مجيب

فرجاي باهل العلم انهم يسبلون ستار الصفح على ما يرونه من الغلط في التصحيح فانني لم أُرد الا الصحيح فان كنت اصبت فرمية من غير رام والاّ فان اقراري بالتقصير ضمين نيل العفو .

وقد بحثت عن وجود هذا الكتاب شعرًا فعلمت ان قد نظمه ثلثة شعرآء : الاول إبان اللاحقي (كما يظهر من مقدمة الناظم) وهو ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن جعفر مولى بني رقاش من اهل البصرة نظمه ليحيي بن خالد البرمكي اربعة عشر الف بيت في ثلاثة اشهر فاعطاه عشرة آلاف دينار وقد صدَّر كتابه بهذا البيت :

هذا كتاب ادب ومحنه وهو الذي يدعى كليله دمنه

ولم اقف على نسخة من كتابه ولا سمعت انها عند احد وما ذكرته منقول باختصار عن خلاصة الذهب المسبوك صفحة ١٤٤

الثاني ابن الهبارية .

الثالث محمد او احمد الجلال . رأيت نسخة من كتابه في مكتبة حضرة الآباء اليسوعيين في بيروت ولم اعلم لمن نظمه ولا في اي زمن كتبت هذه النسخة غير انني لمحت بعض شروح على هوامشها تخطر في البال انها تحت يد منقح وربما كان ذلك مقدمة تمثيلها للطبع .



ترجمة الناظم

مختصرة من دائرة المعارف

هو الشريف ابو يعلى محمّد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن داود بن عيسي بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس المعروف بابن الهبّاريّة الملقب نظام الدين البغدادي ٠ (١)

كان شاعرًا مجيدًا حسن المقاصد لكنّه كان خبيث اللسان كثير الوقوع في الناس لا يكاد يسلم احد من لسانه وكان ملازمًا لخدمة نظام الملك ابي عليّ الحسن بن عليّ بن اسحاق وزير السلطان الب ارسلان وولده ملك شاه وله عليه الانعام التامّ والادرار المستمرّ وكان بين نظام الملك وتاج الملك ابي الغنائم بن دارست شحناء ومنافسة فقال ابو الغنائم لابن الهبّاريّة ان هجوت نظام الملك فلك عندي كذا واجزل له الوعد فقال كيف اهجو شخصًا لا ارى في بيتي شيئًا الاّ من نعمته فقال لا بدّ من هذا فهجاه فبلغ ذلك نظام الملك فاغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد في افضاله عليه .

ولابن الهبّاريّة معانٍ غريبة ومحاسن شعره كثيرة وله كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة وديوان شعره كبير يدخل في اربعة مجلدات ومن غرائب نظمه كتاب الصادح والباغم (وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٦) نظمه على اسلوب كليلة ودمنة وسيّره على يد ولده الى الامير ابي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي ٠ وتوفي ابن الهبّارية بكرمان سنة اربع وخمسمائة

---

(١) قد اثبتُّ نسبته في صدر الكتاب والمقدمة كما وجدتها في صدر النسخة التي بيدي والله اعلم

مُقَدِّمَةُ ٱلنَّاظِمِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى مَا خَوَّلَا ... مِنْ نِعْمَةٍ جَادَ بِهَا تَطَوُّلَا

حَمْدُ مُقِرٍّ بِوُجُوبِ ٱلْحَمْدِ ... عَلَيْهِ لِلّٰهِ ٱلْقَدِيمِ ٱلْفَرْدِ

وَإِنْ تَكُنْ نُعْمَاهُ فَوْقَ حَمْدِي ... فَمَا عَلَى ٱلْعَاجِزِ غَيْرُ ٱلْجُهْدِ

فَارِجِ كُلِّ كُرْبَةٍ وَضَنْكِ ... بِصَاحِبِ ٱلْأَصْحَابِ مَجْدِ ٱلْمُلْكِ

مُشَيِّدِ ٱلدَّوْلَةِ شَمْسِ ٱلدِّينِ ... مَوْئِلِ كُلِّ بَائِسٍ مِسْكِينِ

أَلطَّاهِرِ ٱلْأَعْرَاقِ وَٱلْأَخْلَاقِ ... وَقَاسِمِ ٱلْآجَالِ وَٱلْأَرْزَاقِ

وَمَنْ عَلَا عَنِ ٱلْعَلَاءِ شَانُهُ ... وَجَلَّ عَنْ دُسُوتِهِ مَكَانُهُ

وَجَدَّدَ ٱلْإِسْلَامَ بَعْدَمَا دَثَرْ ... وَأَظْهَرَ ٱلْحَقَّ وَقَدْ كَانَ ٱسْتَتَرْ

أَلْأَفْضَلِ ٱلْمُفْضِلِ ذِي ٱلْأَيَادِي ... وَٱلْمِنَنِ ٱلرَّوَائِحِ ٱلْغَوَادِي

وَمَنْ يُجِيرُ عِنْدَ جَوْرِ ٱلدَّهْرِ ... جِيرَانَهُ مِنَ ٱلرَّدَى وَٱلْفَقْرِ

مُسْتَعْبِدُ ٱلرِّمَاحِ بِٱلْأَقْلَامِ ... وَدَامِلُ ٱلْكِلَامِ بِٱلْكَلَامِ

وَفَارِجُ ٱلْخُطُوبِ بِٱلدَّهَاءِ ... وَكَاشِفُ ٱلْكُرُوبِ وَٱللَّأْوَاءِ

وَمَنْ شَفَى ٱلدَّوْلَةَ لَمَّا أَشْفَتِ ... وَوَقَّرَ ٱلْأَحْلَامَ لَمَّا خَفَّتِ

طَبِيبُ كُلِّ عِلَّةٍ وَدَاءِ ... بِٱللُّطْفِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَٱلذَّكَاءِ

وَأَصْلَحَ ٱلْمُلْكَ وَقَدْ كَانَ فَسَدْ   فَهُوَ مَكَانَ ٱلرُّوحِ مِنْهُ فِي ٱلْجَسَدْ
وَلَيْسَ لِلْمُلْكِ مِنَ ٱلْآلَاتِ   غَيْرُ ٱبْنِ مُوسَى سَيِّدِ ٱلْكُفَاةِ
قَدْ غَنِيَ ٱلْمَلْكُ بِرَأْيِ مَجْدِهِ   عَنْ مَالِهِ وَجُنْدِهِ وَجَدِّهِ
وَعَلِمَ ٱلسُّلْطَانُ عَزَّ نَصْرُهُ   وَهُوَ حَصِيفٌ كَٱلشِّهَابِ فِكْرُهُ
أَنْ قَدْ غَدَا سَرِيرُهُ مَحْرُوسَا   بِحُسْنِ رَأْيِ أَسْعَدَ بْنِ مُوسَى (١)
وَقَالَتِ ٱلْمُلُوكُ وَٱلْخَلَائِفُ   وَكُلُّهُمْ بِمَا يَقُولُ عَارِفُ
لِلّٰهِ هَذَا ٱلْأَلْمَعِيُّ ٱلْكَاتِبُ   مِنْ كَاتِبٍ تَعْنُو لَهُ ٱلْكَتَائِبُ
عَلَيْهِ لَا شَيْءَ سِوَاهُ يُحْسَدْ   فَهُوَ بِرَأْيِهِ مَجْدِهِ يُمَجَّدْ
أَصْلَحَ إِفْسَادَ ٱلْوَرَى بِرَايِهِ   وَلُطْفِهِ فِي ٱلْكَيْدِ مِنْ ذَكَائِهِ
فَمَا يُبَالِي بَعْدَهَا ٱلسُّلْطَانُ   أَقَلَّ أَمْ قَدْ كَثُرَ ٱلْأَعْوَانُ
إِنَّ أَبَا ٱلْفَضْلِ ٱلْوَزِيرُ وَٱلْوَزَرْ   لَوْلَا عَلِيٌّ هَلَكَ ٱلْيَوْمَ عُمَرْ
وَكُنْتُ مُذْ فَارَقْتُ أَصْبَهَانَا   مُسْتَبْدِلاً مِنْ رَبْعِهَا كَرْمَانَا
وَصِرْتُ عِنْدَ سَيِّدِ ٱلْمُلُوكِ   إِيرَانَ شَاهْ مَوْئِلِ ٱلصُّعْلُوكِ
بَهَاءِ دِينِ ٱللّٰهِ سُلْطَانِ ٱلْأُمَمْ   بَحْرِ ٱلنَّدَى شَمْسِ ٱلْهُدَى مَوْلَى ٱلنِّعَمْ

(١) وفي الاصل :

انّ برأي اسعد بن موسى   غدا سرير ملكه محروسا

فِي جَنَّةٍ وَجُنَّةٍ مِنْ بِرِّهِ ... مُشْتَغِلاً بِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ
مُقَيَّدًا بِٱلْبِرِّ وَٱلْإِحْسَانِ ... مُسْتَغْرِقًا فِي ٱلْكَرَمِ ٱلْكُرْمَانِي
يَئِسْتُ مِنْ عَوْدِي إِلَى ٱلْعِرَاقِ ... وَقُلْتُ لِلْإِخْوَانِ لَا تَلَاقِي
لٰكِنْ تَذَكَّرْتُ ٱبْنَ مُوسَى ٱلْمُفْضِلَا ... لِأَنَّهُ كَانَ ٱلْحَبِيبَ ٱلْأَوَّلَا
أَمَّنَنِي فِيهِ مِنَ ٱلْمَلَامِ ... مَا شَاعَ مِنْ حِكَمِ أَبِي تَمَّامِ
وَقُلْتُ كَمْ عِنْدِي لِذَاكَ ٱلْمَوْلَى ... مِنْ نِعْمَةٍ إِنَّ لَهَا وَأَوْلَى
وَهْوَ بِمَدْحِي وَبِشُكْرِي أَوْلَى ... لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَقُولَ قَوْلَا
يَجْزِي ٱلَّذِي أَسْلَفَنِي مِنَ ٱلْمِنَنْ ... وَمَا لَهُ عِنْدِي مِنْ صُنْعٍ حَسَنْ
فَإِنَّهُ كَانَ مَلَاذِي فِي ٱلْمِحَنْ ... وَمَوْئِلِي ٱلْعَاصِمَ مِنْ صَرْفِ ٱلزَّمَنْ
وَقُلْتُ إِنَّ ٱلنِّعْمَةَ ٱلْجَزِيلَهْ ... جَزَاؤُهَا بِخِدْمَةٍ جَلِيلَهْ
وَهْوَ غَنِيٌّ عَنْ مَدِيحٍ يُنْظَمُ ... وَقَدْرُهُ مِنَ ٱلثَّنَاءِ أَعْظَمُ
فَمَا ٱلَّذِي أَجْزِي بِهِ أَنْعَامَهْ ... وَهَلْ مُكَافٍ فِي ٱلْوَرَى إِكْرَامَهْ
وَكُلُّ مَا يُقَالُ دُونَ قَدْرِهِ ... وَكُلُّ بَحْرٍ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِهِ
لَأَنْظِمَنَّ ٱلنَّثْرَ فِي كَلِيلَهْ ... وَإِنْ غَدَتْ خَوَاطِرِي كَلِيلَهْ
وَأَصْبَحَتْ قَرِيحَتِي قَرِيحَه ... تَصْحَبُهَا جَوَارِحٌ جَرِيحَه
لِأَنَّنِي عَنْهُ بَعِيدٌ نَازِحٌ ... غَادٍ إِلَى بَابِ سِوَاهُ رَائِحٌ

وَإِنَّ لِي فِي نَظْمِ ذَا ٱلْكِتَابِ فَضْلاً عَلَى ٱلْأَقْرَانِ وَٱلْأَضْرَابِ
لِأَنَّهُ خَيْرُ كِتَابٍ صُنِّفَا وَفِيهِ عِلْمٌ مِثْلُهُ مَا أُلِّفَا
فِيهِ لِأَرْبَابِ ٱلرِّجَالِ[1] عِبْرَهْ تَزِيدُ بِٱلدَّهْرِ ٱلْخَبِيرَ خِبْرَهْ
سَارَ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْآفَاقِ يُضِيءُ فِي ٱلنُّفُوسِ وَٱلْأَخْلَاقِ
أَرَادَ يَحْيَى حِفْظَهُ فَمَا قَدَرْ إِلَّا بِمَا قَالَ إِبَانُ إِذْ شَعَرْ
لِأَنَّ حِفْظَ ٱلنَّثْرِ أَمْرٌ صَعْبُ وَكُلْفَةٌ يَعْجِزُ عَنْهَا ٱلْقَلْبُ
إِلَّا إِذَا مَا حَفِظَ ٱلْمَعَانِي وَقَصَدَ ٱلْأَلْفَاظَ بِٱلنِّسْيَانِ
كَلَّتْ طِبَاعُ ٱلْقَوْمِ دُونَ نَظْمِهِ وَعَجَزُوا عَنْ سَبْكِهِ لِعُظْمِهِ
إِلَّا إِبَانُ ٱللَّاحِقِيُّ ٱلْكَاتِبُ فَإِنَّهُ فِي نَظْمِهِ لَغَالِبُ
ثُمَّ أَبُو يَعْلَى أَنَا فَإِنِّي نَظَمْتُهُ بِٱلْجُهْدِ وَٱلتَّعَنِّي
مُتَّبِعًا فِيهِ إِبَانَ ٱللَّاحِقِي وَلَيْسَ وَهْوَ سَابِقِي بِلَاحِقِي
فَإِنْ يَكُنْ أَقْدَمَ مِنِّي عَصْرَا فَإِنَّنِي أَحْسَنُ مِنْهُ شِعْرَا
مَا قَدَمُ ٱلْعَصْرِ مُفِيدٌ فَضْلَا قَدْ يَفْضُلُ ٱلْفَرْعُ ٱلزَّكِيُّ ٱلْأَصْلَا
فَٱعْتَبِرُوا ٱلنَّظْمَيْنِ يَا سَادَاتِي فَأَنْتُمْ أَعْرَفُ بِٱلْأَبْيَاتِ

---

(١) يريد بهم الملوك

حَسْبِيَ مَخْدُومِي لِقَوْلِي نَاقِدَا ۞ فَهْوَ عَلِيمٌ يَعْرِفُ ٱلْقَوَاعِدَا [1]

لَا تَحْسَبُوا تَقَدُّمَ ٱلزَّمَانِ ۞ بِرَافِعٍ فِي ٱلشِّعْرِ مِنْ إِبَانِ

إِنَّ ٱبْنَ مُوسَى آخِرُ ٱلْكِرَامِ ۞ فِي ٱلْعَصْرِ لَا فِي ٱلْفَضْلِ وَٱلْإِنْعَامِ

أَخِرُهُمْ عَصْرًا إِذَا مَا عُدَّا ۞ لَكِنَّهُ ٱلْأَوَّلُ فِيهِمْ مَجْدَا

لِأَجْلِهِ نَظَمْتُ مَا قَدْ نَثَرُوا ۞ وَإِنَّنِي بِمَدْحِهِ مُشْتَهِرُ

أَلَمْ أَكُنْ خَدَمْتُهُ زَمَانَا ۞ وَنِلْتُ مِنْهُ ٱلْبِرَّ وَٱلْإِحْسَانَا

حَتَّى إِذَا مَا جَاءَ كَٱلْإِبْرِيزِ ۞ أَنْفَذْتُهُ لِتُحْفَةِ ٱلنَّيْرُوزِ

لِأَنَّهُ عِنْدَ أَبِيهِ كِسْرَى ۞ أَزْكَى ٱلْمُلُوكِ عُنْصُرًا وَنَجْرَا

سَنَّ بِهِ ٱلْأَلْطَافَ وَٱلْهَدَايَا ۞ مُفْتَتِحًا لِلْعَامِ بِٱلتَّحَايَا

أَكْرِمْ بِهَا مِنْ سُنَّةٍ مَلِيحَهْ ۞ وَعَادَةٍ كَرِيمَةٍ سَجِيحَهْ

فَإِنْ تَكُنْ جُمْلَتُهُ مِنْ قُدْسِ ۞ فَإِنَّهُ مُنْتَسِبٌ فِي ٱلْفُرْسِ

أَنْفَذْتُهُ إِذْ لَمْ أَجِدْ سَبِيلَا ۞ وَلَمْ أُرِجِ ٱلْقَصْدَ وَٱلْوُصُولَا

وَلَوْ قَدَرْتُ أَوْ مَلَكْتُ سُؤْلِي ۞ لَكُنْتُ فِيهِ بَدَلَ ٱلرَّسُولِ

لَا لِٱجْتِوَايَ مَوْضِعِي مِنَ ٱلْمَلِكْ ۞ مَنْ ذَمَّ مَا رُزِقْتُهُ فَقَدْ أَفِكْ

كَيْفَ وَإِنِّي فِي جِنَانِ عَدْنِ ۞ أَنَالُ مَا يُوفِي عَلَى ٱلتَّمَنِّي

---

(١) وفي الاصل يعرف الفواردا

لَكِنَّ بِي شَوْقًا يَزِيدُ خَبَلِي	أُضْمِرُهُ إِلَى ٱلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ
وَنَائِبِي فِي عَرْضِهِ ٱلْحَكِيمُ	ٱلْفَيْلَسُوفُ ٱلْأَوْحَدُ ٱلْكَرِيمُ
كَمْ ضِيقَةٍ فَرَّجَهَا أَبُو ٱلْفَرَجْ	عَنِّي وَكَمْ خَيْرٍ وَمَعْرُوفٍ نَتَجْ
وَٱلْمَجْدُ بِٱلشِّعْرِ عَلِيمٌ نَاقِدُ	وَهْوَ لَدَيْهِ نَافِقٌ لَا كَاسِدُ
لَا بَرِحَتْ عِرَاصُهُ مَأْهُولَهْ	بِطَالِبِي صِلَاتِهِ مَوْصُولَهْ
مَا لَاحَ صُبْحٌ مُسْفِرٌ كَغُرَّتِهْ	وَبِشْرِهِ ٱلطَّالِعِ مِنْ أَسِرَّتِهْ
وَأَخْتِمُ ٱلْخُطْبَةَ بِٱلتَّسْلِيمْ	عَلَى ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْكَرِيمْ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ٱلْأَخْيَارِ	ٱلنُّجَبَاءِ ٱلسَّادَةِ ٱلْأَبْرَارِ



بَابُ بَرْزَوَيْهِ

طَبِيبِ فَارِسَ

قَالَ طَبِيبُ فَارِسَ ٱلْمَذْكُورُ   وَصِدْقُهُ فِي قَوْلِهِ مَشْهُورُ
«إِنَّ أَبِي كَانَ مِنَ ٱلْمُقَاتِلَهْ   وَأَزْهَرُ ٱسْمُهُ بِلَا مُخَاتَلَهْ»
«وَالِدَتِي كَانَتْ مِنَ ٱلزَّمَازِمَهْ   قَوْمٌ دَرَى كُلُّ ٱلْوَرَى مَكَارِمَهْ» (١)
كَانَا يُحِبَّانِي مِنْ دُونِ ٱلْوَلَدْ   مَحَبَّةً تَجَاوَزَتْ لِكُلِّ حَدْ
«فَرَبَّيَانِي فِي ٱلرَّفَاهِ وَٱلدَّلَالْ   وَغَرَسَا فِيَّ أَحَاسِنَ ٱلْخِصَالْ»
حَتَّى إِذَا أَتْمَمْتُ سَبْعًا كَامِلَهْ   أُوتِيتُ نَفْسًا لِلْعُلُومِ قَابِلَهْ
وَفُقْتُ أَقْرَانِيَ فِي ٱلتَّعَلُّمِ   وَقُلْتُ يَا نَفْسِ عَرَفْتِ فَٱكْرُمِي
ثُمَّ قَرَأْتُ ٱلطِّبَّ إِذْ رَأَيْتُهُ   أَنْفَعَ عِلْمٍ لِلْوَرَى رَوَيْتُهُ
وَبَعْدَهُ قُلْتُ لِنَفْسِي نَاصِحًا   إِسْعَيْ إِلَى أَمْرٍ يَكُونُ صَالِحًا
إِمَّا لِمَالٍ أَوْ لِحُسْنِ ذِكْرِ   أَوْ لَذَّةٍ عَاجِلَةٍ أَوْ أَجْرِ
فَإِنَّمَا يَسْعَى ٱلْفَتَى لِوَاحِدَهْ   مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْبَعِ لَا لِزَائِدَهْ

---

(١) كان في الاصل:
وهو ابن شهم فارس المغوار   وامه من اهل بيت النار

فقالتِ الطبُّ أجلُّ الأربعه | إذ فيهِ علمٌ للورى ومنفعه
لا أبتغي بذاكَ إلاّ الآخره | كي لا تكونَ صفقتي بخاسره
كبائعِ الجوهرةِ الجليلهْ | بقطعةٍ منْ خزفٍ مرذوله
وليسَ قصدي الأجرَ بالتطبُّبِ | بناقصي رزقي وإنْ لمْ أطلبِ
كزارعِ الغلّةِ يبغي عينَها | تنبتُ والعشبُ يكونُ بينَها
فعندها عالجتُ كلَّ مذنفِ | لمْ آلُ في الرفقِ وفي التلطّفِ
«إنْ أستطعْ ألازمِ العليلا | ولوْ بقي في دائهِ طويلا»
«مركباً دواءَهُ وصانعا | لهُ بذاتي ما أراهُ نافعا»
«ولمْ يكنْ لي عنْ صنيعي بدلُ | وإنما كنتُ لذاكَ أفعلُ»
للهِ لا للمالِ والثوابِ | ولمْ أكنْ أغبطُ منْ أضرابي
إلاّ امرءاً ذا سيرةٍ جميلهْ | على التقى والخيرِ والفضيلهْ
«وحينَ كنتُ أتمنّى حالَ منْ | ساعدهُمْ بالمالِ والجاهِ الزمنْ»
«كنتُ إلى نفسي أعودُ لائما | معاتباً مغاضباً مخاصماً»[1]
ألومُها لأنّها تمنّى | منْ متعِ الدنيا قليلاً يفنى

---

(١) كان في الاصل عوض هذين البيتين :

فحين صرت لهم مغاضبا | عدت لنفسي لائماً معاتبا

وَعَاجِلاً يَشْقَى بِهِ مَنْ يَمْلِكُهْ ثُمَّ يَمُوتُ عَاجِلاً وَيَتْرُكُهْ
إِسْعَي لِتِلْكَ ٱلدَّارِ وَٱطْلُبِيهَا وَطَلِّقِي هٰذِي وَٱتْرُكِيهَا
فَإِنَّهَا خَدَّاعَةٌ غَرَّارَهْ مُخْلِفَةٌ وُعُودُهَا غَدَّارَهْ
مَا ٱخْتَارَهَا غَيْرُ غَبِيٍّ جَاهِلِ يَغُرُّهُ زُخْرُفُ هٰذَا ٱلْعَاجِلِ
«فَقَدِّمِي ٱلْخَيْرَ وَلَا تُسَوِّفِي فَإِنَّمَا ٱلتَّسْوِيفُ فِعْلُ ٱلْمُخْلِفِ»
وَإِنَّمَا جِسْمُكِ يَا هٰذِي صَنَمْ لَوْ نُزِعَ ٱلْمِسْمَارُ مِنْهُ لَٱنْهَدَمْ
مُرَكَّبٌ مِنْ هٰذِهِ ٱلطَّبَائِعِ مَلَآنُ مِنْ أَخْلَاقِهِ ٱلْجَوَامِعِ
بِهَا وَإِنْ لَمْ تَعْلَمِي قِوَامُهْ وَمَنْ يُعَادِيهَا تُرَى أَسْقَامُهْ
وَإِنَّمَا حَيَاتُهُ ٱعْتِدَالُهَا وَمَوْتُهُ ٱلْمُقَدَّرُ ٱخْتِلَالُهَا
لَا تُفْتَنِي بِصُحْبَةِ ٱلْإِخْوَانِ فَمَا يَدُومُ فِي ٱلْوَرَى إِلْفَانِ
فَهُمْ هُمُومٌ وَبَلَاءٌ وَمِحَنْ ثُمَّ ٱلْوِفَاقُ بِٱلْفِرَاقِ مُرْتَهَنْ
وَإِنَّمَا ٱلْإِخَاءُ لِلْمُؤَاخِي كَأَنَّهُ مِغْرَفَةُ ٱلطَّبَّاخِ
يَقِي بِهَا حَرَّ ٱلطَّبِيخِ كَفَّهُ صَحِيحَةً إِذَا أَرَادَ غَرْفَهُ
حَتَّى إِذَا مَا دَهْرُهَا أَفْسَدَهَا وَأَصْبَحَتْ مَكْسُورَةً أَوْقَدَهَا
لَا تَهْلِكِي وَيْكِ بِحُبِّ أَهْلِكِ فَتُصْبِحِي فِي ٱلْحَالِ كَٱلْعُودِ ٱلذَّكِي
يَلَذُّ مَنْ يَشْتَمُّ طِيبَ نَشْرِهِ وَجِسْمُهُ مُحْتَرِقٌ بِجَمْرِهِ

لاَ تَبْطَرِي بِفَضْلِ جَاهٍ وَغِنَى	فَهُوَ وَإِنْ غَرَّ الْجَهُولَ الْأَرْعَنَا
«كَشَعرِ الرَّاسِ الَّذِي خَدَمَهُ	صَاحِبُهُ وَجَهْدَهُ أَكْرَمَهُ»
«وَصَانَهُ مطيباً وَأَكْبَرَهُ	حَتَّى إِذَا أَلْقَاهُ عَنْهُ اسْتَقْذَرَهُ» (١)
فَوَاظِبِي عَلَى صَلاَحِ الْمَرْضَى	وَلاَ تَقُولِي قَوْلَةً لاَ تُرْضَى
إِنَّ لَهُ مَؤُونَةً شَدِيدَهْ	وَعَنْهُ أَفْهَامُ الْوَرَى بَلِيدَهْ
بَلِ الْزَمِي حُسْنَ الْعِلاَجِ حِسْبَهُ	تُفَرِّجِي عَنِ الْعَلِيلِ كَرْبَهُ
فَإِنَّ مَنْ فَرَّجَ ضِيقَ كَرْبِ	نَالَ جَزِيلَ الْأَجْرِ عِنْدَ الرَّبِّ (٢)
«فَكَيْفَ مَنْ رَدَّ كُرُوباً جَمَّهْ	فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ يَلْقَى رَحْمَهْ»
لاَسِيَّمَا مَنْ رَدَّ طِيبُ الْعَافِيَهْ	فَأَصْبَحَتْ بِهِ الْحَيَاةُ صَافِيَهْ
«يَا نَفْسِ لاَ تُبْعِدْ عَلَيْكِ الْآخِرَهْ	وَتَزْهَدِي بِهَا لِحُبِّ الْحَاضِرَهْ»

(١) كان الاصل هكذا :

كماشط ظلَّ يُربّي شعره	حتى اذا القاه عنه قذره
وصانه مجتهدًا واكبره	اذا مضى عنه وولّى حقره

ولا يخفى ما فيهما من الخلل فان الناظم قد شبه الغني بالماشط وهو في الاصل مشبّه بالشعر

(٢) كان الاصل :

فانّ من فرّج عن مكروبه	نال جزيل الاجر والمثوبه

«لَا تُهْمِلِي نَيْلَ ٱلْكَثِيرِ ٱلْآجِلِ	لِأَجْلِ تَحْصِيلِ ٱلْيَسِيرِ ٱلْعَاجِلِ» (١)
«كَصَاحِبِ ٱلصَّنْدَلِ قَالَ إِنِّي	إِنْ بِعْتُ كُلَّ صَنْدَلِي بِٱلْوَزْنِ»
«طَالَ ٱلْمَدَى فَبَاعَهُ جُزَافَا	فَخَسِرَتْ صَفْقَتُهُ آلَافَا» (٢)
فَٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي إِلَى ٱلصَّوَابِ	وَجَهِدَتْ فِي طَلَبِ ٱلثَّوَابِ
فَنِلْتُ مِنْ فَوَاضِلِ ٱلْمُلُوكِ	مَا لَمْ يَدُرْ فِي أَمَلِ ٱلصُّعْلُوكِ
ثُمَّ رَأَيْتُ ٱلطِّبَّ لَيْسَ يَشْفِي	مِنْ عِلَلٍ مُؤْذِيَةٍ وَحَتْفِ
وَلَيْسَ غَيْرُ ٱلدِّينِ مِنْ دَوَاءِ	يَشْفِي بِهِ ٱلْعَاقِلُ كُلَّ دَاءِ
فَٱسْتَصْغَرَتْ نَفْسِي أَمْرَ ٱلطِّبِّ	وَصَدَفَتْ عَنْهُ وَقَالَتْ حَسْبِي
وَفَحَصَتْ بَحْثاً عَنِ ٱلْأَدْيَانِ	وَذَاكَ أَقْصَى مَطْلَبِ ٱلْإِنْسَانِ
فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ ٱلْأَطِبَّاءِ بِهِ	عِلْماً وَلَا قَصَّرْتُ فِي مَطْلَبِهِ
وَٱلنَّاسُ مِنْ تَفَرُّقِ ٱلْأَهْوَاءِ	فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ لَيْلَاءِ
لَيْسَ لِلَيْلِ جَهْلِهِمْ صَبَاحُ	وَلَا لِإِفْسَادِهِمِ صَلَاحُ
أَكْثَرُهُمْ مُقَلِّدٌ أَبَاهُ	فَإِنْ دَعَاهُ غَيْرُهُ أَبَاهُ

---

(١) كان الاصل :

فلا تُشفي طمعًا في العاجله   وتزهدي لحبها في الآجله

(٢) كان الاصل :

كصاحب الانجوج حين باعه   غدا بلا وزن لقد اضاعه

وَبعضهم دِينهم إكرَاهُ ... وَبعضهم مَغزَاهُ منهُ الجَاهُ
وَبعضهم يبغي بِهِ الحُطَامَا ... أوْ أنْ يَسُودَ الهَمجَ الطَّغَامَا
وَكُلّهمْ يَزْعَمُ إنّي رَاشِدُ ... وَكُلّ رَأيٍ غيرُ رَأيي فاسِدُ
فمَا رَأيتُ الحقَّ في الأدْيَانِ ... أنْ أقبلَ الدَّعوَى بلاَ برْهَانِ
فَأغتَدِي كَالسَّارِقِ المَغرُورِ ... إذْ غرَّهُ القَوْمُ بِقَوْلِ الزُّورِ
حَاوَلَ بَيْتَ تَاجِرٍ مُنْتَبِهِ ... فَقَالَ لِلزّوْجَةِ أحْسَسْتُ بِهِ
فسائليني وَارْفعي كلامك ... «عَنْ ثَرْوَتي وَاكْثِري خِصامَكِ»[1]
«إذا امتَنَعتُ وَالحِّي في السُّؤَالْ ... وَاستَحلِفيني كَي أطيلُ في المَقَالْ»
قَالَتْ لَهُ لِتُسْمِعَ اللُّصُوصَا ... كَيفَ غَدَوْتَ بِالغِنَى مَخصُوصَا
«قَالَ لَهَا قَدْ سَاقَكِ الحَظُّ إلَى ... مَالٍ كَثِيرٍ دَافِعٍ عَنكِ البَلاَ»
« نَعِّمِي بِهِ وَلاَ تَسَالِي ... كَيفَ جَمَعتُ ثَرْوَتي وَمَالِي»
«إنّي لَا آمَنُ إنْ أجَبْتُكِ ... مِنْ سَامِعٍ يَسْمَعُ مَا أخْبَرْتُكِ»
« قَالَتْ لَهُ مَاذَا جَوَابٌ مُقْنِعُ ... فَلَيْسَ فِي جِوَارِنَا مَنْ يَسْمَعُ»
«أجِبْ إذًا وَأسْهِبِ المَقَالاَ ... إنْ لَمْ تُجِبْني تُوقِعِ البَلْبَالاَ»
جَمَعتَ هذَا المَالَ مِنْ أيْنَ وَبِمْ ... فَقَالَ قَوْلَ وَقِحٍ لاَ يَحتَشِمِ

(١) كان اصل هذا الشطر : من اين مالي وارفعي خصامك

إِنِّيَ كُنْتُ فِي شَبَابِي لِصًّا   بِرُقْيَةٍ أَعْرِفُهَا مُخْتَصًّا

إِذَا رَأَيْتُ فِي ٱلْجِدَارِ رَوْزَنَهْ   يَدْخُلُ مِنْهَا ٱلضَّوْءُ وَهْيَ مُمْكِنَهْ

قُلْتُ وَقَدْ عَلِقْتُ بِٱلضَّوْءِ شَلَمْ   سَبْعًا وَأُلْقِي ٱلنَّفْسَ لَا أَخْشَى ٱلنَّدَمْ

ثُمَّ أَقُولُ ذَاكَ حِينَ أَصْعَدُ   وَلَا يَرَانِي أَحَدٌ فَأُقْصَدُ

فَظَنَّهُ ٱللِّصُّ يَقُولُ حَقًّا   وَقَالَ قَدْ كَفَانِيَ ٱلْأَشْقَا

وَبَادَرَ ٱلْكُوَّةَ ثُمَّ قَالَا   ذَاكَ ٱلْكَلَامَ ٱلْكَذِبَ ٱلْمُحَالَا

فَخَرَّ مِنْ وَقْعَتِهِ كَٱلْمَيْتِ   وَجَاءَهُ بِٱلسَّوْطِ رَبُّ ٱلْبَيْتِ

يَقُولُ مَنْ أَنْتَ وَمَا دَهَاكَا   فَقَالَ أَنْتَ فَضَّ رَبِّي فَاكَا

غَرَرْتَنِي بِٱلْقَوْلِ فَٱغْتَرَرْتُ   لَوْلَا ٱغْتِرَارِي بِكَ مَا طَفَرْتُ

فَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ مَا يُقَالُ   بِلَا دَلِيلٍ نَالَهُ ٱلْوَبَالُ

وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ ٱلتَّقْلِيدِ   لِعَدَمِ ٱلْمُحَدِّثِ ٱلرَّشِيدِ

وَإِنَّنِي لَمْ أَرَ فِي ٱلنَّاسِ ثِقَهْ   يُعْذَرُ فِي تَصْدِيقِهِ مَنْ صَدَّقَهْ

فَكَانَ تَقْلِيدُ أَبِي أَوْلَى بِي   فِي خَطَإِ ٱلرَّأْيِ وَفِي ٱلصَّوَابِ

كَوَارِثِ ٱلسِّحْرِ عَنِ ٱلْآبَاءِ   يُعْذَرُ فِي ذَاكَ بِلَا مِرَاءِ

وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ أَكُولًا شَرِهَا   فَقَالَ بَعْضٌ وَيْحَهُ مَا أَسْفَهَا

أَجَابَ ذَا أَكْلُ أَبِي وَجَدِّي   إِنَّ ٱتِّبَاعَ ٱلْأَبِ عَيْنُ ٱلرُّشْدِ

«ذَلِكَ عُذْرِي كَانَ فِي تَقْلِيدِي أَبِي وَهَذَا لَيْسَ بِالسَّدِيدِ»
«ثُمَّ وَجَدْتُ النَّفْسَ لَيْسَتْ تَسْكُتُ وَلَا عَلَى دِينِ الْجُدُودِ تَثْبُتُ»
«وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ حَقَائِقِ الدِّينِ وَلَوْ طَالَ الزَّمَنْ»
«حِينَئِذٍ فَكَّرْتُ فِي قُرْبِ الْأَجَلْ وَأَنَّهُ يَدْهَمُنِي بِلَا عِلَلْ»
«وَقُلْتُ قَدْ يُمْكِنُ أَنْ تَقْتُلَنِي حَانَتْ فَفَكَّرْتُ وَطَالَتْ فِكْرَتِي»
ثُمَّ إِلَى مَلَامَتِي رَجَعْتُ وَقُلْتُ يَا وَيْحِي مَا صَنَعْتُ
«شَغَلَنِي تَرَدُّدِي عَنْ بِرٍّ يُمْكِنُ أَنْ أَعْمَلَهُ لِلْأَجْرِ»
ضَيَّعْتُ وَقْتِي وَجَمِيدَ فِعْلِي كَرَجُلٍ وَافَقَ ذَاتَ بَعْلِ (١)
«عَلَى مَبِيعِ كُلِّ مَا فِي الْبَيْتِ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ حَتَّى الزَّيْتِ»
«بِشَرْطِ أَنْ تُعْطِيَهُ نِصْفَ الثَّمَنْ فَلَمْ يَزَالَا رَدَحًا مِنَ الزَّمَنْ»
وَكَانَ كُلَّ لَيْلَةٍ يَزُورُهَا وَخَفِيَتْ عَنْ بَعْلِهَا أُمُورُهَا
وَفَكَّرَتْ فِي أَمْرِهَا بِعَقْلِهَا فَنَدِمَتْ وَأَشْفَقَتْ مِنْ فِعْلِهَا
قَالَتْ أَخَافُ فَأَعَدَّتْ سَرَبَا إِلَى طَرِيقٍ مُظْلِمٍ لِيَهْرُبَا
وَخَلَّتِ الْمِفْتَاحَ عِنْدَ الْجُبِّ عَلَامَةً ظَاهِرَةً لِلْحُبِّ

---

(١) في هذا المثل بعض تغيير احتاج اليه نقل الخبر من شيء الى آخر .

« بيناهما يجتمعان مرّه · أمتعة البيت بدون فكره »
إذ أقبل الزوج فقالت للفتى · بادر فإني منه أخشى العنتا
أقصد مكان الجب للمفتاح · فإنه ثمّ من النواحي
« فنظر المفتاح دون الجب · فصاح مدهوشا عديم اللب »[1]
«وقال أين الجب يا هذي فما · أرى هنا شبيه جب فيهما »
وظن أن الجب كان قصدها · فوبختة ثم صكت خدها
وقالت المفتاح كان قصدي · فخذه واهرب إن تكن ذا رشد
«فقال لم ذكرت لي الجب وما · وجدته قالت دع التبرما »
«أنج فقال لم كذبت في المقال · قالت إلى متى يكون ذا الجدال...»
فاقتحم الزوج وقد حار الفتى · فدقه بالسوط حتى خفتا
ثم رأيت البحث لا يفيدني · ولا لعلم نافع يزيدني
فقلت خذ ما أجمعوا عليه · وجنحوا كلهم إليه
تجنب الشر وحب الخير · ونفع نفسي جاهدا وغيري
مصطفيا مكارم الأخلاق · فإنها من أنفس الأعلاق

---

(١) كان الاصل :

فلم ير الجب كأن قد نقل · فقام للحيرة مدهوشا عجل

لاَ أَقتلُ ٱلنفسَ وَلاَ أَبغِي ٱلخنَا ... فَٱلأَمُ ٱلْعَالَمِ نَفساً مَنْ زَنى

وَأَكتمُ ٱلسِّرَّ وَأَحمِي جَارِي ... وَلَمْ أَقِفْ فِي مَوْقِفِ ٱعتِذَارِ

وَأَصْدُقُ ٱلنَّاسَ إِذَا حَدَّثْتُهُمْ ... وَأُنجِزُ ٱلْوَعْدَ إِذَا وَعَدْتُهُمْ

وَلاَ أَخُونُ ٱلنَّاسَ إِنَّ ٱلخَائِنَا ... مَنْ كَانَ فِي أَفْعَالِهِ مُدَاهِنَا

وَأَلْزَمُ ٱلأَفَاضِلَ ٱلخِيَارَا ... وَأَتْرُكُ ٱلارَاذِلَ ٱلشِّرَارَا

مِنْ غَيْرِ قَصْدِ أَحَدٍ بِسُوّ ... أَصْفَحُ مَا ٱسْتَطَعْتُ عَنْ عَدُوِّي

وَأَنزَعُ ٱلكِبْرَ فَبِئْسَ ٱلْبُرْدَهْ ... وَأَجْعَلُ ٱلْخَيْرَ لِنَفْسِي عُدَّهْ

وَأَلْزَمُ ٱلصَّفَآءَ وَٱلْوَفَآءَ ... وَأَحْفَظُ ٱلأَقْرَانَ وَٱلأَكْفَآءَ

فَٱلْخَيْرُ لاَ يَنفَدُ بِٱلإِنفَاقِ ... أَلْمَالُ فَانٍ وَٱلْحَدِيثُ بَاقِي (١)

«وَقَدْ وَجَدْتُ ٱلْعِلْمَ وَٱلصَّلاَحَا ... كُلاًّ قَرِينًا مَنْ أَتَاهُ ٱرْتَاحَا»

«وَلَمْ أَجِدْ مَكْسَبَهُ عَسِيرَا ... بَلْ هَيِّنًا مُسْتَسْهَلاً يَسِيرَا»

«وَجَدْتُهُ يَدُلُّنِي عَلَى ٱلْخَيْرْ ... وَمُبْعِدًا عَنِّي ٱبْتِغَايَ لِلضَّيْرْ»

«يَكْثُرُ إِنْ أُنفِقْ وَيَزْدَادُ وَلاَ ... يَخْلَقُ لَوْ طَالَ ٱلزَّمَانُ وَٱبْتَلَى»

«عَلَيْهِ لاَ خَوفَ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ ... وَظُلْمِهِ مَعْ مِحَنِ ٱلزَّمَانِ»

---

(١) كان بعد هذا البيت بيتان حذفتهما اذ لم اجد فيهما ما يجعل لها علاقة مع ما سبقها

« وَلاَ مِنَ ٱلْمِيَاهِ أَنْ تُغْرِقَهُ   وَلاَ مِنَ ٱلنِّيرَانِ أَنْ تُحْرِقَهُ »

« وَلاَ مِنَ ٱللُّصُوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ   وَلاَ مِنَ ٱلسِّبَاعِ أَنْ تُمَزِّقَهُ . »

وَإِنَّ مَنْ يَتْرُكُ مَا يَنْفَعُهُ   مُشْتَغِلاً بِزُخْرُفٍ يَخْدَعُهُ

« مُضَيِّعاً أَيَّامَهُ بِٱلْبَاطِلِ   فَفِعْلُهُ لاَ رَيْبَ فِعْلُ ٱلْجَاهِلِ »

كَتَاجِرٍ كَانَتْ لَهُ لآلِي   رَائِقَةٌ نَفِيسَةٌ غَوَالِي

أَرَادَ أَنْ يَثْقُبَهَا فَٱسْتَأْجَرَا   بِمِئَةٍ فِي ٱلْيَوْمِ طَبًّا مَاهِرَا

حَتَّى إِذَا صَارَا مَعاً فِي ٱلدَّارِ   أَبْصَرَ صَنْجاً مُحْكَمَ ٱلأَوْتَارِ

فَقَالَ لِلأَجِيرِ إِنْ كُنْتَ بِهِ   ذَا خِبْرَةٍ فَسُرَّنِي بِضَرْبِهِ

فَشَغَلَ ٱلْيَوْمَ بِضَرْبِ ٱلصَّنْجِ   وَلَمْ يَكُنْ لِنَفْعِهِ يُرَجِّي

« حَتَّى إِذَا جَاءَ ٱلْمَسَاءُ وَٱنْقَضَى   نَهَارُهُ بِفِعْلِ مَا لاَ يُقْتَضَى »

قَالَ ٱلأَجِيرُ هَاتِ زِنْ لِي ٱلأُجْرَهْ   فَإِنَّنِي فِي عَمَلٍ مُذْ بُكْرَهْ

« قَالَ لَهُ وَهَلْ عَمِلْتَ عَمَلاَ   تَرْجُو بِهِ ٱلأُجْرَةَ قَالَ كَيْفَ لاَ »

« أَنَا أَجِيرٌ وَفَعَلْتُ مَا قَدْ   طَلَبْتَ زِنْ لِي أُجْرَتِي بِلاَ رَدْ »

فَوَزَنَ ٱلأُجْرَةَ وَهْوَ صَاغِرُ   كَذَاكَ لاَ شَكَّ يَكُونُ ٱلْخَاسِرُ .

« وَكُلَّمَا أَمْعَنْتُ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلنَّظَرْ   رَأَيْتُ قَلْبِي رَاغِباً عَنْهَا نَفَرْ »

فَٱزْدَدتُ زُهْدًا فِي مَتَاعِ ٱلدُّنْيَا ‌ وَٱخْتَرْتُ فِي ٱلزُّهْدِ طَرِيقَ ٱلْعَلْيَا[١]

فَٱلزُّهْدُ لِلزُّهَّادِ فِي ٱلْمَعَادِ ‌ كَوَالِدٍ يَمْهَدُ لِلْأَوْلَادِ

وَجُنَّةٌ وَاقِيَةٌ مَنِيعَهْ ‌ وَجَنَّةٌ مُخْصِبَةٌ مَرِيعَهْ

بَابٌ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ مَفْتُوحْ ‌ وَقُرْبُهُ بِهِ ٱلنَّعِيمُ مَمْنُوحْ

وَٱلزَّاهِدُ ٱلْعَابِدُ رَاضٍ قَانِعُ ‌ جَذْلَانُ لَا تَغْمُهُ ٱلْمَطَامِعُ

لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِذَا ٱهْتَمَّ ٱلْوَرَى ‌ غَدَا ٱلثَّرَاءُ عِنْدَهُ مِثْلَ ٱلثَّرَى

فَعَيْنُهُ نَائِمَةٌ قَرِيرَهْ ‌ وَنَفْسُهُ سَاكِنَةٌ مَسْرُورَهْ

قَدْ أَمِنَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا فَسَلِمْ ‌ وَتَرَكَ ٱلدُّنْيَا ٱخْتِيَارًا فَغَنِمْ

فَزَادَ حِرْصِي عِنْدَهَا فِي ٱلزُّهْدِ ‌ وَخِفْتُ أَنْ أَعْجِزَ دُونَ قَصْدِي

وَلَمْ أَثِقْ فِيهِ بِحُسْنِ صَبْرِي ‌ فَأَنْثَنِي عَنْهُ بِغَيْرِ عُذْرِ

«ثُمَّ أَكُونَ قَدْ تَرَكْتُ صُنْعَا ‌ مَا كُنْتُ أَرْجُو لِيَ مِنْهُ نَفْعَا»

«فَأَغْتَدِي إِذْ ذَاكَ مِنْ دُونِ ٱبْتِرَا[٢]» ‌ كَٱلْكَلْبِ إِذْ أَبْصَرَ يَوْمًا نَهَرَا

وَكَانَ فِي فِيهِ عُظَيْمٌ فَرَأَى ‌ فِي ٱلْمَاءِ ظِلَّ ٱلْعَظْمِ قَدْ تَلَأْلَأَ[٣]

---

(١) كان اصل البيت :

فازددت زهدا في متاع ادنى ‌ واخترت في الزهد طريقا حسنى

(٢) اصل هذا الشطر : ‌ مذبذبا في حالتي محيرا

(٣) وفي الاصل قد تصورا عوض قد تلألأ

فَظَنَّهُ عظمًا فألقى عظمَهُ ... وَلَمْ ينَلْ ذاكَ فأبدى غمّهُ
ثُمَّ اعترتني هيبَةٌ وَخيفَه ... مِنْ كُلَفِ التَّنسُّكِ العنيفه
فَقُلتُ لَستُ تاركًا لِلطِّبِّ ... فإنَّهُ مِنْ كُلِّ شيءٍ حَسبي
وَقِسْتُ ما أخشاهُ مِنْ تبرُّمِي ... بالنُّسكِ لِلعجزِ وَمِنْ تلوُّمِي
وَبينَ ما يلقى مِنَ الآفاتِ ... في دهرِهِ الإنسانُ والعاهاتِ
رَأيتُ كلَّ حالَةٍ تَحولُ ... أجلْ وَكلُّ ثابتٍ يزولُ
« وإنَّما الدُّنيا كَوِرْدٍ طافِحِ ... مَلآنَ مِنْ ماءٍ نقيٍّ مالِحِ »
« يَزدادُ مِنهُ عطشًا وَكربا ... واردُهُ انْ زادَ مِنهُ الشُّربا » (١)
« وَمِثلِ عظمٍ فيهِ ريحُ لَحمِ ... يَنهشُهُ الكلبُ إلى أنْ يُدمي »
فاهُ وَلا يَنالُ شيئًا دَسِمَا ... بَلْ إنَّهُ بِنهشِهِ أدمى الفَما (٢)
وَحِدأةٍ طائِرَةٍ بِلَحمِ ... فَما تَزالُ يومَها في غَمِّ
لِكَثرةِ الطَّيرِ الَّذي يَبغيها ... فَمِنْ حِذارِ شَرِّهِمْ تُلقيها

---

(١) وكان في الاصل عوض هذين البيتين :

فانها كمالح الموارد ... يصدر عنه بقليل واقد
وكلما ازداد لذاك شربا ... ازداد منه عطشًا وكربا

(٢) وعوض هذين :

والكلب اذ ينهش عظما دسما ... لريحه حتى به يدمي الفما

وَٱلْعَسَلِ ٱلْمَسْمُومِ وَهُوَ حُلْوُ   مَنْ ذَاقَهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ عُضْوُ

وَٱلنَّائِمِ ٱلْحَالِمِ فِي ٱلْمَنَامِ   تُفْرِحُهُ ٱلْأَضْغَاثُ فِي ٱلْأَحْلَامِ

حَتَّى إِذَا ٱسْتَيْقَظَ زَالَ فَرَحُهْ   وَزَادَ لَمَّا لَمْ يَجِدْهَا تَرَحُهْ

وَبَارِقٍ يَخْفُو وَيَخْفَى وَمْضُهُ   وَٱلدُّودِ فِي ٱلْقَزِّ ٱلْبَطِيِّ نَهْضُهُ

يُهْلِكُ بِٱلْجُهْدِ ٱلشَّدِيدِ نَفْسَهُ   كَجَاهِلٍ أَصْبَحَ يَبْنِي حَبْسَهُ

فَحِينَ فَكَّرْتُ رَأَيْتُ ٱلنُّسْكَا   أَفْضَلَ شَيْءٍ وَتَرَكْتُ ٱلشَّكَّا

وَقُلْتُ يَا نَفْسِ إِلَامَ ٱلْهَرَبُ   حَتَّامَ رَأْيٌ حَائِرٌ مُذَبْذَبُ

مِنْ مِحَنِ ٱلدُّنْيَا وَمِنْ آفَاتِهَا   إِلَى ٱلتُّقَى وَٱلزُّهْدِ فِي لَذَّاتِهَا

إِلَامَ لَا أُبْرِمُ أَمْرًا جَزْمَا   حَتَّامَ لَا أُلْقِي لِرَأْيٍ عَزْمَا

كَٱلْحَاكِمِ ٱلْجَاهِلِ بَيْنَ خَصْمَيْنْ   قَضَى عَقِيبَ أَحَدِ ٱلْكَلَامَيْنْ

وَنَقَضَ ٱلْحُكْمَ بِقَوْلِ ٱلثَّانِي   كَوَالِهٍ فِي شِدَّةٍ حَيْرَانِ

وَتَعَبُ ٱلنُّسْكِ يُفِيدُ رَاحَهْ   نَفْسُ ٱللَّبِيبِ نَحْوَهَا مُرْتَاحَهْ

فِي جَنْبِهَا يَصْغُرُ مَكْرُوهُ ٱلتَّعَبْ   وَلَذَّةٌ تُمْسِي إِلَى ٱلنَّارِ سَبَبْ

جَدِيرَةٌ بِتَرْكِهَا خَلِيقَهْ   حَرِيَّةٌ بِنَبْذِهَا حَقِيقَهْ

يَا حَبَّذَا مَرَارَةٌ يَسِيرَهْ   يَتْبَعُهَا حَلَاوَةٌ كَثِيرَهْ

لَا حَبَّذَا حَلَاوَةٌ مُعَارَهْ   لَذَّتُهَا تُفْضِي إِلَى مَرَارَهْ

لَوْ قِيلَ لِلعَاقِلِ عِشْ أَلفَ سَنَةْ تَلْقَى بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِزْمِنَهْ
وَضَرْبَةً عَلَى ٱلدِّمَاغِ مُثْخِنَهْ ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَهَا فِي أَمَنَهْ
مِنْ كُلِّ خَطْبٍ وَبَلَاءٍ سَالِمَا تَبْقَى كَمَا تَهْوَى بَقَاءً دَائِمَا
لَٱخْتَارَ ذَاكَ طَائِعًا لَا كَارِهَا لِمَا رَجَا وَٱحْتَمَلَ ٱلْمَكَارِهَا
فَصَبْرُ أَيَّامٍ عَلَى بُؤْسِ ٱلْوَرَعْ وَٱلزُّهْدُ أَوْلَى بِٱلْفَتَى مِنَ ٱلْخِدَعْ
لَاسِيَّمَا وَٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا عَرَضْ لِكُلِّ خَطْبٍ وَشَقَاءٍ وَمَرَضْ
لَمْ يَنْجُ مِنْ وَقْعِ ٱلْبَلَايَا أَحَدُ يَلْقَى ٱلْفَتَى ٱلْمَكْرُوهَ مُنْذُ يُولَدُ(١)
وَإِنَّهُ لِلْغَمِّ مُسْتَكِينُ مُذْ هُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ جَنِينُ
كَأَنَّهُ مُقَيَّدٌ مَقْمُوطُ مُشَدَّدٌ فِي صُرَّةٍ مَضْغُوطُ
مُنَكَّسٌ كَأَنَّهُ حَزِينُ مُكْتَئِبٌ لَوْ أَنَّهُ يَبِينُ
جَبِينُهُ مُلْقًى عَلَى يَدَيْهِ وَذَقْنُهُ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ
أَنْفَاسُهُ تَخْرُجُ بِٱلْمَشَقَّهْ تَضُمُّهُ مَشِيمَةٌ كَالشُّقَّهْ
فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ وَضِيقِ حَتَّى إِذَا يُسِّرَ لِلطَّرِيقِ
وَعَادَ بَعْدَ ضَعْفِهِ قَوِيًّا خَلْقًا صَحِيحًا كَامِلًا سَوِيًّا

---

(١) حذفت بعض ابيات مما يلي في ايضاح بعض ما هو الجنين وكيفية وجوده

رَامَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الضِّيقِ فَرَجْ　　فَلَمْ يَزَلْ مُضْطَرِبًا حَتَّى خَرَجْ

كَأَنَّهُ مِنْ جِلْدِهِ مَسْلُوخُ　　يُؤْلِمُهُ النَّسِيمُ وَالتَّمْرِيخُ

لَا يَطْلُبُ الطُّعْمَ إِذَا مَا جَاعَا　　ضَعْفًا وَلَا يَشْكُو لَهُ الْأَوْجَاعَا

مَا دَامَ فِي رِضَاعِهِ مُعَذَّبَا　　مُحَرَّكًا بِرَغْمِهِ مُقَلَّبَا

وَبَعْدَ ذَاكَ قَسْوَةُ الْمُؤَدِّبِ　　مُعَذَّبًا نَهَارَهُ فِي الْمَكْتَبِ

ثُمَّ عَذَابُ السُّقْمِ وَالْأَدْوَاءِ　　وَمِحَنُ الْحِمْيَةِ وَالدَّوَاءِ

حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ ظَلَّ طَالِبَا　　لِلْمَالِ وَالْأَهْلِ حَرِيصًا كَاسِبَا

مُخَاطِرًا فِي كَسْبِهِ بِنَفْسِهِ　　مُجْتَهِدًا لِضِرْسِهِ وَعِرْسِهِ

وَمَعَهُ الْأَرْبَعَةُ الْأَعْدَاءُ　　اَلدَّمُ وَالصَّفْرَاءُ وَالسَّوْدَاءُ

وَالْبَلْغَمُ الْغَلِيظُ وَالرِّيحُ مَعَا　　وَالسُّمُّ مِنْ ذِي حُمَةٍ إِنْ لَسَعَا

وَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَرِيحٌ وَمَطَرْ　　وَالنَّاسُ وَالسِّبَاعُ وَالنَّاسُ أَشَرْ

حَتَّى إِذَا مَا عَدِمَ الشَّبَابَا　　عَايَنَ فِي مَشِيبِهِ الْعَذَابَا

وَلَوْ نَجَا مِنْ هَوْلِ هَذَا كُلِّهِ　　كَفَاهُ ذِكْرُ الْمَوْتِ عِنْدَ حَلِّهِ

وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ وَالْأَوْلَادِ　　وَالْهَوْلُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ

كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُعَدَّ عَاجِزَا　　إِنْ لَمْ يَرُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَاجِزَا

وَيَرْفُضِ اللَّذَّاتِ كُلَّ رَفْضِ　　وَيُبْغِضِ الدُّنْيَا أَشَدَّ بُغْضِ

لَا سِيَمَا فِي عَصْرِنَا ٱلْمَذْمُومِ ... أَلْكَدِرِ ٱلْمَشُوبِ بِٱلْهُمُومِ
فَإِنَّنَا قَدْ نَجِدُ ٱلزَّمَانَا ... فِي كُلِّ أَرْضٍ عَدِمَ ٱلْإِحْسَانَا
وَفُقِدَ ٱلصِّدْقُ بِهِ حَتَّى عُدِمْ ... فَمَنْ تَعَاطَى ٱلْبِرَّ وَٱلْخَيْرَ نَدِمْ
أَصْبَحَ كُلُّ ضَائِرٍ مَوْجُودَا ... فِيهِ وَكُلُّ نَافِعٍ مَفْقُودَا
فَٱلْخَيْرُ جَاثٍ قَدْ ذَوَتْ أَغْصَانُهْ ... وَٱلشَّرُّ نَامٍ قَدْ زَكَتْ أَفْنَانُهْ
وَٱلرُّشْدُ بَاكٍ وَٱلضَّلَالُ ضَاحِكُ ... وَٱلْجَوْرُ نَاجٍ وَٱلصَّوَابُ هَالِكْ
واللُّؤْمُ أقوى شوكةً من الكرَمِ ... وَٱلْوِدُّ مَا بَيْنَ ٱلْوَرَى قَدِ ٱنْصَرَمْ
فَوُصِلَ ٱلْأَرَاذِلُ ٱلْأَغْمَارُ ... وَخُصَّ بِٱلْكَرَامَةِ ٱلْأَشْرَارُ
إِسْتَيْقَظَ ٱلْغَدْرُ وَقَدْ نَامَ ٱلْوَفَا ... وَفُقِدَ ٱلصِّدْقُ وَإِخْوَانُ ٱلصَّفَا
وَأَثْمَرَ ٱلْكِذْبُ فَأَضْحَى نَامِيَا ... وَقَحَلَ ٱلصِّدْقُ فَأَمْسَى ذَاوِيَا
وَظَهَرَ ٱلْجَوْرُ بِدَثْرِ ٱلْعَدْلِ ... وَضُيِّعَ ٱلْحِكْمُ وَكُلُّ فَضْلِ
وَأُذْعِنَ ٱلْمَظْلُومُ لِلْخَسْفِ وَقَدْ ... قادَ الهوى كُلَّ الوَرَى عَنِ ٱلرُّشْدْ
وَأَصْبَحَ ٱلظَّالِمُ مُسْتَطِيلَا ... وَفَغَرَ ٱلْحِرْصُ فَمًا أَكُولَا
مِنْ بَعْدِ مَا عَادَ ٱلْحِجَى مَجْهُولَا ... وَٱلشَّرُّ قَدْ سَامَى ٱلسَّمَآءَ طُولَا
وَوَدَّ أَهْلُ ٱلْبِرِّ لَوْ قَدْ دُفِنُوا ... في بطنِ هذه الأرضِ مِمَّا ٱمْتُحِنُوا
وَفُقِدَتْ مِنَ ٱلْوَرَى ٱلْمُرُوَّهْ ... وَأَضْحَتِ ٱلدُّنَاةُ ذَاتَ قُوَّهْ

وَآثَرَ السُّلْطَانُ أَهْلَ النَّقْصِ وَعَادَتِ الآثَامُ ذَاتَ رَقْصِ
تَقُولُ قَدْ غُيِّبَتِ الْخَيْرَاتُ وَظَهَرَتْ فِي الْعَالَمِ السَّوْآتُ
لَمَّا رَأَيْتَ شَرَفَ الإِنْسَانِ وَهُوَ مِنَ الأَيَّامِ فِي امْتِحَانِ (١)
«عَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ الْعَجَبِ وَقُلْتُ لاَ بُدَّ لِذَا مِنْ سَبَبِ»
«إِذْ لَيْسَ ذُو عَقْلٍ وَلاَ يَحْتَالُ كَيْ لاَ يَنَالَ نَفْسَهُ الْوَبَالُ»
«وَبَعْدَ جُهْدِ النَّفْسِ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ أَمْرِ هَذَا السَّبَبِ الْغَرِيبِ»
وَجَدْتُ ذَاكَ لَذَّةً حَقِيرَهْ يَتْرُكُ فِيهَا نَفْسَهُ أَسِيرَهْ
«يَنَالُهَا مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَذَاكَ لاَ شَكَّ هَلاَكُ النَّفْسِ
«إِذْ إِنَّهَا تَشْغَلُ كُلَّ حِسِّهِ فَيَتَوَانَى فِي خَلاَصِ نَفْسِهِ»
كَرَجُلٍ مَرَّ لِخَوْفٍ وَانْهَزَمْ حَتَّى أَتَى جُبًّا رَجَاهُ مُعْتَصَمْ
فَحِينَ دَلَّى نَازِلاً رِجْلَيْهِ أَعْلَقَ غُصْنَيْ دَوْحَةٍ يَدَيْهِ
مُعْتَمِدًا فِيهَا عَلَى حَيَّاتِ كَرَائِهِ الْمَنْظَرِ هَائِلاَتِ
فَاغِرَةٍ أَفْوَاهَهَا إِلَيْهِ كَاشِرَةٍ أَنْيَابَهَا عَلَيْهِ

---

(١) بعد هذا بيت حذفته لعدم الرابط بين سابقه وبينه او بينه وبين اللاحق وهو:

يعرف مني الصدق كل عاقل وليس في خلاصه بعامل

وَجُرَذَانِ يَقْرِضَانِ ٱلْغُصْنَيْنْ … مِنْ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ مُجِدَّيْنْ

وَأَسْفَلَ ٱلْبِئْرِ رَأَى تِنِّينَا … فَأَبْصَرَ ٱلْمَوْتَ بِهِ يَقِينَا

ثُمَّ رَأَى شَهْدًا فَذَاقَ طَعْمَهُ … وَصَارَ مِنْ دُونِ ٱلْمُهِمِّ هَمَّهُ

وَنَسِيَ ٱلْآفَاتِ وَٱلْمَتَالِفَا … وَكُلُّ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ خَائِفَا

فَٱلْجُبُّ كَٱلدُّنْيَا وَغُصْنَاهُ ٱلْأَجَلْ … وَٱلْجُرَذَانِ ٱبْنَا سَمِيرٍ فِي ٱلْمَثَلْ

وَٱلْأَرْبَعُ ٱلْحَيَّاتُ كَٱلطَّبَائِعِ … وَٱلْعَبُّ فِي أَخْلَاطِهَا ٱلْجَوَامِعِ

وَذَلِكَ ٱلتِّنِّينُ مِثْلُ ٱلْعَاقِبَهْ … وَإِنَّهَا لِهُلْكِهِ مُرَاقِبَهْ

وَٱلشَّهْدُ كَٱللَّذَّاتِ وَٱلْآمَالِ … تَشْغَلُهُ عَنْ وَاجِبِ ٱلْأَشْغَالِ

فَسَاقَنِي إِلَى ٱلرِّضَى بِحَالِي … لِأُصْلِحَ ٱلْفَاسِدَ مِنْ أَعْمَالِي

مُنْتَظِرًا بَعْدُ دَلِيلًا هَادِيَا … وَصَاحِبًا فِيمَا يُهِمُّ كَافِيَا

« وَقَدْ رَحَلْتُ لِبِلَادِ ٱلْهِنْدِ … وَطَلَبُ ٱلدَّوَاءِ كَانَ قَصْدِي »

« مِنْهَا رَجَعْتُ وَإِلَيْهَا سِرْتُ … ثَانِيَةً إِذْ إِنَّنِي أُمِرْتُ »

ثُمَّ ٱنْتَسَخْتُ كُتُبَ ٱلسَّدَادِ … لَمَّا تَوَجَّهْتُ إِلَى بِلَادِي

بَابُ

ٱلْأَسدِ وَالثَّوْرِ

وَهُوَ مَثَلُ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا ٱلْوُشَاةُ ٱلْخَوَنَةُ وَيَحْمِلُونَهُمَا عَلَى ٱلْعَدَاوَةِ

قَالَ كَبِيرُ ٱلْهِنْدِ وَهُوَ دَيْشَلَمْ (١) ... لِلْفَيْلَسُوفِ أَنْتَ فِي ٱلْعِلْمِ عَلَمْ

فَأَضْرِبْ لَنَا ٱلْأَمْثَالَ فِي ٱلْإِخْوَانِ ... تُفْسِدُهُمْ سِعَايَةُ ٱلْخَوَّانِ

حَتَّى يَعُودَ وُدُّهُمْ عَدَاوَهْ ... مَرَارَةً تَحْدُثُ مِنْ حَلَاوَهْ

فَقَالَ فِي ذَاكَ ٱلْحَكِيمُ بَيْدَبَا ... مُنَقِّحًا أَمْثَالَهُ مُهَذِّبَا

قَدْ يَقْطَعُ ٱلْوُشَاةُ حَبْلَ ٱلْوَصْلِ ... بَيْنَ ٱلْخَلِيلَيْنِ بِغَيْرِ أَصْلِ

أَضْرِبُ فِي ذَلِكَ لِلنَّاسِ مَثَلْ ... بِتَاجِرٍ لَامَ بَنِيهِ وَعَذَلْ

فِي تَرْكِهِمْ صَلَاحَهُمْ وَصُنْعَهُمْ ... مَا لَا يَعُودُ أَبَدًا بِنَفْعِهِمْ

«قَالَ لَهُمْ وَهُوَ تَقِيٌّ صَالِحُ ... أَلَا ٱسْمَعُوا بَنِيَّ إِنِّي نَاصِحُ»

---

(١) اي دبشليم وقد سماه كذا في سائر الكتاب • اما بيدبا فقد سماه ديدبا و بيدبا فاثبته بيدبا لاعتقادي ان الاختلاف من اغلاط النسخ •

مَقَاصِدُ ٱلْعَاقِلِ مِنْ دُنْيَاهُ ... مَالٌ وَزَادٌ لِلرَّدَى وَجَاهُ
وَإِنَّمَا يُدْرِكُهَا بِأَرْبَعَهْ ... كَسْبِ حَلَالٍ وَٱبْتِغَاءِ مَنْفَعَهْ
بِكَثْرَةِ ٱلْإِنْمَاءِ وَٱلتَّثْمِيرِ ... وَٱلْقَصْدِ فِي ٱلْإِنْفَاقِ وَٱلتَّدْبِيرِ
لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخِلِّهِ ... ذَلِكَ زَادُ بَعْثِهِ مِنْ حِلِّهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِفَقْرِهِ بِمُكْتَسِبْ ... فَإِنَّهُ كَمِثْلِ مَيْتٍ قَدْ عَطِبْ
أَوْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا ٱكْتِسَابِ ... فَأَنْفَقَ ٱلْمَالَ بِلَا حِسَابِ
أَوْشَكَ أَنْ يَبْقَى بِغَيْرِ مَالِ ... فَٱلْكُحْلُ لَا يَبْقَى عَلَى ٱلْأَمْيَالِ
أَوْ لَمْ يُصِبْ مَوَاضِعَ ٱلْإِنْفَاقِ ... فَلَيْسَ فِي ٱلنَّاسِ بِذِي خَلَاقِ
وَإِنْ غَدَا مُقَتِّرًا بَخِيلَا ... كَيْ لَا يَكُونَ عَائِلًا مُعِيلَا
فَهْوَ عَلَى غِنَاهُ كَالْفَقِيرِ ... وَمَالُهُ كَالْمَاءِ فِي ٱلْغَدِيرِ
يَسِيلُ مِنْ جَمَاعَةِ ٱلنَّوَاحِي ... فِي غَيْرِ مَا نَفْعٍ وَلَا صَلَاحِ
وَرُبَّمَا صَارَ كَبِيرًا فَٱنْدَفَقْ ... أَوْ عَادَ فِي شَاطِئِهِ بَثْقٌ فَٱنْبَثَقْ
كَذَاكَ مَنْ لَا يُنْفِقُ ٱلْأَمْوَالَا ... فِي حَقِّهَا إِذْ أَضْرِبُ ٱلْأَمْثَالَا
يَجْمَعُهَا لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثِ ... أَوْ طَارِقٍ مِنَ ٱللَّيَالِي كَارِثِ
فَٱتَّعَظُوا بِقَوْلِهِ وَٱرْتَدَعُوا ... ثُمَّ إِلَى رِضَاهُ جَمْعًا رَجَعُوا
وَٱتَّجَهَ ٱلْأَكْبَرُ لِلتِّجَارَهْ ... فَسَاقَ ثَوْرَيْنِ مَعَ ٱلسَّيَّارَهْ

بِعَجَلٍ مُحْكَمَةٍ مُضَبَّبَهْ | وَاسْمَاهُمَا بَنْدَبَةٌ وَشَتْرَبَهْ (١)
فَاجْتَازَ إِذْ مَرَّ بِوَحْلٍ فِي سَبَخْ | فَغَاصَ فِيهِ ثَوْرُهُ حَتَّى رَسَخْ
حَتَّى إِذَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْخَبَثْ | قَصَّرَ عَنْ أَصْحَابِهِ وَمَا انْبَعَثْ
فَسَارَ عَنْهُ رَاحِلاً وَوَكَّلاَ | بِهِ مِنَ الصَّحْبِ خَؤُونًا وَكِلاَ
فَلَمْ يُقِمْ عَلَيْهِ ذَاكَ الرَّجُلُ | كَذَلِكَ الْوَغْدُ الْخَؤُونُ يَفْعَلُ
«بَلْ تَرَكَ الثَّوْرَ وَجَاءَ صَاحِبَهْ | وَقَالَ قُمْتُ بِالْفُرُوضِ الْوَاجِبَهْ»
«لَكِنَّمَا الْإِنْسَانُ لاَ يُغْنِيهِ | شَيْءٌ وَلاَ اجْتِهَادُهُ يَقِيهِ»
«إِذَا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ وَانْصَرَمَتْ | وَمِنْهُ أَسْبَابُ الْمَنَايَا اقْتَرَبَتْ»
«كَرَجُلٍ قَدْ سَارَ وَسْطَ بَادِيَهْ | وُحُوشُهَا كَاسِرَةٌ وَضَارِيَهْ»
«وَبَعْدَ أَنْ سَارَ قَلِيلاً صَادَفَا | ذِئْبًا فَعَادَ مِنْهُ يَجْرِي خَائِفَا»
«مُلْتَفِتًا لِيُمْنَةٍ وَيُسْرَهْ | لَعَلَّهُ يَنْجُو وَيُكْفَى شَرَّهْ»
«فَلَمَحَ الْقَرْيَةَ مِنْ بَعِيدِ | فَأَمَّهَا يَرْكُضُ كَالطَّرِيدِ»
«فَصَدَّهُ نَهْرٌ سَرِيعٌ يَزْخَرُ | وَلَيْسَ فَوْقَ الْمَاءِ جِسْرٌ يُعْبَرُ»
«فِي الْحَالِ أَلْقَى نَفْسَهُ لَمْ يَقِفِ | فَكَادَ يَلْقَى الْحَتْفَ لَوْ لَمْ يُسْعَفِ»

---

(١) كان الاصل :

بَنْدَبَهْ قد سماها وشتربه | بعجل محكمة مضببه

« حِينَئِذٍ بِجَانِبِ ٱلْوَادِي نَظَرْ   بَيْتاً فَلَمَّا جَاءَهُ أَلْفَى ٱلْخَطَرْ »

« رَأَى لُصُوصاً قَتَلُوا ذَا مَالِ   وَٱجْتَمَعُوا لِقِسْمَةِ ٱلْأَثْقَالِ »

« فَخَافَ مِنْهُمْ وَمَضَى حَيْرَانَا   يَسْأَلُ أَيْنَ يَجِدُ ٱلْأَمَانَا »

« وَمَرَّ حَتَّى بَلَغَ ٱلْأَبْيَاتَا   وَثَمَّ سَدَّ جُوعَهُ وَٱقْتَاتَا »

« وَنَامَ تَحْتَ حَائِطٍ وَبَاتَا   هَوَى ٱلْجِدَارُ فَوْقَهُ فَمَاتَا »

« فَقَالَ رَبُّ ٱلثَّوْرِ قَدْ سَمِعْتُ   هٰذَا ٱلْمِثَالَ وَبِهِ ٱقْتَنَعْتُ »

وَٱنْطَلَقَ ٱلثَّوْرُ فَأَلْفَى مَرْجَا   بِهِ حَيَاةُ مِثْلِهِ تُرْجَى

مَرْعًى كَمَا يَخْتَارُهُ وَمَوْرِدُ   فَقَالَ هٰذَا لَا سِوَاهُ أَقْصُدُ

وَظَلَّ فِيهِ بُرْهَةً فَسَمِنَا   وَصَالَ وَٱشْتَطَّ وَكَانَ زَمِنَا

فَخَارَ وَٱلثَّوْرُ يَخُورُ أَبَدَا   فَرَاعَ فِي قُرْبِ ٱلْمَكَانِ أَسَدَا

إِسْتَخْدَمَ ٱلْوُحُوشَ وَٱلسِّبَاعَا   وَعَادَ فِيهَا مَلِكاً مُطَاعَا

لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعِ ٱلْخُوَارَا   قَبْلُ فَخَارَ خِيفَةً وَحَارَا

ثُمَّ أَقَامَ مُدَّةً مَكَانَهُ   تَجَلُّدًا غَرَّ بِهِ أَعْوَانَهُ

وَكَانَ فِي عَسْكَرِهِ وَجُنْدِهِ   خِلَّانِ كُلٌّ مُخْلِصٌ فِي وُدِّهِ

كَٱلْأَخَوَيْنِ وَهُمَا ٱبْنَا آوَى   قَدْ أَحْرَزَا فِي كُلِّ فَضْلٍ شَأْوَا

وَٱسْمَاهُمَا كَلِيلَةٌ وَدِمْنَةْ   كِلَاهُمَا ذُو أَدَبٍ وَفِطْنَةْ

وَدِمْنَةُ ٱلْأَدْهَى بِغَيْرِ شَكِّ … بِكَيْدِهِ يُفْرِجُ كُلَّ ضَنْكِ

لٰكِنَّهُ أَدْنَاهُمَا وَأَشْرَهُ … لَا يَأْمَنُ ٱلنَّاسُ جَمِيعًا شَرَّهُ

فَقَالَ وَٱسْتَعْجَلَ يَا كَلِيلَهْ … أَرَى ٱلْهُمَامَ نَفْسَهُ ثَقِيلَهْ

وَقَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدِ … فَلَيْسَ بِٱلْغَادِي وَلَا بِٱلصَّائِدِ

فَقَالَ لَا تُعْنَ بِمَا لَا يَعْنِيكْ … وَلَا يَبِنْ هٰذَا ٱلْكَلَامُ مِنْ فِيكْ

« نَحْنُ عَلَى بَابِ ٱلْمَلِيكِ شَأْنُنَا … حُبُّ ٱلَّذِي هَوِيَ وَبُغْضُ مَا شَنَا »

« لَسْنَا مِنَ ٱلْمَرْتَبَةِ ٱلَّتِي يَنَالْ … أَمْرَ ٱلْمُلُوكِ أَهْلُهَا بِلَا مُحَالْ »

« فَدَعْ إِذًا أَمْرَ ٱلْمَصُونِ عَنْكَا … إِنْ لَمْ تَدَعْهُ عَنْكَ تَلْقَ ضَنْكَا »

وَلَا تَكُنْ كَٱلْقِرْدِ لَمَّا سَلَكَا … غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْعُقَلَا فَهَلَكَا

كَذَاكَ مَنْ يَأْخُذُ غَيْرَ شَانِهْ … يَرْدَى وَلَا يَسْلَمُ مِنْ زَمَانِهْ

قَالَ لَهُ وَكَيْفَ حَالُ ٱلْقِرْدِ … أَوْضِحْهُ لِي يَا سَيِّدِي وَأَبْدِ

قَالَ رَأَى لِحِينِهِ نَجَّارَا … يَشُقُّ عُودَ خَشَبٍ نُضَارَا

« وَكُلَّمَا شَقَّ ذِرَاعًا أَدْخَلَا … فِي ٱلشَّقِّ مِنْهُ وَتَدًا مُعَجَّلَا »

فَرَامَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ … وَلَمْ يَكُنْ أَحْكَمَهُ لِجَهْلِهِ

فَٱشْتَغَلَ ٱلنَّجَّارُ عَنْهُ وَلَهَا … فَرَكِبَ ٱلْقِرْدُ ٱلْمَكَانَ سَفَهَا

« وَجَعَلَ ٱلْوَجْهَ لِجَانِبِ ٱلْوَتَدْ … وَإِنَّهُ نَزَعَهُ بِلَا رَشَدْ »

وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَا قَدْرُ ٱلْوَتَدْ
فَحَصَلَ ٱلذَّنْبُ حِينَمَا صَعَدْ

فِي ٱلشَّقِّ فَٱنْضَمَّتْ عَلَيْهِ ٱلْخَشَبَهْ
وَجَاءَهُ صَاحِبُهَا فَضَرَبَهْ .

« فَقَالَ مَا كُلُّ ٱلرِّجَالِ يَخْدُمُ
سُلْطَانَهُ لِلْقُوتِ أَنْتَ أَعْلَمُ »(١)

لَكِنْ لِجَاهٍ يُرْغِمُ ٱلْأَعَادِي
بِٱلضُّرِّ أَوْ لِنَفْعِ ذِي ٱلْوِدَادِ

وَٱلْمَالُ مَقْصُودٌ لَدَى ٱللِّئَامِ
كَٱلْكَلْبِ إِذْ يَقْنَعُ بِٱلْعِظَامِ

وَٱلْفَاضِلُ ٱلْكَامِلُ مِثْلُ ٱلْأَسَدِ
يَسْمُو إِلَى ٱلْقَدْرِ ٱلْبَعِيدِ ٱلْأَمَدِ

إِذَا تَرَاءَى مُسْتَحَلٌّ أَرَادَهْ
قَصْدًا وَخَلَّى كُلَّ صَيْدٍ صَادَهْ

وَٱلْكَلْبُ يُرْضِي نَفْسَهُ بِكَسْرَهْ
وَٱلْفِيلُ لَا يَرْجُو ٱلْغُلَامَ كَسْرَهْ

بِعَلَفٍ يُطْعِمُهُ وَإِنَّمَا
يَمْسَحُهُ بِكَفِّهِ مُعَظِّمَا

إِنَّ ٱلْفَتَى إِذَا غَدَا جَلِيلَا
كَانَ قَصِيرُ عُمْرِهِ طَوِيلَا

وَٱلْخَامِلُ ٱلْمُضْطَهَدُ ٱلْمَغْمُورُ
فِيهَا طَوِيلُ عُمْرِهِ قَصِيرُ

وَٱلْبَائِسُ ٱلْمِسْكِينُ مَنْ لَمْ يُؤْمَلِ
بَلْ هُوَ مِثْلُ ٱلسَّارِحَاتِ ٱلْهُمَّلِ

يَسْعَى لِمِلْءِ بَطْنِهِ لَا غَيْرِهِ
لَا يَطْمَعُ ٱلدَّهْرَ ٱمْرُؤٌ فِي خَيْرِهِ

قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ ٱلرَّشِيدُ
فَهِمْتُ مِنْ قَوْلِكَ مَا تُرِيدُ

---

(١) كان الاصل :

فقال ما كل الرجال السلطان
يخدم للقوت فذاك خلان .

لَكِنْ لِكُلٍّ مَوْضِعٌ وَمَنْزِلَهْ　　يَرْضَى بِهَا ذُو الكَيْسِ دونَ ذي البلهْ

لَاسِيَّمَا وَهْيَ لَهُ مُسَلَّمَهْ　　وَحَالُهُ بِحِفْظِهَا مُنْتَظِمَهْ

وَحَالُنَا مَرْضِيَّةٌ مَحْمُودَهْ　　وَنَحْنُ فِي مَنْزِلَةٍ مَحْسُودَهْ

«ثُمَّ لِكُلٍّ رُتْبَةٌ مُقَرَّرَهْ　　عَلَيْهِ مُنْذُ خَلْقِهِ مُقَدَّرَهْ»

«فَمَا لَهُ إِلَّا الرِّضَى بِحَالِهِ　　مِنْ جِسْمِهِ وَعِزِّهِ وَمَالِهِ»

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنَّ الْمَاجِدَا　　يَسْمُو إِلَى أَعْلَى الْأُمُورِ صَاعِدَا

«أَمَّا اللَّئِيمُ فَهْوَ كُلَّ يَوْمِ　　يَحُطُّ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْقَوْمِ»

«وَالْحَطُّ مِنْ أَوْجِ الْعُلَى يَسِيرُ　　أَمَّا ارْتِقَاءُ الْمَجْدِ فَعَسِيرُ» (١)

أَلَسْتَ تَدْرِي أَنَّ طَرْحَ الْحَجَرِ　　أَسْهَلُ مِنْ إِصْعَادِهِ لَا تَمْتَرِ

قَالَ فَمَا عَزْمُكَ قَالَ سَاعِدِ　　لَا خَيْرَ فِي كَفٍّ بِغَيْرِ سَاعِدِ

لِأَطْلُبَ الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَهْ　　وَأَسْحَرَ الْهُمَامَ بِالْخَدِيعَهْ

شَخْصٌ عَظِيمٌ مِلْءُ عَيْنِ النَّاظِرِ　　لَكِنَّهُ غِمْرٌ ضَعِيفُ الْخَاطِرِ

قَالَ وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَا　　قَالَ بِرَأْيِي لَسْتُ فِيهِ آفِكَا

قَالَ فَمَا أَنْتَ مِنَ الْأَعْوَانِ　　فَكَيْفَ تَرْجُو خِدْمَةَ السُّلْطَانِ

---

(١) كان الاصل :

كما الذي في كل يوم يستفل　　وذاك سهل وشديد ان يعل

فَقَالَ لِي رَأْيٌ وَعَقْلٌ وَأَدَبْ وَهُنَّ لِي إِلَى ٱلَّتِي أَبْغِي سَبَبْ
إِنَّ ٱلشَّدِيدَ يَحْمِلُ ٱلْأَثْقَالَا وَٱلْكَسْبُ لَيْسَ يُعْجِزُ ٱلْمُحْتَالَا
مَا عَاقِلٌ فِي بَلْدَةٍ غَرِيبَا مَنْ لَايَنَ ٱلنَّاسَ غَدَا حَبِيبَا
قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ ٱلسُّلْطَانُ إِنْعَامُهُ ٱلْمَقْسُومُ وَٱلْإِحْسَانُ
لَيْسَ بِقَدْرِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْكَمَالِ بَلْ هُوَ لِلْأَدْنَى مِنَ ٱلرِّجَالِ (١)
كَٱلْكَرْمِ لَا يَلْزَمُ إِلَّا مَاقَرُبْ مِنْهُ سِوَاءَ ٱلْأَمْرَ حَمْلَا أَمْ عَذُبْ (٢)
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنَّمَا دَنَوا مِنْهُ وَفَازُوا بِٱلثَّرَاءِ وَٱقْتَنَوا
بِٱلنُّصْحِ وَٱلْخِدْمَةِ وَٱلْمُلَازَمَهْ وَلِي عَلَى ذَلِكَ نَفْسٌ عَازِمَهْ
فَقَلَّ مَنْ لَازَمَ ذَاكَ وَٱحْتَمَلْ فِيمَا يُرَجِّيهِ ٱلْأَذَى إِلَّا وَصَلْ
قَالَ لَهُ هَبْكَ وَصَلْتَ بَابَـهْ وَلَمْ تَخَفْ إِذْ جِئْتَهُ حُجَّابَهْ
فَمَا ٱلَّذِي تَسْمُو إِلَى ٱلْحَظِّ بِهِ قَالَ مَقَالَ عَاقِلٍ مُنْتَبِهِ
اذَا عَرَفْتُ طَبْعَهُ وَخُلْقَهْ وَرِفْقَهُ فِي أَمْرِهِ وَخُرْقَهْ
تَبِعْتُ فِي مَشُورَتِي هَوَاهُ مُتَّبِعًا بِغِشِّهِ رِضَاهُ

---

(١) كان الاصل :
يخلص للادنى من الرجال ليس بقدر الفضل والكمال
(٢) كان الاصل : منه وان طاب جناه وعذب

أَوْ نَاصِحًا فِيمَا يَعِنُّ صَادِقَا ‏ مُطَابِقًا لِعَزْمِهِ مُوَافِقَا

أَصْرِفُهُ عَنْ كُلِّ مَا يَضُرُّهُ ‏ إِلَى ٱلَّذِي مِنْ أَمْرِهِ يَسُرُّهُ

مُبَالِغًا فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلتَّلَطُّفِ ‏ لَا قَائِلًا قَوْلَ ٱلْعَنِيفِ ٱلْمُسْرِفِ

حِينَئِذٍ يَخْتَصُّنِي لِنَفْسِهِ ‏ مِنْ دُونِ أَهْلِ نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ

قَالَ لَهُ ٱحْذَرْ صُحْبَةَ ٱلسُّلْطَانِ ‏ فَلَيْسَ مَوْلَاهُ عَلَى أَمَانِ

قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ ‏ ثَلَاثَةٌ تَفْرَقُ أَهْلَ ٱلْحَزْمِ

فَصُحْبَةُ ٱلْمَلْكِ وَشُرْبُ ٱلسُّمِّ ‏ ثُمَّ ٱئْتِمَانُ ٱلْغَانِيَاتِ ٱلْمَعْنِي

فَلَيْسَ يَنْجُو وَاحِدٌ مِنْ شَرِّهَا ‏ وَلَا يَكُونُ آمِنًا مِنْ ضَرِّهَا

وَإِنَّمَا ٱلسُّلْطَانُ مِثْلُ ٱلْجَبَلِ ‏ وَهُوَ بِأَنْوَاعِ ٱلثِّمَارِ مُمْتَلِي

«لَكِنَّهُ مَحَلَّةُ ٱلْأَدْبَابِ ‏ وَمَعْدِنُ ٱلسِّبَاعِ وَٱلذِّئَابِ»[1]

«فَٱلِٱرْتِقَا إِلَيْهِ صَعْبٌ وَٱلْمُقَامْ ‏ فِيهِ أَشَدُّ خَطَرًا مِنَ ٱلصِّدَامْ»

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ مَنْ خَافَ ٱلْأَجَلْ ‏ لَمْ يُدْرِكِ ٱلْحَظَّ وَلَمْ يَحْوِ ٱلْأَمَلْ

وَإِنَّمَا ٱلْمَغْنَمُ لِلْمُغَامِرِ ‏ وَٱلرِّبْحُ فِي ٱلْمَتْجَرِ لِلْمُسَافِرِ

أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ ثَلَاثَةْ ‏ لَا تُسْتَطَاعُ ٱلدَّهْرَ بِٱلدَّمَاثَةْ

---

(١) كان الاصل :

لكنها محمية من راع ‏ لخوف ما فيها من السباع .

تِجَارَةُ ٱلْبَحْرِ وَفِي ذَاكَ خَطَرَ "وَٱلْحَرْبُ مَنْ يَهْجِمْ يَنَلْ فِيهَا ٱلظَّفَرْ"[1]

وَعَمَلُ ٱلسُّلْطَانِ صَعْبٌ جِدًّا إِلاَّ إِذَا رُزِقْتَ فِيهِ جَدَّا

فَلْيَكُنِ ٱلْحُرُّ مَعَ ٱلْمُلُوكِ أَوْ نَاسِكًا فِي مَوْضِعٍ مَتْرُوكِ

كَٱلْفِيلِ إِمَّا مَرْكَبُ ٱلسُّلْطَانِ أَوْ فِي مَكَانٍ لَيْسَ ذَا مَكَانِ

دَعَا لَهُ حِينَئِذٍ كَلِيلَهْ بِٱلنَّصْرِ وَٱلتَّوْفِيقِ عِنْدَ ٱلْحِيلَهْ

فَجَاءَ يَبْغِي ٱلْمَلِكَ ٱلْمُحَجَّبَا فَقَالَ مَنْ ذَلِكَ لَمَّا ٱقْتَرَبَا

قَالُوا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنَ يُنْسَبُ فَقَالَ قَدْ كَانَ أَبُوهُ يَقْرُبُ

أُدْنُ وَأَيْنَ كُنْتَ هَذِي ٱلْمُدَّهْ . فَقَالَ بِٱلْبَابِ سِنِينَ عِدَّهْ

مُنْتَظِرًا أَمْرًا أَقِي فِيهِ ٱلْمَلِكْ بِمُهْجَتِي إِذِ ٱلْجَنَانُ مُرْتَبِكْ

وَرُبَّمَا نَابَ مُلِمٌّ وَوَقَعْ فَرَدَّهُ عَنْهُ بِمِثْلِي وَدَفَعْ

فَرُبَّمَا ٱسْتَنْفَعَ غَيْرَ غَاوِي أَلرِّجْلُ ٱلضَّرْبُ بِعُودٍ ذَاوِي

يَحُكُّ أُذْنَيْهِ بِهِ مِنَ ٱلأَذَى فَٱلْحُرُّ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ هَكَذَا

فَرَاقَهُ كَلاَمُهُ إِذْ سَمِعَهْ وَرَامَ أَنْ تَحْصُلَ مِنْهُ مَنْفَعَهْ

وَقَالَ لِلْحُضُورِ إِنَّ ٱلْفَاضِلاَ قَدْ يَغْتَدِي بَيْنَ ٱلرِّجَالِ خَامِلاَ

ثُمَّ يَنِمُّ عِلْمُهُ وَفَضْلُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْتَلِي مَحَلَّهُ

---

(١) كان الاصل : من لم يصل في الحرب، لم يحوِ الظفر

كَالنَّارِ إِذْ يَصُونُهَا أَصْحَابُهَا فَيَعْتَلِي مُتَّقِدًا شِهَابُهَا

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِذْ رَآهُ لِلْعَقْلِ وَالْفَضْلِ قَدِ ارْتَضَاهُ

يَا مَلِكَ الْوُحُوشِ إِحْتِمْ حَتْمَا أَنْ يُظْهِرَ الْقَوْمُ لَدَيْكَ الْعِلْمَا

حَتَّى تَرَى أَقْدَارَهُمْ فِي عِلْمِهِمْ وَنُصْحِهِمْ وَعَزْمِهِمْ وَحَزْمِهِمْ

فَالْعِلْمُ لِلْعَالِمِ مَا لَمْ يُنْشَرِ كَالْحَبِّ تَحْتَ الْأَرْضِ مَا لَمْ يَظْهَرِ

وَتَرْتَفِعْ أَوْرَاقُهُ مَجْهُولُ لَيْسَ إِلَى عِرْفَانِهِ سَبِيلُ

وَوَاجِبٌ فَرْضٌ عَلَى السُّلْطَانِ تَحْقِيقُ كُلِّ النَّاسِ فِي الْعِرْفَانِ

حَتَّى يَكُونَ وَضْعُهُ وَرَفْعُهُ بِنِسْبَةٍ وَبَذْلُهُ وَمَنْعُهُ

أَمْرَانِ لَا يَجُوزُ أَنْ يُبَدَّلَا وَيُوضَعَا بِالْخُرْقِ أَوْ يُنَزَّلَا

«أَلتَّاجُ وَالْخَلْخَالُ فَاعْرِفْ ذَا كَا»[1] جَهْلُهُمَا عَارٌ عَلَى نُهَاكَا

أَلتَّاجُ لَا يُوضَعُ فَوْقَ الْقَدَمِ كَلَّا وَلَا الْخَلْخَالُ فَوْقَ الْقِمَمِ

إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْقِصَاصِ مَنْ رَصَّعَ الْيَاقُوتَ بِالرَّصَاصِ

وَذَاكَ لَا يُزْرِي بِقَدْرِ الْجَوْهَرِ لَكِنَّهُ مِنْ سَفَهِ الْمُدَبِّرِ

لَا تَصْحَبَنَّ جَاهِلًا يَدَيْهِ لَا يَعْرِفُ الْيَمِينَ مِنْ كَفَّيْهِ

---

(١) كان الاصل :

الحلي والرجال فاعرف ذا كا .

وَإِنَّمَا يَعْرِفُ مَا عِنْدَ الْجُنْدْ ... قَادَتُهُمْ عِنْدَ الْمَصَاعِ وَالْجَدْ
كَذَاكَ يَدْرِي قِيَمَ الرِّجَالِ ... وَلاَتُهُمْ فَارْضَ بِنَقْدِ الْوَالِي
وَالدِّينُ وَالتَّأْوِيلُ أَهْلُ الْعِلْمِ ... ثَلَاثَةٌ اِتَّفَقَتْ فِي الْاِسْمِ
وَاخْتَلَفَتْ فِي وَضْعِهَا وَالْحُكْمِ ... وَإِنَّمَا يَنْقُدُهَا ذُو الْفَهْمِ
اَلْفِيلُ وَالْعَالِمُ وَالشُّجَاعُ ... وَقَلَّمَا تَتَّفِقُ الطِّبَاعُ
اَلشُّغْلُ لاَ يَعْمَلُ عِنْدَ مَنْ نَظَرْ ... بِكَثْرَةِ الْأَعْوَانِ مِنْ غَيْرِ بَصَرْ
وَإِنَّمَا يَعْمَلُ بِالْبَصَائِرِ ... وَالْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ لاَ التَّكَاثُرِ
كَرَجُلٍ يَحْمِلُ فَوْقَ مَفْرِقِهْ ... صَخْرًا يَرُومُ بَيْعَهُ بِحُمْقِهْ
وَرَجُلٍ يَبِيعُ يَاقُوتًا لَهْ ... فَبَاعَهُ سَهْلاً وَمَا أَثْقَلَهْ
وَمَا يُرَامُ فِعْلُهُ بِالرِّفْقِ ... لاَ يُسْتَطَاعُ بِقَبِيحِ الْخُرْقِ
لاَ يَحْقِرَ الْوَالِي صَغِيرًا رُبَّمَا ... أَبْصَرَهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ قَدْ نَمَا
فَعَصَبُ الْمَيْتَةِ إِنْ صَارَ وَتَرْ[1] ... قَضَى بِهِ السُّلْطَانُ يَوْمًا مَا وَطَرْ
ثُمَّ أَرَادَ دِمْنَةُ الْحَكِيمُ ... أَنْ يَنْسُبَ التَّبْجِيلُ وَالتَّعْظِيمُ
لِفَضْلِهِ وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهْ ... كَيْ لاَ يُظَنَّ قُرْبُهُ لِنَسَبِهْ
فَقَالَ لاَ يُقَرِّبُ السُّلْطَانُ ... لِقُرْبِ آبَاءٍ كِرَامٍ كَانُوا

(١) كان الاصل : فالعقب الميت

وَإِنَّمَا يُقَرِّبُ ٱلرِّجَالاَ ... إِذَا رَأَى لَدَيْهِمِ كَمَالاَ
فَأَقْرَبُ ٱلْخَلْقِ إِلَى ٱلْمَرْءِ ٱلْجَسَدْ ... وَرُبَّمَا أَبْعَدَهُ إِذَا فَسَدْ
ثُمَّ ٱلدَّوَاءُ مِنْ بَعِيدٍ يَاتِي ... فَكَمْ قَرِيبٍ لَيْسَ بِٱلْمُوَاتِي
وَرُبَّمَا عُوْدِيَ لِلْقُرْبِ ٱلْجُرَذْ ... «لِأَنَّهُ إِنْ جَاوَرَ ٱلْأُكُلَ أَخَذْ»[1]
وَإِنَّمَا يُقَرِّبُ ٱلْبَازِيُّ ... لِصَيْدِهِ وَإِنَّهُ وَحْشِيُّ
فَٱزْدَادَ مِنْ ذَاكَ بِهِ عُجْبًا ٱلْمَلِكْ ... إِذْ قَالَ قَوْلاً صَادِقًا وَمَا أَفِكْ
فَأَحْسَنَ ٱلرَّدَّ عَلَيْهِ قَائِلاَ ... لِلْقَوْمِ لاَ يَكُ مَلِيكٌ غَافِلاَ
عَنْ حَقِّ ذِي حَقٍّ فَذَاكَ سُبَّةْ ... وَبِٱلْجَمِيلِ تُدْرَكُ ٱلْمَحَبَّةْ
بَلْ يَنْبَغِي ٱسْتِدْرَاكُهُ مَا فَرَطَا ... وَعِلْمُهُ فِي ذَاكَ أَنْ قَدْ غَلِطَا
فَهْوَ وَإِنْ أَظْهَرَ لِلْوَالِي ٱلرِّضَى ... وَلَمْ يَجِدْهُ سَاخِطًا لِمَا قَضَى
فَرُبَّمَا أَغْضَى ٱلْفَتَى عَلَى ٱلْقَذَى ... وَجَرَّ حِلْمًا ذَيْلَهُ عَلَى ٱلْأَذَى
وَقَلْبُهُ طَاوٍ عَلَى جَمْرِ ٱلْغَضَا ... وَعَزْمُهُ مِثْلُ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُنْتَضَى
فَٱلنَّاسُ إِثْنَانِ فَطَبْعٌ وَاحِدِ ... شَرَاسَةُ ٱلْأَخْلَاقِ وَٱلْعَقَائِدِ
وَذَاكَ كَٱلْحَيَّةِ إِنْ لَمْ تَلْسَعِ ... وَاطِئَهَا مِنْ وَقْتِهِ فَلْيَفْزَعِ
وَلَا يَعُدْ لِدَوْسِهَا مُغْتَرًّا ... بِهِ فَيَلْقَى مِنْهُ أَمْرًا مُرًّا

---

(١) كان الاصل : وانه جار لشيء ان اخذ

وَرَجُلٌ عَادَتُهُ ٱلْمُسَاهَلَهْ وَرُبَّمَا تُحِيلُهُ ٱلْمُعَامَلَهْ

فَٱلْحَكُّ قَدْ يُعِيدُ بَرْدَ ٱلصَّنْدَلِ حَرَارَةً لَا تُسْتَطَاعُ فَٱعْقِلِ (١)

ثُمَّ خَلَا دِمْنَةُ لَمَّا آنَسَا "قُرْبًا وَقَالَ إِذْ غَدَا مُجَالِسَا" (٢)

مَا لِي رَأَيْتُ ٱلْمَلِكَ ٱلْعَظِيمَا شَهْرَيْنِ فِي مَكَانِهِ مُقِيمَا

قَدْ رَابَنِي ذَاكَ فَمَا كَانَ ٱلسَّبَبْ قَالَ لِخَيْرٍ ثُمَّ خَارَ فَٱضْطَرَبْ

وَبَاحَ بِٱلسِّرِّ إِلَيْهِ مُظْهِرَا أَخَافُ ذَا ٱلصَّوْتَ فَقُلْ لِي مَا تَرَى

إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ جُثَّتُهْ عَظِيمَةً كَصَوْتِهِ وَقُوَّتُهْ

حِينَئِذٍ يَنْبُو بِنَا ٱلْمَقَامُ خَوْفًا وَلَا يُمْكِنُنَا ٱلْتِئَامُ

قَالَ فَهَلْ رَابَكَ غَيْرُ ذَلِكَا فَقَالَ لَا قَالَ دَعِ ٱلتَّهَالُكَا

لِمِثْلِ هَذَا لَا يُخَلَّى ٱلْمَوْطِنُ لِأَجْلِهِ يَا سَيِّدِي وَٱلْمَسْكَنُ

فَٱلْمَاءُ قَدْ يَغْلِبُ جِسْمَ ٱلسُّكَّرِ وَآفَةُ ٱلْعَقْلِ قَبِيحُ ٱلْكِبَرِ

وَتَقْطَعُ ٱلْمَوَدَّةَ ٱلنَّمِيمَهْ وَٱلْقَلْبَ خَوْفُ ٱلْوَجْبَةِ ٱلْعَظِيمَهْ

وَآفَةُ ٱلْحَيَوةِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلنَّزَقْ مَا كُلُّ صَوْتٍ يَنْبَغِي مِنْهُ ٱلْفَرَقْ

فَعِنْدَهَا قَالَ وَمَا هَذَا ٱلْمَثَلْ قَالَ حَكَى لِي فِي ٱلْحَدِيثِ مَنْ نَقَلْ

---

(١) هذا البيت متقدم في الاصل على سابقه .

(٢) كان الاصل : قربا وصار خاليًا مجالسا.

جَاءَ وَقَدْ جَاعَ أَبُو ٱلْحُصَيْنِ   غَيْضَةَ دَوْحٍ عِنْدَ مَآءِ عَيْنِ

فِي أَصْلِ بَعْضِ ٱلدَّوْحِ طَبْلٌ مُلْقَى   تَدُقُّهُ ٱلرِّيحُ بِغُصْنٍ دَقَّا

فَحَسِبَ ٱلثَّعْلَبُ فِيهِ لَحْمَا   إِذْ رَاعَهُ دَوِيُّهُ فَلَمَّا

عَالَجَهُ بِٱلْجُهْدِ حَتَّى مَزَّقَهْ   عَايَنَ كُنْهَ أَمْرِهِ وَحَقَّقَهْ

وَقَالَ مَا جَسَامَةُ ٱلْأَجْسَامِ   تُغْنِي وَلَا تَعَاظُمُ ٱلْعِظَامِ

فَهَاكَ هٰذَا مَثَلًا ضَرَبْتُهُ   وَإِنْ رَأَيْتَ قَصْدَهُ قَصَدْتُهُ

حَتَّى أَجِيَ مِنْهُ بِٱلْيَقِينِ   وَٱلْخَبَرِ ٱلْمُحَقَّقِ ٱلْمُبِينِ

فَقَالَ سِرْ إِلَيْهِ وَٱعْرِفْ حَالَهْ   وَٱصْدُقْ إِذَا مَا قُلْتَ فِي ٱلْمَقَالَهْ

فَحِينَ وَلَّى وَمَضَى عَنْهُ نَدِمْ   مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ وَمُلْتَزِمْ

يَقُولُ قَدْ يَجْفُو ٱلْفَتَى سُلْطَانَهْ   وَيَسْتَحِيلُ جَفْوَةً إِحْسَانَهْ

تَعَمُّدًا مِنْهُ وَغَيْرَ عَمْدِ   فَيَغْتَدِي ذَا تِرَةٍ وَحِقْدِ

وَقَدْ يَكُونُ ضَائِعًا فِي دَوْلَتِهْ   أَوْ مُخْفِقًا مِنْ بِرِّهِ وَنِعْمَتِهْ

أَوْ خَامِلًا مُطَّرَحًا أَوْ خَائِفَا   إِنْ كَانَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا سَالِفَا

أَوْ خُصَّ بِٱلْإِهْمَالِ وَٱلْحِرْمَانِ   مُؤَخَّرًا عَنْ جُمْلَةِ ٱلْأَقْرَانِ

فَإِنَّ مَنْ أُخِّرَ عَنْ أَقْرَانِهْ   شَاكٍ قَرِيحُ ٱلْقَلْبِ مِنْ أَضْغَانِهْ

لَوْ أُعْطِيَ ٱلدُّنْيَا لَمَا سُرَّ بِهَا   إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلْقُرَنَاءِ مُشْبِهَا

تَفْضِيلُ مَنْ لَيْسَ بِذِي فَضْلٍ عَلَى ... أَفَاضِلِ ٱلرِّجَالِ نَارٌ تُصْطَلَى

وَيُفْسِدُ ٱلطَّبَائِعَ ٱلْجَلِيلَهْ ... تَقْدِيمُكَ ٱلنَّقْصَ عَلَى ٱلْفَضِيلَهْ

لَا تَطْمَعَنْ سَفَاهَةً أَنْ يَشْكُرَا ... مَنْ كَانَ عَنْ أَقْرَانِهِ مُؤَخَّرَا

كَلَّا وَلَا تَأْمَنْ فَتًى ظَلَمْتَهْ ... وَلَا تَرُمْ شُكْرَ ٱمْرِىءٍ حَرَمْتَهْ

وَلَا صَفَاءَ فَاضِلٍ أَخَّرْتَهُ ... عَنْ نَاقِصٍ لِسَبَبٍ قَدَّمْتَهُ

أَوْ عَامِلٍ لَمْ تَجْزِهِ بِعَمَلِهْ ... أَوْ مُخْطِىءٍ جَازَيْتَهُ بِزَلَّهْ

أَوْ مَنْ خَصَصْتَ خَصْمَهُ بِبِرِّ ... فَكُلُّهَا تُوغِرُ صَدْرَ ٱلْحُرِّ

أَوْ فَاسِدَ ٱلدِّينِ سَفِيهًا قَدْ غَوَى ... أَوْ ذَا هَوًى فَآفَةُ ٱلْعَقْلِ ٱلْهَوَى

أَوْ رَجُلًا صَدِيقُهُ عَدُوُّكَا ... أَوْ رَجُلًا قَدْ فَاتَهُ حُنُوُّكَا

«فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَعْدَاءُ ... قُلُوبُهُمْ تَمْلَأُهَا ٱلْبَغْضَاءُ»

إِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ بِطَانَهْ ... أَوْ أَنْ تَرَاهُمْ مَوْضِعَ ٱلْأَمَانَهْ

وَلَمْ يَزَلْ دِمْنَةُ ذُو ٱلْآدَابِ ... مُضَيَّعًا مُطَّرَحًا بِبَابِي

وَذَاكَ لَا شَكَّ عَلَيَّ يَحْفَظُهْ ... وَٱلْحُرُّ لَا يَحْفَظُ مَنْ لَا يَحْفَظُهْ

لَعَلَّهُ يَخُونُنِي لِمَا سَلَفْ ... إِذَا رَأَى ذَا ٱلصَّوْتِ أَقْوَى وَعَرَفْ

أَوْ كَانَ يَرْجُو مِنْهُ فَضْلَ رِفْدِ ... أَوْ فَوْقَ مَا كَانَ يَنَالُ عِنْدِي

حِينَئِذٍ يَدُلُّهُ وَيَحْمِلُهْ ... عَلَى ٱلَّذِي أَكْرَهُهُ فَيَفْعَلُهْ

وَلَمْ يَزَلْ مُفَكِّرًا قَدْ وَجِلاَ حَتَّى رَآهُ عَائِدًا قَدْ أَقْبَلاَ
وَحِينَمَا رَآهُ عَادَ وَحْدَهُ سُرَّ وَرَدَّ حُزْنَهُ وَوَجْدَهُ
تَجَلُّدًا كَيْ لاَ يَرَى تَغَيُّرَهُ وَقَالَ هَلْ رَأَيْتَهُ أَمْ لَمْ تَرَهُ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ بَلْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ ثَوْرٌ وَهٰذَا صَوْتُهُ
قَالَ وَكَيْفَ قَدْرُهُ وَقُوَّتُهُ قُلْ لِي وَمَا إِبَاؤُهُ وَنَخْوَتُهُ
فَقَالَ لَمْ أَنْظُرْ لَهُ عِزًّا بِهِ أَعْرِفُ قَدْرَ الْجَبَلِ فِي مَنْكِبِهِ
حَاوَرْتُهُ كَأَنَّنِي نَظِيرُهُ يَوْمِي فَمَا أَزْعَجَنِي نَكِيرُهُ
وَهُوَ ذَلِيلٌ نَفْسُهُ مَهِينَهْ رِدَاؤُهُ الْوَقَارُ وَالسَّكِينَهْ
قَالَ لَهُ إِذْ سَمِعَ الْقَوْلَ الْأَسَدْ لَا تَحْسَبَنْ ذَلِكَ عَنْ ضُعْفِ جَلَدْ
فَالرِّيحُ لَا تَقْلَعُ بَقْلاً نَابِتَا وَتَقْلَعُ الدَّوْحَ الْعَظِيمَ الثَّابِتَا
كَذَلِكَ الصِّنْدِيدُ فِي لِقَائِهِ يُبَارِزُ الْمَشْهُورَ مِنْ أَكْفَائِهِ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنْ أَذِنْتَ لِي يَا مَالِكِي جِئْتُ بِهِ فِي عَجَلِ
حَتَّى يَكُونَ سَامِعًا مُطِيعَا فَلَيْسَ لِلْإِبَاءِ مُسْتَطِيعَا
قَالَ لَهُ دُونَكَ ذَاكَ فَمَضَى وَقَالَ لِلثَّوْرِ رَسُولٌ قَدْ أَتَى
مِنْ مَلِكِ السِّبَاعِ أَجْمَعِينَا فَصِرْ إِلَيْهِ وَاعْلَمَنْ يَقِينَا
أَنَّكَ انْ أَتَيْتَهُ وَلَمْ تَقِفْ أَضْرِبَ مِنْ ذَنْبِكَ عَمَّا قَدْ سَلَفْ

وَإِنْ تَلَكَّأَتَ وَلَمْ تَحْضُرْ أَعُدْ ... قَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ وَمَنْ هٰذَا ٱلْأَسَدْ
قَالَ هُوَ ٱلْمُتَوَّجُ ٱلْمُطَاعُ ... وَمَنْ عَنَتْ لِعِزِّهِ ٱلسِّبَاعُ
فَٱرْتَاعَ مِنْهُ ٱلثَّوْرُ عِنْدَ ذِكْرِهِ ... وَقَالَ إِنْ أَمَّنْتَنِي مِنْ شَرِّهِ
أَتَيْتُهُ مِنْ سَاعَتِي فَآمَنَهْ ... وَأَقْسَمَ ٱلْفَاجِرُ أَنْ مَا دَاهَنَهْ
وَجَاءَهُ ٱلثَّوْرُ فَقَالَ مَرْحَبَا ... أَهْلًا وَسَهْلًا هٰهُنَا وَقَرَّبَا
سَايَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ وَحَالِهْ ... وَلَمْ يَزَلْ يَلْطُفُ فِي سُؤَالِهْ
فَقَصَّ شَرْحَ أَمْرِهِ وَمَا كَتَمْ ... شَيْئًا فَقَالَ سَتَرَى مِنَّا ٱلنِّعَمْ
إِلْزَمْ جَنَابِي إِنَّنِي سَأُنْعِمُ ... عَلَيْكَ إِنِّي لِلضُّيُوفِ مُكْرِمُ
فَقَبَّلَ ٱلثَّوْرُ ٱلتُّرَابَ وَدَعَا ... وَجَدَّ فِي تَقْرِيظِهِ فَأَسْمَعَا
ثُمَّ ٱصْطَفَاهُ ٱلْأَسَدُ ٱلْعَظِيمْ ... فَلَمْ يَكُنْ عَنْ بَابِهِ يَرِيمْ
إِنَّ ٱلْأَدِيبَ يُكْرِمُ ٱلْأُدَبَا ... كَمَا ٱلْغَرِيبُ يَرْحَمُ ٱلْغُرَبَا
وَلَمْ يَزَلْ يَبْدُو لَهُ مِنْ عَقْلِهِ ... وَفَهْمِهِ وَحِلْمِهِ وَفَضْلِهِ
مَا رَدَّهُ بِحُبِّهِ مَشْغُوفَا ... عَنْ كُلِّ خِلٍّ غَيْرِهِ صَدُوفَا
مُؤْتَمَنًا لِلسِّرِّ وَٱلْمَشُورَهْ ... مُدَبِّرًا بِرَأْيِهِ أُمُورَهْ
لَمَّا رَأَى دِمْنَةُ إِيثَارَ ٱلْأَسَدْ ... شَتْرَبَةَ ٱغْتَاظَ لِذَاكَ وَحَسَدْ
وَسَلَّهُ حَتَّى أَتَى أَخَاهُ ... كَلِيلَةَ يَشْكُو ٱلَّذِي عَنَاهُ

قَالَ أَنَا فَعَلْتُ ذَا بِجَهْلِي فَلَيْسَ غَيْرِي مَوْضِعًا لِعَذْلِي
إِنِّي أَنَا ٱلْجَانِي فَمَنْ أَلُومُ أَنَا لَعَمْرِي ٱلظَّالِمُ ٱلْمَظْلُومُ
قَالَ لَهُ أَخُوهُ غَيْرَ آفِكِ أَرَاكَ فِيمَا جِئْتَهُ كَٱلنَّاسِكِ
وَرَهْطِهِ قَالَ لَهُ وَمَا ذَاكْ قَالَ سَمِعْتُ أَنَّ بَعْضَ ٱلنُّسَّاكْ
كَسَاهُ سُلْطَانٌ فَجَاءَ طَامِعُ فِيهَا وَظَلَّ بِٱلتُّقَى يُخَادِعُ
وَقَالَ إِنِّي رَاغِبٌ فِي صُحْبَتِكَ تَبَرُّكًا فِي سَفَرِي بِخِدْمَتِكَ
حَتَّى إِذَا أَبْصَرَهُ وَقَدْ غَفَلْ فَازَ بِهَا ثُمَّ مَضَى عَلَى عَجَلْ
وَفَقَدَ ٱلنَّاسِكُ تِلْكَ ٱلْخِلْعَهْ قَالَ خُدِعْتُ وَٱلْحُرُوبُ خُدْعَهْ
ثُمَّ مَضَى يَطْلُبُهُ فَلَمَحَا وَعْلَيْنِ قَدْ إِقْتَتَلَا وَٱنْتَطَحَا
حَتَّى جَرَى دَمٌ فَجَاءَ ثَعْلَبُ يَلْطَعُهُ لِجُوعِهِ وَيَشْرَبُ
فَنَطَحَاهُ خَطَأً فَمَاتَا وَفَاضَ مِنْ نُطْحِهِمَا وَفَاتَا
وَذَهَبَ ٱلنَّاسِكُ يَبْغِي سَارِقَهْ وَقَدْ رَمَاهُ دَهْرُهُ بِبَائِقَهْ
فَجَاءَ لَيْلًا بَلْدَةٍ مَحْصُورَهْ فَبَاتَ عِنْدَ ٱمْرَأَةٍ ضَرُورَهْ
« لَهَا فَتَاةٌ خُلْقُهَا مَشْكُورُ وَحُسْنُهَا بَيْنَ ٱلْوَرَى مَشْهُورُ »
«وَقَدْ أَحَبَّتْ أَنْ يَكُونَ رَجُلُ بَعْلًا لَهَا وَأُمُّهَا لَا تَقْبَلُ»
« بَلْ أَبْغَضَتْهُ أُمُّهَا شَدِيدَا وَعَزَمَتْ فِي ٱلْحَالِ أَنْ تَكِيدَا»

وَدَبَّرَتْ لِقَتْلِهِ تَدْبِيرَا ۞ عَادَ لَهَا لَوْ عَرَفَتْ تَدْمِيرَا

نَامَ فَجَاءَتْهُ بِسُمٍّ قَدْ سُحِقْ ۞ وَذُرَّ فِي يَرَاعَةٍ لِيَنْطَلِقْ

تَنْفُخُهُ فِي فَمِهِ وَقَدْ هَجَعْ ۞ «فَعَطَسَ ٱلرَّجُلُ عَطْسًا فَرَجَعْ»

فِي فَمِهَا ٱلسُّمُّ فَحَالًا مَاتَتْ ۞ مِنْهُ وَسَالَتْ نَفْسُهَا وَفَاتَتْ

وَٱسْتَبْدَلَ ٱلنَّاسِكُ مِنْ مَكَانِهْ ۞ بَيْتًا لِإِسْكَافٍ غَدَا لِشَانِهْ

وَقَالَ لَمَّا أَنْ مَضَى لِزَوْجَتِهْ ۞ إِنَّ أَخًا قَدْ خَصَّنِي بِدَعْوَتِهْ

فَأَكْرِمِي ٱلنَّاسِكَ وَٱخْدِمِيهِ ۞ لَا تَحْقِرِي ضَيْفِي فَتُهْمِلِيهِ

فَإِنَّ ذَاكَ مِنْ لَئِيمِ ٱلْأَخْلَاقْ ۞ أَلْمَالُ فَانٍ وَحَدِيثُهُ بَاقْ

وَٱمْرَأَةُ ٱلْإِسْكَافِ جِدُّ مُغْرَمَهْ ۞ بِرَجُلٍ كَانَتْ بِهِ مُتَيَّمَهْ

«تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ زَوْجَ ٱبْنَتِهَا ۞ وَزَوْجُهَا لَا يَبْتَغِي بُغْيَتَهَا»

جَارَتُهَا بَيْنَهُمَا سَفِيرَهْ ۞ فَرَاسَلَتْهُ وَهْيَ مُسْتَزِيرَهْ

فَجَاءَ خِلُّ ٱبْنَتِهَا مُبَادِرَا ۞ لَيْلًا وَظَنَّ زَوْجَهَا مُسْتَأْخِرَا

فَقَامَ بِٱلْبَابِ وَجَاءَ بَعْلُهَا ۞ فَٱرْتَابَ وَٱسْتَرْجَعَ مِنْهُ خِلَّهَا

وَضَرَبَ ٱلزَّوْجَةَ ضَرْبَ مُحْنَقِ ۞ وَشَدَّهَا فِي ٱلْجِذْعِ غَيْرَ مُشْفِقِ

حَتَّى إِذَا مَا غَطَّ فِي ٱلْمَنَامِ ۞ جَاءَتْ إِلَيْهَا ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ

لِأَنَّهَا كَانَتْ هِيَ ٱلرَّسُولْ ۞ تَقُولُ مَاذَا يَفْعَلُ ٱلْخَلِيلْ

قَالَتْ لَهَا نِهَايَةُ ٱلْإِحْسَانِ أَنْ تُوثِقِي نَفْسَكِ فِي مَكَانِي
«حَتَّى اذَا بَدَا لَدَيْهِ عُذْرِي» عُدْتُ وَزَوْجِي نَائِمٌ لَمْ يَدْرِ
فَأَوْثَقَتْ جَارَتَهَا بِحَبْلِهَا وَذَهَبَتْ تَبْغِي مَكَانَ خِلِّهَا
وَٱنْتَبَهَ ٱلْإِسْكَافُ مِنْ مَنَامِهْ وَعَادَ فِي ٱلْمُؤْلِمِ مِنْ كَلَامِهْ
وَلَمْ تُجِبْهُ خِيفَةً فَحَنِقَا فَقَامَ بِٱلشَّفْرَةِ لَمَّا زَهِقَا
فَحَزَّ لِلْغَيْظِ ٱلشَّدِيدِ أَنْفَهَا «وَعَادَ عَنْهَا نَاطِقًا كَٱلسُّفَهَا»
«قَالَ خُذِي أَنْفَكِ يَا ذِي أَتْحِفِي بِهِ بِلَا بُطْءٍ صَدِيقَكِ ٱلْوَفِي»
«وَسَكَتَتْ إِمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ خِيفَةَ أَنْ تُعْرَفَ بِٱلْكَلَامِ»
«وَرَجَعَتْ تِلْكَ فَلَاحَتْ مَا صَنَعْ رَجُلُهَا فَسَاءَهَا ٱلَّذِي وَقَعْ»
فَأَطْلَقَتْ جَارَتَهَا ٱلْمَجْدُوعَهْ فَٱنْطَلَقَتْ وَالِهَةً مَفْجُوعَهْ
وَمَكَثَتْ مُوثَقَةً فِي ٱلسَّارِيَهْ وَٱلْقَلْبُ فِي نَارِ عَذَابٍ حَامِيَهْ
وَأَقْبَلَتْ تَقُولُ يَا إِلٰهِي زَوْجِي قَدْ أَسْرَفَ فِي ٱلسَّفَاهِ
فَإِنْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَٱلْخُرْفِ لِي ظَالِمًا فَٱرْدُدْ عَلَيَّ أَنْفِي
ثُمَّتَ صَاحَتْ أَيُّهَذَا ٱلظَّالِمْ نِمْتَ وَمَا رَبِّيَ عَنْكَ نَائِمْ
قَدْ رَدَّ أَنْفِي إِنَّهُ لَطِيفْ فَقَالَ سِحْرٌ عَجَبٌ ظَرِيفْ
ثُمَّ أَتَاهَا فَرَآهَا صَادِقَهْ قَالَ لَهَا مَا أَنْتِ إِلَّا فَائِقَهْ

وَزَوْجَةُ ٱلْحَجَّامِ تُذْرِي دَمْعَهَا   خِيفَةَ أَنْ يَرَى ٱلْخَلِيلُ جَدْعَهَا

إِنْ قَالَ زَوْجِي لِمْ جُدِعْتِ قُولِي   فَمَا ٱلَّذِي أَقُولُ لِلْخَلِيلِ

وَلَمْ تَزَلْ لَيْلَتَهَا تَحْتَالُ   لِلْوَجْدِ فِي فُؤَادِهَا ٱشْتِعَالُ

فَٱنْتَبَهَ ٱلزَّوْجُ مِنَ ٱلْمَنَامِ   وَقَامَ كَيْ يَمْضِي إِلَى ٱلْحَمَّامِ

وَقَالَ هَاتِي عُدَّتِي لِعَمَلِي   هَيَّا أَدَاتِي أَحْضِرِي وَعَجِّلِي

وَكَرَّرَ ٱلْقَوْلَ فَمَا أَتَتْهُ   إِلَّا بِمُوسَاهُ فَأَحْفَظَتْهُ

ثُمَّ رَمَاهَا غَضَبًا بِٱلْمُوسَى   فَصَرَخَتْ وَعَمِلَتْ نَامُوسَا

أَنْفِي أَنْفِي فَأَتَى ٱلْجِيرَانُ   وَٱلْأَهْلُ وَٱلشُّرْطَةُ وَٱلْأَعْوَانُ

وَذَهَبُوا بِٱلزَّوْجِ نَحْوَ ٱلْحَاكِمِ   فَقَالَ مَا عُذْرُكَ قَوْلَ لَائِمِ

فَلَمْ يُطِقْ لِجَهْلِهِ أَنْ يَعْتَذِرْ   وَلَا لِفَرْطِ ضَعْفِهِ أَنْ يَنْتَصِرْ

فَقَالَ قَاضِي ٱلْقَوْمِ عَاقِبُوهُ   فَفِعْلُهُ مُسْتَبْشَعٌ كَرِيهُ

«حِينَئِذٍ قَامَ لَدَيْهِ ٱلْعَابِدُ   وَقَالَ يَا حَاكِمُ إِنِّي شَاهِدٌ»

«لَا يَشْتَبِهْ عَلَيْكَ هَذَا ٱلْأَمْرُ   وَإِنَّمَا فِي تِي ٱلْقَضَايَا سِرٌّ»

«فَٱللِّصُّ فِي سَرِقَتِهِ مَا أَذْنَبَا»   وَٱلْوَعِلَانِ لَمْ يُرِيدَا ٱلثَّعْلَبَا

وَٱلسُّمُّ لَمْ يَقْتُلْ وَلَا ٱلْحَجَّامُ   عَلَيْهِ إِنْ أَنْصَفْتَهُ مَلَامُ

لَكِنَّمَا بِنَفْسِهِ كُلٌّ فَعَلْ   وَهْوَ لَهَا يَا أَيُّهَا ٱلْقَاضِي قَتَلْ

«قَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي أَبِنْ لِي ٱلْقِصَّهْ ... تَزُلْ لَنَا عَنِ ٱلْقُلُوبِ غُصَّهْ»
«فَشَرَحَ ٱلنَّاسِكُ مَا كَانَ نَظَرْ ... فَدُهِشَ ٱلْقَاضِي وَقَالَ ذِي عِبَرْ»
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ قَدْ كَانَ كَذَا ... فَمَا ٱلَّذِي يَدْفَعُ عَنَّا ذَا ٱلْأَذَى
قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ ٱلسَّدِيدُ ... قَدْ كَانَ مَا كَانَ فَمَا تُرِيدُ
فَقَالَ مَا أَطْمَعُ فِي ٱلزِّيَادَهْ ... حَسْبِيَ مِنْهُ أَنْ تَعُودَ ٱلْعَادَهْ
ثَلٰثَةٌ يَنْظُرُ فِيهَا مَنْ عَقَلْ ... مَا جَاءَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَوَصَلْ
كَيْ يَتَوَقَّى ٱلشَّرَّ غَيْرَ وَانِ ... وَيَبْتَغِي ٱلْخَيْرَ ٱلَّذِي يُعَانِي
قِسْ يَوْمَكَ ٱلْآتِيَ بِأَمْسِ ٱلْمَاضِي ... مَا سَاخِطٌ لِأَمْرِهِ كَٱلرَّاضِي
إِعْمَلْ لِمَا تَخَافُ أَوْ مَا تَرْجُو ... حَسْبُ ٱلْغَرِيقِ مَغْنَمًا أَنْ يَنْجُو
وَلَا أُرِيدُ غَيْرَ حَتْفِ ٱلثَّوْرِ ... وَلَيْسَ قَصْدِي حَتْفَهُ بِجَوْرِ
فَإِنَّ فِي فَسَادِهِ صَلَاحِي ... أَجَلْ وَفِي بَقَائِهِ ٱجْتِيَاحِي
ثُمَّ عَسَى ٱلْخَيْرُ يَكُونُ لِلْأَسَدْ ... فَإِنَّهُ أَصْلَحَهُ حَتَّى فَسَدْ
فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ كَلِيلَهْ ... لَا عَيْبَ فِي ٱلثَّوْرِ فَقُلْ مَا ٱلْحِيلَهْ
قَالَ بَلَى قَدْ أَوْحَشَ ٱلْأَصْحَابَا ... وَنَفَّرَ ٱلْأَجْنَادَ وَٱلْحُجَّابَا
وَقَدْ جَفَاهُمْ كُلَّهُمْ وَمَلَّهُمْ ... حَتَّى غَدَا أَعَزُّهُمْ أَذَلَّهُمْ
وَآفَةُ ٱلسُّلْطَانِ فِي أُمُورِهِ ... فِي سِتَّةٍ تَخْفَى عَلَى تَدْبِيرِهِ

فَبَعْضُهَا ٱلْفِتْنَةُ وَٱلْحِرْمَانُ   وَٱلْغِلْظَةُ ٱلشَّنْعَآءُ وَٱلزَّمَانُ

وَٱلْخُرْقُ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ وَٱلْهَوَى   فَأَيُّهَا أَظْهَرَهُ فَقَدْ غَوَى

انْ حَرَمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا ٱسْتَحَقَّهُ   وَلَمْ يُرَاعِ نُصْحَهُ وَصِدْقَهُ

حِينَئِذٍ تَخْذُلُهُ أَنْصَارُهُ   حَتَّى تُرَى كَلِيلَةً شِفَارُهُ

وَٱلْفِتْنَةُ ٱلْمَرْهُوبَةُ ٱلْمَخُوفَهْ   حَرْبُ ٱلرَّعَايَا إِنَّهَا مَوْصُوفَهْ

وَغِلْظَةُ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّهْ   أَلْخَبْطُ وَٱلتَّحْرِيفُ فِي ٱلْقَضِيَّهْ

شَتْمًا وَضَرْبًا يَخْفِضُ ٱلْأَحْرَارَا   وَيُغْضِبُ ٱلسَّادَاتِ وَٱلْخِيَارَا

ثُمَّ هَوَاهُ فِي ٱلنِّسَآءِ وَٱللَّعِبْ   يَرُدُّ حَبْلَ ٱلْمُلْكِ وَهْوَ مُنْقَضِبْ

وَمِحْنَةُ ٱلزَّمَانِ وَٱلْخُطُوبْ   تَنُوبُهُ بِشَرِّ مَا تَنُوبْ

مِنَ ٱلْوَبَآءِ وَٱلْغَلَاءِ وَٱلْجَلَا   وَكُلِّ مَا بِهِ ٱلنُّفُوسُ تُبْتَلَى

وَخُرْقُهُ أَنْ لَا يَكُونَ حَازِمَا   وَلَا بِأَعْقَابِ ٱلْأُمُورِ عَالِمَا

فَيَضَعُ ٱلْمَعْرُوفَ غَيْرَ مَوْضِعِهْ   وَيُوقِعُ ٱلنَّوَالَ شَرَّ مَوْقِعِهْ

وَقَدْ رَعَاهُ ٱلْيَوْمَ حَتَّى أَفْرَطَا   وَرَفَضَ ٱلْجُنُودَ لَمَّا فَرَّطَا

وَهٰكَذَا ٱلْجَاهِلُ فِي ٱلتَّعَاطِي   بَيْنَ أَذَى ٱلتَّفْرِيطِ وَٱلْإِفْرَاطِ

قَالَ لَهُ إِنِّي أَرَاهُ ٱلْآنَا   أَمْكَنَ مِنْكَ عِنْدَهُ مَكَانَا

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ لَا يَرُوعُكَا   مَكَانُهُ مِنْهُ وَلَا يُفْزِعُكَا

فَإِنَّهُ قَدْ يَفْعَلُ الصَّغِيرُ ... أَشْيَاءَ لَا يَسْطِيعُهَا الكَبِيرُ

فَقَبْلَنَا الغُرَابُ كَادَ الأَسْوَدَا ... قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ قُلْ لِي فَبَدَا

كَانَ غُرَابٌ وَكْرُهُ فَوْقَ جَبَلْ ... بِقُرْبِهِ جُحْرٌ لِأَفْعَى ذِي حِيَلْ

تَأْكُلُ مَا يُفْرِخُ أَكْلًا لَمَّا ... فَمَا يَزَالُ ثَاكِلًا مُغْتَمَّا

حَتَّى شَكَا ذَاكَ إِلَى ابْنِ آوَى ... وَكُلُّ دَاءٍ مُعْضِلٍ يُدَاوَى

وَقَالَ أَزْمَعْتُ عَلَى بَيَاتِهْ ... وَنَقْرِ عَيْنَيْهِ عَلَى غِرَّاتِهْ

قَالَ لَهُ أَنْتَ إِذًا مُخَاطِرْ ... فِي ذَاكَ إِمَّا خَائِبٌ أَوْ ظَافِرْ

فَلَا تَكُنْ مُعَذَّلًا مَلُومَا ... تُحَاكِ فِي النَّدَامَةِ العُلْجُومَا

فَقَالَ مَا ذَاكَ فَقَالَ كَانَا ... رَفْرَافُ عِشٍّ لَازِمًا مَكَانَا

اِخْتَارَهُ لِعُشِّهِ مِنْ أَجَمَهْ ... أَسْمَاكُهَا كَثِيرَةٌ مُزْدَحِمَهْ

حَتَّى إِذَا مَا عَادَ شَيْخًا فَانِيَا ... لَا يَسْتَطِيعُ الصَّيْدَ ظَلَّ بَاكِيَا

قَالَ أَبُو بَحْرٍ وَمَا أَبْكَاكَا ... فَقَالَ كَانَ أَكْلِيَ الأَسْمَاكَا

وَقَدْ رَأَيْتُ اليَوْمَ صَيَّادَيْنِ ... قَدْ أَوْعَدَاهَا كُلَّهَا لِلْحَيْنِ

إِنَّهُمَا اليَوْمَ إِذَا مَا رَجَعَا ... مُلْتَقِطَانِ سَمَكَ الوَادِي مَعَا

عَادَ أَبُو بَحْرٍ وَأَخْبَرَ السَّمَكْ ... فَقُلْنَ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ لَنَا وَلَكْ

وَجِئْنَ فِي الحَالِ إِلَى الرَّفْرَافِ ... وَقُلْنَ أَنْتَ مَوْضِعُ الإِسْعَافِ

وَإِنْ تَكُنْ عَدُوَّنَا بِالطَّبْعِ ... فَإِنَّ فِينَا لَكَ كُلَّ نَفْعِ

وَٱلرَّجُلُ ٱلْعَاقِلُ يَسْتَشِيرُ ... عَدُوَّهُ إِنْ ضَاقَتِ ٱلْأُمُورُ

إِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ فَإِنَّ عَقْلَهُ ... يُرِيهِ مِنْ إِرْشَادِهِ مَحَلَّهُ

لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ أَيْضًا هَالِكَا ... بِذَاكَ أَوْ لِخَصْمِهِ مُشَارِكَا

وَنَحْنُ فِيمَا نَخْتَشِي سِيَّانِ ... وَٱلرَّأْيُ لَا يُدْرَكُ بِٱلتَّوَانِي

فَقَالَ لَا حَرْبَ وَلَكِنْ حِيلَهْ ... أَظُنُّهَا إِلَى ٱلْمُنَى وَسِيلَهْ

هُنَا غَدِيرٌ مَاؤُهُ غَزِيرُ ... فِي قَصَبٍ فَهُوَ بِهِ سَتِيرُ

فِيهِ لَكُنَّ مَعْقِلٌ وَحِرْزُ ... قُلْنَ وَهَلْ رُكِّبَ فِينَا ٱلْجَمْزُ

لَنَهْلِكَنَّ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِلْنَا ... إِلَيْهِ فِي ٱلْحَالِ وَلَمْ تَنْقُلْنَا

فَقَالَ إِنِّي حَامِلٌ حُوتَيْنِ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ لِقَضَاءِ ٱلدَّيْنِ

فَكَانَ ذَاكَ دَأْبُهُ وَدِينُهُ ... وَدَأْبُهُنَّ مِنْهُمَا تَمْكِينُهُ

فَيَأْكُلُ ٱلْحُوتَيْنِ كُلَّ بُكْرَهْ ... حَتَّى إِذَا أَفْنَى جَمِيعَ ٱلْعِتْرَهْ

نَادَى أَبُو بَحْرٍ فَلَوْ حَمَلْتَنِي ... كُنْتَ كَمَا خَلَّصْتَهُمْ خَلَّصْتَنِي

قَالَ نَعَمْ وَٱشْتَالَهُ فَٱحْتَمَلَهْ ... حَتَّى إِذَا وَافَى مَكَانَ ٱلْمَقْتَلَهْ

وَعَايَنَ ٱلْعِظَامَ وَٱلْأَصْدَافَا ... إِرْتَابَ إِذْ أَبْصَرَهَا وَخَافَا

وَقَالَ إِنْ قَصَّرْتُ فِي قِتَالِهْ ... مَكَّنْتُ نَفْسِي مِنْ فِعَالِ ٱلْوَالِهْ

لَأَجْهَدَنْ أَنْ لَا أُرَى مأْكُولَا ... فَالْحُرُّ يَحْمِي نَفْسَهُ مَعْقُولَا

وَأَخْسَرُ الْقِرْنَيْنِ فِي الْمُحَارَبَهْ ... مَنْ كَفَّ عَنْ عَدُوِّهِ وَرَاقَبَهْ

لَا يُقْتَلُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ صَبْرَا ... قَتْلُ الْفَتَى وَهْوَ شُيَيْخٌ أَحْرَى

لَأَعْصِرَنْ حَلْقَ الْخَبِيثِ عَصْرَا ... بِكَلْبَتَيَّ أَوْ أَمُوتُ حُرَّا

وَوَقَعَ الْعُلْجُومُ مَيْتًا فَرَجَعْ ... إِلَيْهِ فِي الْحَالِ جَزَاءُ مَا صَنَعْ

كَمْ حِيلَةٍ قَدْ قَتَلَتْ مُحْتَالَهَا ... وَقَوْلَةٍ قَدْ أَهْلَكَتْ مَنْ قَالَهَا

كَمْ حَفَرَ الْبِئْرَ لِخَصْمٍ فَوَقَعْ ... فِيهَا وَكَمْ مِنْ خَادِعٍ قَدِ انْخَدَعْ

وَشَاحِذٍ سَيْفًا فَحَزَّ عُنْقَهُ ... وَمُبْرِمٍ حَبْلًا لَهُ قَدْ خَنَقَهْ

وَالرَّأْيُ أَنْ تَخْطَفَ عِقْدَ دُرِّ ... «لِيَخْرُجُوا لِلْبَحْثِ وَالتَّحَرِّي»[1]

حَتَّى إِذَا مَا تَبِعُوكَ فَاقْتَرِبْ ... مِنْهُمْ لِكَيْلَا يَفْتُرُوا عَنِ الطَّلَبْ

وَأَلْقِهِ بِبَابِ جُحْرِ الْأَسْوَدِ ... حِينَئِذٍ تَقْتُلُهُ أَلْفُ يَدِ

سَعَادَةُ الْمَرْءِ وَيُمْنُ طَيْرِهْ ... قَتْلُ أَعَادِيهِ بِسَيْفِ غَيْرِهْ

«فَعَلَ الْغُرَابُ مَا أَشَارَا ... بِهِ ابْنُ آوَى وَكَذَاكَ صَارَا»

قَالَ لَهُ فَقُوَّةُ الثَّوْرِ أَشَدّْ ... وَرَأْيُهُ فِي مُشْكِلِ الْخَطْبِ أَسَدّْ

---

(١) كان الاصل :

والرأي ان تخطف عقد جوهر ... فيما تطوف فتُطْلَبْ وانظر

قُلْ لِي بِأَيِّ حِيلَةٍ تُرِيدُهُ ... قَالَ لَهُ أَقْدِرُ أَنْ أَكِيدَهُ

لِأَنَّهُ يَحْسَبُنِي صَدِيقَا ... فَإِنْ أَقُلْ يُظْهِرْ لِيَ ٱلتَّصْدِيقَا

مِنْ هٰهُنَا يَنْفُذُ فِيهِ سَهْمِي ... وَلَا يَطِيشُ ٱلنَّبْلُ حِينَ أَرْمِي

قَدْ قَتَلَ ٱلضِّرْغَامَ كَيْدُ ٱلْأَرْنَبِ ... قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ قُلْ لِي أَعْجَبِ

فَقَالَ كَانَ أَسَدٌ عَظِيمُ ... فِي غَيْضَةٍ مُخْصِبَةٍ يُقِيمُ

تَخَافُهُ ٱلْوُحُوشُ وَٱلْأُسُودُ ... لِأَنَّهُ ٱلدَّهْرَ لَهَا صَيُودُ

قَالَتْ لَهُ مُذْعِنَةً جَمِيعَا ... هَلْ لَكَ فِي خَرْجٍ يُمِيتُ ٱلْجُوعَا

نُعْطِيكَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ قَدْرَمَا ... تَأْكُلُهُ مُرَفَّهًا مُعَظَّمَا

وَفِعْلُنَا يُغْنِيكَ عَنْ جُهْدِ ٱلطَّلَبْ ... فَلَسْتَ تَلْقَى ٱلصَّيْدَ إِلَّا بِتَعَبْ

فَقَالَ إِنِّي قَانِعٌ بِذَاكَا ... كَمْ طَمَعٍ قَدْ جَلَبَ ٱلْهَلَاكَا

فَدَامَ ذَاكَ مُدَّةً مَدِيدَهْ ... وَلَمْ يَكُنْ مَا قَرَّرُوا مَكِيدَهْ

حَتَّى إِذَا ٱلْقُرْعَةُ يَوْمًا وَقَعَتْ ... مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَرْنَبِ حَتْمًا جَزِعَتْ

وَقَالَتِ ٱسْمَعْنَ فَإِنِّي بَاكِرَهْ ... بِحِيلَةٍ لَطِيفَةٍ مُمَاكِرَهْ

أُهْلِكُهُ فِيهَا وَنَسْتَرِيحْ ... مِنْهُ فَإِنَّ عَيْشَنَا تَبْرِيحْ

فَقَصَدَتْهُ وَهْوَ غَضْبَانُ لِمَا ... أُخِّرَ عَنْهُ وَأُمِيتَ قَرَمَا

قَالَتْ لَهُ يَا مَلِكَ ٱلسِّبَاعِ ... هَلْ أَنْتَ لِلْقَوْلِ ٱللَّطِيفِ وَاعِي

حملتُ من يومي إليك أرنبا ... فبزنيها أسدٌ وغلبا
فتملتُ دعها إنها قوتُ الملكْ ... خرجاً لهُ على الوحوشِ قد ترك
فسبَّني من جهلهِ وسبكا ... جهلاً وقد أزمعَ أيضاً ضربكا
قال لها وأينَ هذا الأسدُ ... قالت قريبٌ منك دانٍ يرصدُ
«فجاء معها ليرى الهماما ... ذاك الذي حرمهُ الطعاما»
فوقفتهُ فوق رأسِ جبِّ ... فعلَ خدوعٍ للرجالِ خبِّ
وماؤهُ صافٍ كدمعِ عاشقٍ ... باكٍ على أحبابهِ مفارقٍ
فعندها أبصرَ فيهِ ظلَّهُ ... وظلَّها فظنَّ ليثاً مثلهُ
فهاجهُ ما قد رآهُ فوثبْ ... عليهما لما بهِ من الغضبْ
فصارَ من وثبتهِ في قعرهِ ... ورجعتْ سالمةً من شرِّهِ
فبشرتْ بذلك الوحوشا ... ولم يكنْ مقالُها مغشوشا
قال لهُ كليلةُ الأمينُ ... شرُّ الأنامِ الغادرُ الظنينُ
فلا تخنْ فالحرُّ لا يخونُ ... فإنَّ عقبى المكرِ لا تهونُ
الغدرُ لؤمٌ فاحشٌ وسبَّهْ ... والصدقُ زينٌ حسنٌ ورتبهْ
وإنْ رأيتَ فرصةً فبادرِ ... كذاك فعلُ الألمعيِّ الماهرِ
بحيثُ لا يهلكُ ذاكَ الأسدا ... ولا يكونُ عندهُ مفندا

«ثُمَّ غَدَا دِمْنَةُ فِي ٱلْأَحْيَآءِ ... يَجُولُ فِي ٱلصَّبَاحِ وَٱلْمَسَآءِ»
وَلَمْ يَدُسْ شَهْرًا بِسَاطَ ٱلْمَلِكِ ... ثُمَّ أَتَى كَٱلْحَائِرِ ٱلْمُرْتَبِكِ
يَظْهَرُ فِي أَعْطَافِهِ ٱلتَّغَيُّرُ ... وَوَجْهُهُ ٱلشَّتِيمُ مِمَّا يَقْطُرُ
قَالَ لَهُ ٱلْهُمَامُ مَاذَا أَخَّرَكْ ... عَنْ خِدْمَتِي وَمَا ٱلَّذِي قَدْ غَيَّرَكْ
قَالَ وَلَمْ يُفْصِحْ بِهِ بَلْ عَرَّضَا ... مُجَمْجِمًا كَلَامَهُ مُمَرِّضَا
قَالَ لَهُ قُلْ فَهِيَ حَالُ خَلْوَهْ ... وَبِي إِلَى ذَاكَ أَشَدُّ صَبْوَهْ
«قَالَ لَهُ دِمْنَةُ ذُو ٱلرِّيَآءِ ... وَٱلْمَكْرِ وَٱلْحِيلَةِ وَٱلدَّهَآءِ»
«إِذَا غَدَا ٱلْكَلَامُ مَكْرُوهًا لَدَى ... سَامِعِهِ فَذِكْرُهُ لَنْ يُحْمَدَا»(1)
قَائِلُهُ مُخَاطِرٌ بِنَفْسِهْ ... مُتَّهَمٌ فِي رَأْيِهِ وَحِسِّهْ
وَلَيْسَ لِلْقَائِلِ فِيهِ مَنْفَعَهْ ... بَلْ رُبَّمَا أُودِي بِهِ وَصَرَعَهْ
«إِلَّا إِذَا تَقَبَّلَهُ لِقَابِلِ ... لِحُرْمَةِ ٱلْوِدَادِ غَيْرِ جَاهِلِ»(2)
وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ جَزْلِ ... حِينَئِذٍ يَقْبَلُهُ بِٱلْعَقْلِ
وَأَنْتَ لَا شَكَّ لَبِيبٌ فَاضِلُ ... وَٱلنُّصْحُ لَا يَأْبَاهُ إِلَّا ٱلْجَاهِلُ

---

(1) كان الاصل :
قال له دمنة كل قول ... يكرهه سامعه ذو عول

(2) كان الاصل :
والنفع للسامع لا للقائل ... الاّ اذا حدّث جدّ قابل

وَإِنَّنِي أَحْذَرُ أَنْ أَقُولَا ... وَأَنْتَ أَوْفَى ذَا الْوَرَى تَحْصِيلَا

أَخَافُ أَنْ اذْكُرَهُ فَأُتَّهَمَ ... لٰكِنْ نُصْحِي لَكَ مِنْ خَيْرِ الشِّيَمِ

جَزَاءَ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ نِعَمِكْ ... وَشُكْرَ مَا قَلَّدْتَنِي بِكَرَمِكْ

فَإِنَّمَا أَنْفُسُنَا مَنُوطَهْ ... بِحِفْظِ مَنْ أَضْحَتْ بِهِ مَحُوطَهْ

وَأَصْبَحَتْ بِفَضْلِهِ مَضْبُوطَهْ ... آمَالُهَا بِجُودِهِ مَرْبُوطَهْ

فَكَاتِمُ النُّصْحِ عَنِ السُّلْطَانِ ... وَالدَّاءِ عَنْ طَبِيبِهِ الْمِعْوَانِ

مَا خَانَ إِلَّا نَفْسَهُ بِذَلِكَا ... وَكَانَ لَا شَكَّ سَفِيهًا هَالِكَا

قَالَ لَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي الْمَقَالَهْ ... فَاذْكُرْ وَعَجِّلْ وَدَعِ الْإِطَالَهْ

قَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ شَتْرَبَهْ ... لَمْ يَرْضَ رَأْيَ الْمَلْكِ لِمَا جَرَّبَهْ

وَقَالَ لِلْجُنُودِ قَدْ فَتَّشْتُهُ ... وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ الَّذِي قَدَّرْتُهُ

مِنْ جُرْأَةٍ وَقُوَّةٍ وَعَقْلِ ... وَرَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ وَعَدْلِ

وَإِنَّ لِي لَا بُدَّ يَوْمًا وَلَهُ ... مِنْ أَرَبٍ لَا بُدَّ أَنْ أَفْعَلَهُ

فَعِنْدَهَا خِفْتُ عَلَيْكَ غَدْرَهْ ... وَمَا أَمِنْتُ كَيْدَهُ وَمَكْرَهْ

أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ بِبِرِّكَا ... فَهَمَّ إِذْ أَكْرَمْتَهُ بِكُفْرِكَا

رَفَعْتَهُ بِالْبِرِّ فَوْقَ قَدْرِهْ ... وَكَانَ مَا أَظْهَرَ قَدْرَ شُكْرِهْ

«فإنْ تزايلْ قيدَ شبرٍ دستكا يكُنْ لهُ بدُونِ شكٍّ ملككا»(١)

أَمَا سمعتَ قولةَ الحكيمِ ألفاضلِ المجرَّبِ العليمِ

إذا رأى السلطانُ من يساوِيَهْ في الفضلِ والقوَّةِ أو يضاهيَهْ

بالمالِ والرجالِ فليفتكْ بهِ من قبلِ أنْ يفجأهُ بحربهِ

ورأيُكَ الأعلى وأنتَ أعلمُ لكنّ فتكَا بالعدوِّ أحزمُ

بادِرْهُ ما استطعتَ إلى هلاكهِ إنْ فاتَ لم تقدرْ على استدراكهِ

فالناسُ فيما ذكروا ثلثهْ وللّبيبِ فطنةٌ بحاثهْ

فعاجزُ الرأيِ وحازمانِ فحازمٌ ليسَ بذي توانِي

بل يدفعُ الخطبَ إذا ما وقعا ولا يضلُّ والهاً مروّعا

وحازمٌ أكيسُ منهُ من دفعْ عنهُ صروفَ الدهرِ قبلَ أن تقعْ

والعاجزُ الفشلُ الذي لا يملكُ دفعَ الأذى عن نفسهِ فيهلكُ

كأنهم ثلثةٌ من السمكْ عاجزةٌ وجلدتانِ لا يُشكْ

وقعنَ بالمعزلِ في غديرِ فمرَّ صيادانِ في المسيرِ

وقالا إذا عدنا عمدنا للسمكْ وصيدهنَّ بالشصوصِ والشبكْ

---

(١) كان الاصل

لو سرت للنزهة عن مكانكا نرى بلا شك على سلطانكا

فَخَرَجَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ ٱلْحَازِمَهْ مِنْ مَبْعَثِ ٱلْمَآءِ وَكَانَتْ عَالِمَهْ
حَتَّى إِذَا مَا حَضَرَ ٱلصَّيَّادَانْ ٱرْتَاعَتِ ٱلْأُخْرَى لِمَا يُرِيدَانْ
قَالَتْ لَقَدْ فَرَّطْتُ فِي أُمُورِي فَٱلْآنَ لَا يَنْفَعُنِي تَدْبِيرِي
فَإِنَّ شَرَّ ٱلرَّأْيِ رَأْيُ ٱلْمُرْهَقْ فَأَخَذَتْ صَاحِبَتِي بِٱلْأَوْثَقْ
لَكِنَّنِي لَا بُدَّ أَنْ أَحْتَالَا لِفَرَجِي فَرُبَّ فَالٍ نَالَا
وَٱلرَّأْيِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَائِدَهْ عَلَى ٱلَّذِي يَنْظُرُ فِيهَا عَائِدَهْ
فَٱنْقَلَبَتْ طَافِيَةً كَأَنَّهَا مَيْتَةٌ ثُمَّ كَذَاكَ ظَنَّهَا
ثُمَّ عَلَى ضِفَّتِهِ أَلْقَاهَا فَٱنْسَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهَا
وَصَبَرَتْ أُخْتُهُمَا لِعَجْزِهَا فَأُخِذَتْ وَأُخْرِجَتْ مِنْ حِرْزِهَا
وَٱلْحَزْمُ كُلُّ ٱلْحَزْمِ فِي ٱلْمُبَادَرَهْ فَٱعْجَلْ إِلَى ذَاكَ بِلَا مُشَاوَرَهْ
فَٱلْجَلْدُ مَنْ بَادَرَ حَسْمَ ٱلدَّآءِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْضُلَ بِٱلدَّوَآءِ
قَالَ لَهُ فَهِمْتُ مَا تَقُولُ لَكِنْ أَبَتْ تَصْدِيقَهُ ٱلْعُقُولُ
أَٱلثَّوْرُ لَا يَخُونُنِي مَعْ بِرِّي لَهُ فَلَيْسَ ٱلْكُفْرُ دِينَ ٱلْحُرِّ
مَا لِي إِلَيْهِ قَدْ عَلِمْتَ سَيِّئَهْ نَعَمْ وَلَا يَحْذَرُ مِنِّي مَرْزِئَهْ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ ذَاكَ أَفْسَدَهْ إِنَّ ٱلْجَمِيلَ لِلَّئِيمِ مَفْسَدَهْ
فَقَلَّ مَنْ تَرْفَعُهُ إِلَّا كَفَرْ صَنِيعَكَ ٱلْمَحْمُودَ بَغْيًا وَبَطَرْ

أَطمعتهُ بما فعلتَ فطمعْ ... فلستَ من بعدُ بهِ بمنتفعْ

قد يقنعُ اللئيمُ بالقليلِ ... حتى إذا أُهِّلَ للجليلِ

سمتْ إلى ما فوقَ ذاكَ همتُه ... ولطفتْ فيما يرومُ حيلتُه

وإنما يخدمكَ اللئيمُ ... لرغبةٍ أو رهبةٍ تقيمُ

حتى إذا استغنى بشيءٍ وأَمِنْ ... عادَ إلى الأصلِ عدوًّا مضطغِنْ

كذنبِ الكلبِ إذا ثقّفتَهُ ... صحّ ويعوجُّ إذا حللتَهُ

وإنَّ من لم يقبلِ النصائحا ... ولم يرى الرأيَ السديدَ صالحا

يكونُ كالمريضِ يبغي شهوتَه ... ولو عصى طبيبَهُ وصفتَه

وواجبٌ حتمٌ على الوزيرِ ... أن ينصحَ الملوكَ في التدبيرِ

منبهًا على الجميلِ الأصلحْ ... وناهيًا عن الدنيِّ الأقبحْ

والنصحُ والصدقُ دليلُ الشفقه ... وخيرُ إخوانِ الفتى من صدقه

وخيرُ أعمالِ الفتى ما كانَ لهْ ... عاقبةٌ محمودةٌ مفضَّلهْ

وخيرُ مدحٍ ما أتى من فاضلِ ... وخيرُ خلٍّ من صفا من باطلِ

وخيرُ خلقٍ ما دعا إلى الورعْ ... أغنى الأنامِ من نجا من الطمعْ

وأحزمُ الملوكِ من لم يحقرِ ... عدوَّهُ إذ ذاكَ عينُ المنكرِ

توسُّدُ الحياتِ وهي تغلبُ ... بل افتراشُ النارِ وهي تلتهبُ

أَوْطَأُ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلرِّجَالِ … فَإِنَّهَا عَظِيمَةُ ٱلنَّكَالِ

وَأَعْجَزُ ٱلْمُلُوكِ يَوْمًا مَنْ عَدَلْ … إِلَى ٱلْهُوَيْنَا مَرْكَبًا مِنَ ٱلْفَشَلْ

وَلَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي ٱلْعَوَاقِبِ … أَشْبَهُهُمْ بِٱلْفِيلِ فِي ٱلضَّرَائِبِ

مَنْ لَيْسَ مُهْتَمًّا بِأَمْرِ ٱلْمُلْكِ … مُضَيِّعًا يَقِينَهُ بِٱلشَّكِّ

حَتَّى إِذَا مَا فَادِحُ ٱلْأَمْرِ حَزَبْ … لَمْ يَجْتَهِدْ فِي نَزْعِ أَنْيَابِ ٱلنُّوَبْ

حَتَّى إِذَا ضَيَّعَ جُلَّ شَانِهِ … أَحَالَ بِٱللَّوْمِ عَلَى أَعْوَانِهِ

قَالَ لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي ٱلْمَقَالِ … وَإِنَّمَا لِنُصْحِكَ ٱحْتِمَالِي

فَقَوْلُ كُلِّ نَاصِحٍ مَقْبُولُ … وَٱلْهُجْرُ مِنْ مَقَالِهِ مَحْمُولُ

وَإِنْ يَكُنْ شَتْرَبَةٌ عَدُوِّي … فَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ فِعْلَ سُوءِ

إِذْ أَكْلِيَ ٱللَّحْمُ وَأَكْلُهُ ٱلْعُشْبْ … وَهْوَ طَعَامِي فَٱعْلَمَنْ بِلَا كَذِبْ

وَمَا أَهُمُّ قَطُّ بِٱلْعُدْوَانِ … وَكَيْفَ ذَاكَ وَهْوَ فِي أَمَانِي

وَحُرْمَةِ ٱلصُّحْبَةِ وَٱلْمُخَالَطَهْ … وَشِدَّةِ ٱلْأُلْفَةِ وَٱلْمُبَاسَطَهْ

أَلْغَدْرُ بِٱلْمُلُوكِ مَا لَا يَحْسُنُ … إِنَّ ٱلْوَفَاءَ بِٱلرِّجَالِ أَزْيَنُ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ … بِنَفْسِهِ ٱحْتَالَ وَكَادَ فَٱتَّبِعْ

فَٱلْمَثَلُ ٱلْمَشْهُورُ غَيْرُ خَافِي … لَا تَأْمَنَنْ مِنْ عَابِرِي ٱلْأَضْيَافِ

إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ سَجَايَاهُمْ فَلَا … تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ سَاعَةً فَتُبْتَلَى

وَلاَ تَكُنْ فِي ذَاكَ مِثْلَ ٱلْقَمْلَهْ ‏ فَتَغْتَدِيْ بَيْنَ ٱلرِّجَالِ مَثْلَهْ

قَالَ ٱلْهُمَامُ بَيِّن ٱلْحَدِيثَا ‏ فَقَالَ ضَافَتْ قَمْلَةٌ بُرْغُوثَا

إِلَى فِرَاشِ رَجُلٍ شَرِيفِ ‏ كَانَتْ بِهِ فِي مَوْضِعٍ لَطِيفِ

تَشْرَبُ فِي ٱلسِّرِّ إِذَا نَامَ دَمَهْ ‏ ثُمَّ أَضَافَتْهُ بِهِ لِتُكْرِمَهْ

فَٱشْتَدَّ فِي قَرْصَتِهِ لَحْمُ ٱلرَّجُلْ ‏ فَهَبَّ مِنْ نَوْمَتِهِ وَقَدْ وَجِلْ

يَطْلُبُهُ فَقَفَزَ ٱلْبُرْغُوثُ ‏ وَوَقَعَتْ وَأَفْلَتَ ٱلْخَبِيثُ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ هٰذَا مَثَلاَ ‏ فَصَاحِبُ ٱلسُّوْءِ وَإِنْ قَلَّ فَلاَ

تُؤْمَنُ مِنْهُ غِيلَةٌ وَحِيلَهْ ‏ كُنْ خَائِفًا جُنُودَكَ ٱلْجَلِيلَهْ

فَإِنَّهُ أَفْسَدَهُمْ جَمِيعَا ‏ حَتَّى غَدَا ٱلْكُلُّ لَهُ مُطِيعَا

جَرَّأَهُمْ عَلَيْكَ حَتَّى ٱجْتَرَأُوا ‏ وَلِلَّذِي أَوْلَيْتَهُمْ مَا كَلأُوا

وَهُوَ مُطَاعٌ فِيهِمِ بِنَفْسِهِ ‏ وَإِنْ يَكُنْ مُحْتَقَرًا لِجِنْسِهِ

بِنَفْسِهِ يَلْقَاكَ لاَ بِٱلْجُنْدِ ‏ لاَ خَيْرَ فِي كَفٍّ بِغَيْرِ زَنْدِ

فَصَحَّ مَا صَوَّرَهُ فِي قَلْبِهِ ‏ وَٱسْتَبْدَلَ ٱلْبُغْضَ لَهُ مِنْ حُبِّهِ

وَقَالَ كَيْفَ ٱلرَّأْيُ حَقِّقْهُ إِذَنْ ‏ فَقَالَ فَقْدُ ٱلضِّدِّ أَشْفَى لِلْحَزَنْ

قَدْ تُؤْلِمُ ٱلسِّنُّ فَإِنْ لَمْ تُقْلَعْ ‏ لَمْ يَسْتَرِحْ صَاحِبُهَا وَيَهْجَعْ

فَقَلْعُهَا رَوْحٌ لَهُ وَهٰكَذَا ‏ قَذْفُكَ مَا عَنَاكَ أَنْفَى لِلأَذَى

فَقَالَ لَمَّا سَمِعَ ٱلْقَوْلَ ٱلْأَسَدْ | قَدِ ٱسْتَحَالَ فِيهِ رَأْيِي وَفَسَدْ
فَلَسْتُ أَهْوَى أَنْ يَكُونَ جَارِيَا | وَٱلرَّأْيُ أَنْ أَبُثَّهُ ٱعْتِذَارِيَا
بِمَا أَتَانِي عَنْهُ مِنْ تَقْبِيحِهِ | وَغَدْرِهِ ٱلْبَادِي إِلَى نَصِيحِهْ
ثُمَّ أَقُولُ سِرْ فَيَبْدُو عُذْرِي | وَلَا أُزَنُّ فِي ٱلْوَرَى بِغَدْرِ
فَلَمْ يُوَافِقْ ذَاكَ رَأْيَ دِمْنَهْ | وَخَافَ أَنْ يُوقِعَهُ فِي مِحْنَهْ
لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُجِيبَهْ | بِٱلْعُذْرِ كَيْ يَدْفَعَ عَنْهُ ٱلرِّيبَهْ
فَيَظْهَرُ ٱلْحَقُّ وَيَدْرِي ٱلْأَسَدُ | أَنَّ ٱلَّذِي دَعَا إِلَيْهِ ٱلْحَسَدُ
فَقَالَ بِئْسَ ٱلرَّأْيُ هَذَا فَٱعْرِفِ | إِنَّ لَكَ ٱلْخِيَارَ مَا لَمْ تَكْشِفِ
فَإِنْ كَشَفْتَ لِلْعَدُوِّ سِرَّكَا | لَمْ تَكُ مِنْهُ آمِنًا أَنْ يَفْتِكَا
فَإِنْ أَرَدْتَ ٱلْحَرْبَ قَالَ قَادِرْ | وَإِنْ نَأَى قَالَ لَئِيمٌ غَادِرْ
وَعَادَةُ ٱلْمُلُوكِ أَنْ لَا يُعْلِنُوا | أَسْرَارَهُمْ لِمَنْ لِغَدْرٍ يُبْطِنُ
عُقُوبَةُ ٱلسِّرِّ لِذَنْبِ ٱلسِّرِّ | وَأَنْتَ لَا شَكَّ بِذَاكَ تَدْرِي
فَٱكْتُمْ جَزَاءَ ذَنْبِهِ كَمَا كَتَمْ | إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ لَمْ تَخْشَ ٱلنَّدَمْ
قَالَ إِذَا عَاقَبْتُهُ بِٱلظَّنِّ | مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ صَادِقٍ فَإِنِّي
عَاقَبْتُ نَفْسِي وَأَهَنْتُ عِرْضِي | جَزَاءُ نَقْصِ ٱلْعِرْضِ نَقْصُ ٱلْعِرْضِ
قَالَ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى أَوْفَى حَذَرْ | فَأَنْتَ مِنْ صُحْبَتِهِ عَلَى خَطَرْ

فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْكَ غِرَّهْ ... وَغَفْلَةً يُظْهِرُ فِيهَا أَمْرَهْ

إِذَا أَتَى وَلَوْنُهُ قَدْ حَالَا ... مُرْتَعِدًا عَنْ طَبْعِهِ قَدْ زَالَا

مُلْتَفِتًا فِي كُلِّ وَقْتٍ سِرًّا ... يَنْظُرُ لِلْكَيْدِ إِلَيْكَ شَزْرَا

قَدْ هَمَّ بِالنَّطْحِ وَإِنْ شَاءَ نَطَحْ ... فَقَالَ إِنْ رَأَيْتُ ذَا فَقَدْ وَضَحْ

صِدْقُكَ فِي مَا قُلْتَهُ فَوَدَّعَهْ ... ثُمَّ أَتَى شَتْرَبَةً لِيَخْدَعَهْ

مِنْ بَعْدِمَا ٱسْتَخْرَجَ إِذْنَ ٱلْأَسَدِ ... فِي قَصْدِهِ بِحِيلَةِ ٱلْمُجْتَهِدِ

وَقَالَ آتِيهِ لِأَبْلُو أَمْرَهْ ... عَسَايَ أَنْ أَعْرِفَ مِنْهُ سِرَّهْ

فَقَالَ سِرْ فَجَاءَهُ حَزِينَا ... مُكْتَئِبًا حَيْرَانَ مُسْتَكِينَا

« فَرَحَّبَ ٱلثَّوْرُ بِهِ وَآنَسَا ... لَمَّا رَآهُ وَاجِمًا وَعَابِسَا »

وَقَالَ مَا حَضَرْتَ مُذْ أَيَّامِ ... فَلِمْ تَأَخَّرْتَ عَنِ ٱلسَّلَامِ

سَلَامَةٌ قَالَ وَكَيْفَ يَسْلَمُ ... مَنْ أَمْرُهُ إِلَى عَدُوٍّ يَظْلِمُ

فَمَا يَزَالُ خَائِفًا عَلَى خَطَرْ ... يَحْذَرُ لَوْ أَغْنَى عَنِ ٱلْمَرْءِ ٱلْحَذَرْ

قَالَ لَهُ شَتْرَبَةٌ وَمَا جَرَى ... قَالَ لَهُ دِمْنَةُ أَمْرٌ قُدِّرَا

وَٱلْقَدَرُ ٱلْمَحْتُومُ لَا يُغَالَبْ ... وَٱلْفَلَكُ ٱلدَّوَّارُ لَا يُحَارَبْ

مَنْ ذَا ٱلَّذِي مِنْ دَهْرِهِ نَالَ ٱلْوَطَرْ ... وَلَمْ يُعَادِ ٱلنَّاسَ بَغْيًا وَبَطَرْ

أَمْ مَنْ جَرَى مَعَ ٱلْهَوَى فَمَا نَدِمْ ... أَمْ حَاوَرَ ٱلنِّسَاءَ يَوْمًا فَسَلِمْ

أَمْ مَنْ صَفَتْ أَيَّامُهُ وَأَنْصَفَتْ ... أَمْ صَحِبَ ٱلْمَلْكَ فَلَمْ يَخْشَ ٱلْعَنَتْ

وَاحَسْرَتِي لِلّٰهِ دَرُّ ٱلْقَائِلْ ... وَإِنَّمَا ٱلْحِكْمَةُ لِلْأَوَائِلْ

إِنَّهُمْ فِي صَبْرِهِمْ عَمَّنْ مَضَى ... وَتَرْكِهِمْ وَفَاءَهُمْ لِمَنْ وَفَى

شَبِيهُ خَانٍ فَاعْلَمَنْ وَمَكْتَبِ ... مَنْ مَرَّ يَوْمًا عَنْهُمَا لَمْ يُطْلَبِ

لَا يَحْفِلَانِ أَبَدًا بِمَنْ رَحَلْ ... لِكُلِّ مَنْ يَمْضِي مِنَ ٱلنَّاسِ بَدَلْ

قَالَ لَقَدْ أَزْعَجْتَنِي فَمَا لَكَا ... قَالَ لَهُ أَخْشَى ٱلْهُمَامَ ٱلْمَالِكَا

عَلَيْكَ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ ... يُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ مِنْكَ بَطْنَهُ

وَقَالَ إِنِّي أَشْتَهِي سَنَامَهْ ... وَزَوْرَهُ مُمَشِّشًا عِظَامَهْ

فَجِئْتُ إِذْ سَمِعْتُ ذَا لِأُنْذِرَكْ ... بَطْشَتَهُ فَخُذْ بِجِدٍّ حَذَرَكْ

فَرَاعَ ذَاكَ ٱلثَّوْرَ ثُمَّ فَكَّرَا ... وَقَالَ مَا كَانَ ٱلْجَرِي لِيَغْدِرَا (١)

كَيْفَ وَقَدْ أَعْطَانِيَ ٱلْأَمَانَا ... وَأَكَّدَ ٱلْعُهُودَ وَٱلْأَيْمَانَا

وَمَا أَسَأْتُ مُذْ لَزِمْتُ بَابَهْ ... وَلَا جَفَوْتُ مَرَّةً أَصْحَابَهْ

لَكِنَّهُ عَلَى ٱلْقَبِيحِ قَدْ حُمِلْ ... بِكَذِبٍ بُيِّتَ لَيْلًا وَعُمِلْ

وَقَدْ رَأَى مِنْ صُحْبَةِ ٱللِّئَامِ ... وَعِشْرَةِ ٱلْأَرَاذِلِ ٱلطَّغَامِ

مَا صَدَّقَ ٱلْوَاشِينَ بِٱلْكَرِيمِ ... وَحَقَّقَ ٱلْغِيبَةَ فِي ٱلْحَلِيمِ

---

(١) وكان في الاصل ... وقال ما أظنه ليغدرا

وَصُحْبَةُ ٱلْأَشْرَارِ حقًّا تُورِثُ — تُهْمَةَ كُلِّ صَاحِبٍ وَتُحْدِثُ
فَيَغْتَدِي ٱلعَاقِلُ ذُو ٱلتَّجَارِبِ — مُصَدِّقًا فِي ٱلْقَوْلِ كُلَّ كَاذِبِ
كَخَطَإِ ٱلْبَطَّةِ لَمَّا نَظَرَتْ — فِي ٱلْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَٱبْتَدَرَتْ
لِأَخْذِهِ وَقَدَّرَتْهُ سَمَكَهْ — ثُمَّ رَأَتْ أَنَّ ٱلْمَنَايَا مُهْلِكَهْ
وَأَبْصَرَتْ إِذْ أَقْبَلَتْ مِنَ ٱلْغَدِ — حُوتًا فَظَنَّتْهُ كَذَاكَ ٱلْفَرْقَدِ
فَأَخْطَأَتْ أَوَّلَةً وَثَانِيَهْ — وَٱلْحَظُّ لَا تَثْنِيهِ عَنْكَ ثَانِيَهْ
بُلِّغَ عَنِّي كَذِبًا فَصَدَّقَهْ — لِمَا رَأَى قَبْلِيَ مِمَّنْ طَوَّقَهْ
أَوْ قَالَ فِيَّ رَأْيَهُ أَوْ غَلِطَا — وَاشْتَطَّ فِي ٱلْحُكْمِ فَقَالَ شَطَطَا
وَأَعْجَبُ ٱلْأَشْيَاءِ أَنْ تُرِيدَا — وَصْلَ ٱمْرِئٍ فَيُكْثِرُ ٱلصُّدُودَا
هٰذَا عَجِيبٌ وَٱلْعَجِيبُ ٱلْمُفْرِطُ — أَنَّكَ تُرْضِي صَاحِبًا فَيَسْخَطُ
يَرْضَى ٱلَّذِي لَعَلَّهُ مَا أَغْضَبَهْ — وَٱلصَّعْبُ مَا يُخْفِي عَلَيْكَ سَبَبَهْ
قَدْ يُفْقَدُ ٱلْحُكْمُ لِفَقْدِ ٱلْعِلَّهْ — كَذٰلِكَ ٱلْقِيَاسُ وَٱلْأَدِلَّهْ
وَٱلْحَقُّ قَدْ يُوجَدُ ثُمَّ يُعْدَمُ — وَحُكْمُهُ كَذَاكَ لَيْسَ يَلْزَمُ
وَٱلسَّبَبُ ٱلْبَاطِلُ بَاقٍ دَائِمُ — فَحُكْمُهُ ٱلدَّهْرَ مُقِيمٌ لَازِمُ
وَٱلِٱعْتِذَارُ مُخْمِدٌ نَارَ ٱلْحَنَقْ — إِنْ كَذَبَ ٱلْقَائِلُ فِيهِ أَوْ صَدَقْ
وَلَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهِ أَذْكُرُهْ — إِلَّا صَغِيرٌ مِثْلُهُ لَا يُنْكِرُهْ

لَمْ آتِهِ مُعْتَمِدًا لَكِنْ فَرَطْ — وَٱلْمَرْءُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْغَلَطْ

لَا سِيَّمَا إِنْ دَامَتِ ٱلْمُخَالَطَهْ — وَزَالَتِ ٱلْكُلْفَةُ بِٱلْمُبَاسَطَهْ

فَغَلَطُ ٱلْمَرْءِ وَإِنْ تَحَفَّظَا — بِجُهْدِهِ إِذَا رَنَا أَوْ لَحَظَا

لَكِنَّ ذَا ٱلْعَقْلِ وَذَا ٱلْإِنْصَافِ — يَنْظُرُ فِي ذَاكَ بِفَهْمٍ صَافِي

مَا قَدْرُهُ وَحَقُّهُ وَسَبَبُهْ — وَتَرْكُهُ أَوْلَى بِهِ أَمْ أَدَبُهْ

عَمْدًا أَتَى ذَلِكَ أَمْ سَهْوٌ بَدَرْ — فَٱلْأَمْرُ لَا يَقْضَى بِهِ إِذَا نَدَرْ

وَلَا يَلُومُ صَاحِبًا إِذَا سَهَا — إِلَّا جَهُولٌ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ ٱلنُّهَى

لَا يَحْسُنُ ٱلْعِقَابُ وَٱلْهَوَانُ — إِلَّا إِذَا مَا قَبُحَ ٱلْغُفْرَانُ

وَٱللهِ مَا خَالَفْتُهُ فِي أَمْرِ — بَلْ رُبَّمَا نَهَيْتُهُ عَنْ شَرِّ

أَوْ فِعْلِ أَمْرٍ لَا يَجُوزُ فِعْلُهْ — أَوْ فَاحِشٍ يَأْنَفُ مِنْهُ مِثْلُهْ

نَصِيحَةً مِنِّي وَمِثْلِي يَنْصَحْ — فَظَنَّ ذَاكَ فِي عُلَاهُ يَقْدَحْ

وَجُرْأَةً مِنِّي عَلَى خِلَافِهْ — كَيْفَ وَقَدْ أَفْصَحَ بِٱعْتِرَافِهْ

أَنِّي لَهُ فِي ذَاكَ عَيْنُ ٱلنَّاصِحْ — وَمُرْشِدٌ هَادٍ إِلَى ٱلْمَصَالِحْ

وَكَانَ ذَاكَ ٱلْقَوْلُ مِنِّي سِرَّا — لَا بَيْنَ قُوَّادِ ٱلْجُيُوشِ جَهْرَا

فِي خَلْوَةٍ بِذُلِّ عَبْدٍ مُنْكَسِرْ — مُحَاذِرٍ بَطْشَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ

مِنْ طَلَبِ ٱلرُّخْصَةِ مِنْ مُشِيرِهْ — فِي فِعْلِهِ أَخْطَأَ فِي تَدْبِيرِهْ

فَإِنَّمَا ٱلنَّصِيحُ كَٱلطَّبِيبِ أَوْ كَٱلْفَقِيهِ ٱلْعَالِمِ ٱلْأَرِيبِ

« إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِلَّةَ ٱلْغَضَبْ سَاغَ لَنَا ٱلْقَوْلُ لَقَدْ كَانَ ٱلسَّبَبْ »

مِنْ سَكْرَةِ ٱلْمُلْكِ فَإِنَّ سُكْرَهْ يَسْلُبُهُ رَشَادَهُ وَحِجْرَهْ

فَيَعْكِسُ ٱلْقِيَاسَ فِي ٱلْأُمُورِ وَيَجْعَلُ ٱلصَّحِيحَ كَٱلْمَكْسُورِ

مُقَرِّبًا مَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلْبُعْدَا وَجَازِيًا بِٱلْبُغْضِ جَهْلًا وُدَّا

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُهُ بِلَا سَبَبْ إِلَّا كَمَا آثَرَ مِنْهُ وَأَحَبْ

لِذَاكَ قَالَ ٱلْحُكَمَاءُ خَاطِرَا مَنْ رَكِبَ ٱلْبَحْرَ ٱلْعَظِيمَ ٱلزَّاخِرَا

وَصَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ ذُو ٱلْمُشَاوَرَهْ أَشَدُّ مِنْهُ فَٱعْلَمَنْ مُخَاطَرَهْ

لَوْ بَذَلَ ٱلْمَجْهُودَ فِي خِدْمَتِهِ لَمْ يَكُ بِٱلسَّالِمِ مِنْ سَطْوَتِهِ

يَهْلَكُ أَوْ يُشْفِي عَلَى ٱلْهَلَاكِ كَذَاكَ حَالُ صَاحِبِ ٱلْأَمْلَاكِ

أَوْ لَا فَفَضْلِي آفَتِي كَٱلشَّجَرَهْ يَكْسِرُهَا ٱلْقَوْمُ لِطِيبِ ٱلثَّمَرَهْ

كَذَاكَ فَٱعْلَمْ ذَنَبُ ٱلطَّاوُوسِ صَيَّرَهُ فِي ٱلطَّيْرِ كَٱلْمَحْبُوسِ

وَٱلْفَرَسُ ٱلْجَوَادُ حِينَ يُرْكَبُ يَكُدُّهُ فَارِسُهُ وَيُتْعِبُ

وَٱلرَّجُلُ ٱلْفَاضِلُ ذُو ٱلْمُرُوَّهْ يَطْرَحُهُ حُسَّادُهُ فِي هُوَّهْ

لِأَنَّ أَهْلَ ٱلشَّرِّ فِيهِمْ كَثْرَهْ يَبْغُونَ لِلْحُرِّ ٱلْكَرِيمِ عَثْرَهْ

يَبْغُونَهُ فَلَا يَكَادُ يَسْلَمُ لِأَنَّهُ مُنْفَرِدٌ بَيْنَهُمُ

أَوِ ٱلْقَضَآءُ ٱلْغَالِبُ ٱلْمَحْتُومُ ... فَفِيهِ حَارَ ٱلْفَاضِلُ ٱلْحَكِيمُ

قَدْ يُوطِئُ ٱلصَّبِيَّ ظَهْرَ فِيلِهِ ... وَيُبْدِلُ ٱللَّيْثَ ٱلزُّبَى مِنْ غِيلِهِ

وَيَسْحَرُ ٱلْحَيَّةَ لِلْحَوَّآءِ ... وَيَخْدَعُ ٱلْأَرِيبَ بِٱلْأَهْوَآءِ

وَيَنْقُلُ ٱلرِّجَالَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ ... بِجَدِّهِمْ يُعْطَوْنَ لَا ٱسْتِحْقَاقِهِمْ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ لَا بَلْ طَبْعُهْ ... أَلْغَدْرُ وَهْوَ لَا يُطَاقُ نَزْعُهْ

فَفِعْلُهُ أَوَّلُهُ حَلَاوَهْ ... وَبَعْدَهُ مَرَارَةُ ٱلْعَدَاوَهْ

لَا بَلْ هُوَ ٱلسُّمُّ ٱلْمُمِيتُ ٱلْقَاتِلْ ... قَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ وَنِعْمَ ٱلْقَائِلْ

قَدْ ذُقْتُ مِنْ حَلْوَائِهِ ٱللَّذِيذَا ... فَٱلْآنَ جِئْتُ مَصْرَعِي وَقِيذَا

مَا كَانَ لَوْلَا ٱلْحَيْنُ وَٱلْخِذْلَانُ ... تَصْطَحِبُ ٱلْأُسُودُ وَٱلثِّيرَانُ

إِنَّ ٱلَّذِي أَلْقَاهُ بَعْضُ مَا فَعَلْ ... فَقَبَّحَ ٱلْحِرْصُ وَقُبِّحَ ٱلْأَمَلْ

قَدْ حَبَسَا عَنِّي نَصِيبِي ٱلْأَوْفَرْ ... مِثْلَ ٱحْتِبَاسِ ٱلنَّحْلِ فِي ٱلنَّيْلُوفَرْ

لَمَّا وَجَدْنَ رِيحَهُ ذَكِيَّا ... نَسِينَ لِلْحَيْنِ بِهِ ٱلْمُضِيَّا

فَٱنْطَبَقَتْ أَوْرَاقُهُ عَشِيَّا ... حَتَّى لَقِينَ ٱلْأَجَلَ ٱلْمَقْضِيَّا

وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِٱلْكِفَايَهْ ... وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا بَعِيدَ ٱلْغَايَهْ

مِثْلُ ٱلذُّبَابِ عَافَ أَوْرَاقَ ٱلشَّجَرْ ... وَتَرَكَ ٱلرَّيْحَانَ جَهْلًا وَبَطَرْ

وَرَامَ مَا تَحْتَ أُذَانِ ٱلْفِيلِ ... فَغَادَرَتْهُ ثَمَّ كَٱلْقَتِيلِ

أَلرَّأْيُ أَنَّا نَأْكُلُ ٱلْبَعِيرَا فَلَيْسَ فِي ٱلْجِنْسِ لَنَا نَظِيرَا

فَقَالَ بِئْسَ ٱلرَّأْيُ يَا مُدَبِّرُ أَجَائِزٌ أَنِّي بِجَارِي أَغْدُرُ

لَوْلَا ٱلَّذِي أَعْرِفُهُ مِنْ حَقِّكَا لَمْ أَكُ يَوْمًا مُشْفِقًا مِنْ قَتْلِكَا

أَرَدْتَ أَنْ أَكْذِبَ فِي مِيثَاقِي غَدْرًا وَلَيْسَ ٱلْغَدْرُ مِنْ أَخْلَاقِي

أَبَعْدَ مَا أَجَرْتُهُ أَجُورُ عَلَيْهِ إِنِّي جَاهِلٌ غَدُورُ

لَقَدْ تَجَرَّأْتَ إِذِ ٱسْتَقْبَلْتَنِي بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقَوْلِ وَٱسْتَجْهَلْتَنِي

أَمَا سَمِعْتَ ٱلْقَوْلَ لَيْسَ صَدَقَهْ كَمَنْعِكَ ٱلْخَائِفَ مِمَّا طَرَقَهْ

قَالَ عَرَفْتُ ذَاكَ لٰكِنْ عُذْرِي بَادٍ لَدَيْكَ ظَاهِرٌ كَٱلْفَجْرِ

قَدْ يُفْتَدَى بِٱلْمَرْءِ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ حِذَارَ أَنْ يَشْتَرِكُوا فِي ٱلْمَوْتِ

وَيُفْتَدَى بِبَيْتِهِ قَبِيلَهْ مِمَّا عَرَا حِينَ تَضِيقُ ٱلْحِيلَهْ

وَيُفْتَدَى ٱلْبِلَادُ بِٱلْقَبَائِلْ وَإِنْ عَلَتْ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ هَائِلْ

وَٱلْمِصْرُ لَا شَكَّ فِدَآءُ ٱلْمَلِكْ إِنْ خَافَ مِنْ بَطْشِ عَدُوٍّ مُهْلِكْ

فَغَيْرُ بِدْعٍ إِنْ وَقَيْنَا بِٱلْجَمَلْ نُفُوسَنَا فَمَا لَنَا مِنْهَا بَدَلْ

وَحِيلَتِي فِي أَكْلِهِ لَطِيفَهْ تَعْجَبُ مِنْهَا نَفْسُكَ ٱلشَّرِيفَهْ

وَلَا تُلَامُ مَعَهَا فِي أَكْلِهْ وَلَا تُظَنُّ غَادِرًا بِخِلِّهْ

فَأَطْرَقَ ٱللَّيْثُ وَمَا أَجَابَا بَلْ كَلَّمَتْ لِحَاظُهُ ٱلْغُرَابَا

فَعَادَ بِالْقَوْلِ إِلَى خَلِيلِهِ ... يَرْفُلُ لِلنَّجَاحِ فِي بُرْدَيْهِ
وَقَالَ إِنِّي قَدْ خَدَعْتُ الأَسَدَا ... فَفِي الْبَعِيرِ فَكِّرَا وَاجْتَهِدَا
قَالُوا لَهُ احْتَلْ حِيلَةَ الرِّجَالِ ... قَالَ ارْجِعُوا جَمْعًا إِلَى الرِّئْبَالِ
فَقَرِّظُوهُ وَاشْكُرُوا إِنْعَامَهُ ... وَبِرَّهُ وَأَظْهِرُوا إِعْظَامَهُ
ثُمَّ اذْكُرُوا ضِيقَتَهُ وَجُوعَهُ ... وَلْيَذْرِ كُلٌّ مِنْكُمُ دُمُوعَهُ
ثُمَّ يَقُولُ إِنَّنَا إِنْ لَمْ نَكُنْ ... فِي مِثْلِ هٰذِي الْحَالِ أَعْوَانًا نَحْنُ
لَا خَيْرَ فِينَا بَعْدَ ذَا وَمَا وَفَى ... مِنَّا لَهُ ذُو صُحْبَةٍ وَلَا كَفَى
فِعْلُ الْجَمِيلِ لِلرِّجَالِ عُدَّهْ ... وَإِنَّمَا تَعْرِفُهُمْ فِي الشِّدَّهْ
أَلنَّاسُ إِخْوَانُ الرَّخَاءِ كُلُّهُمْ ... حَتَّى إِذَا مَا حَالَ حَالَ جُلُّهُمْ
وَقَلَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدُومُ وُدُّهْ ... عِنْدَ الشَّقَاءِ أَوْ يَصِحُّ عَهْدُهْ
حِينَئِذٍ يَقُولُ كُلٌّ وَاحِدْ ... كُلْنِي فَإِنِّي لَكَ عَيْنُ الْحَامِدْ
أَقِيكَ بِالْمُهْجَةِ مِمَّا حَلَّ بِكْ ... فَبَدَرَ الْغُرَابُ غَيْرَ مُرْتَبِكْ
وَقَالَ نَفْسِي لَكَ يَا مَوْلَاهَا ... كُلْهَا تَنَلْ مِنْ دَهْرِهَا مُنَاهَا
قَالَ لَهُ عَنْ ذَاكَ صَاحِبَاهُ ... هٰذَا هُوَ الضَّلَالُ وَالسَّفَاهُ
قَالَ ابْنُ آوَى أَنْتَ لَا تُشْبِعُهُ ... وَإِنَّنِي لَطَيِّبٌ أُقْنِعُهُ
فَرَدَّ ذَاكَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ ... غَيْرُ الَّذِي أَبْدَيْتَهُ صَوَابُ

أَنْتَ خَبِيثٌ مُنْتِنٌ صُعْلُوكُ ‏ مِثْلُكَ لَا تَأْكُلُهُ ٱلْمُلُوكُ

قَالَ لَهُ ٱلذِّئْبُ وَلَكِنْ لَحْمِي ‏ خَيْرٌ فَكُلْ مِنْهُ بِغَيْرِ إِثْمِ

قَالَ ٱبْنُ آوَى وَٱلْغُرَابُ إِنَّهُ ‏ مَنْ أَكَلَ ٱلذِّئْبَ عَرَتْهُ مِحْنَهْ

إِذْ لَحْمُهُ يُوَلِّدُ ٱلْخُنَاقَا ‏ وَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ مَنْ أَفَاقَا

« فَظَنَّ إِذْ ذَاكَ ٱلْبَعِيرُ أَنَّهُ ‏ إِنْ قَالَ مِثْلَهُمْ يُسَفِّهُونَهُ »

« ثُمَّ تَدَنَّى مِنْهُمُ وَأَسْمَعَا ‏ مَا لَحْمُكُمْ بِمُشْبِعٍ أَلْجُوعَا »

« لَكِنْ أَنَا إِذَا أُكِلْتُ أُشْبِعُ ‏ وَإِنَّ لَحْمِي طَيِّبٌ وَيَنْفَعُ »

« كُلْنِي إِذاً مَوْلَايَ وَٱطْعَمْ حَشَمَكْ ‏ وَكُلُّ مَنْ تَعْرِفُهُ قَدْ خَدَمَكْ »

« فَكَانَ قَوْلُ جُمْلَةِ ٱلْأَصْحَابِ ‏ قَدْ نَطَقَ ٱلْبَعِيرُ بِٱلصَّوَابِ »(١)

وَٱبْتَدَرُوهُ بِٱلْمَخَالِيبِ إِلَى ‏ أَنْ عَادَ شِلْواً بَيْنَهُمْ فَأُكِلَا

« وَقَدْ ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَا ‏ مُخْتَصَراً مُبَيَّناً مُفَصَّلَا »

« لِكَيْ تَرَى أَنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ ‏ عَلَى ٱصْطِحَابٍ إِنْ رَأَوْا أَنْ يَغْدِرُوا »

« وَإِنْ يَكُنْ رَأْيُ ٱلْهُمَامِ فِيَّا ‏ خَيْراً وَيَدْرِي جَانِبِي بَرِيَّا »

« فَلَا يَرُدُّ ذَاكَ عَنْ عَيْنِي ٱلْقَذَى ‏ إِذَا أَرَادَ صَحْبُهُ لِيَ ٱلْأَذَى »

---

(١) كان عوض هذه الأبيات :

ثم دنا منه البعير قائلا ‏ كقولهم فظنَّ ظنّاً نائلا

وَقَالَ فِي ٱلْأَمْرِ ٱلْمُلُوكُ ٱلْأُوَلُ ... وَهْوَ لَهُمْ بِقَوْلِهِمْ يُمَثِّلُ

إِنَّ ٱلشَّرِيفَ مِنْهُمُ كَٱلنَّسْرِ ... أَقَامَ بَيْنَ جِيَفٍ وَقَبْرِ

وَكُلُّهُمْ كَجِيَفٍ مُلْقَاةِ ... بَيْنَ نُسُورِ ٱلْجَوِّ وَٱلْبُزَاةِ

لَوْ لَمْ يَرِدْ لِي ٱلشَّرُّ كَانَ جُنْدُهُ ... إِلَى ٱلَّذِي أَكْرَهُهُ يَرُدُّهُ

فَٱلْمَاءُ مِنْ قَوْلِ ٱلْعَدُوِّ أَلْطَفُ ... وَٱلْقَلْبُ مِنْ صُمِّ ٱلصُّخُورِ أَضْعَفُ

ثُمَّ إِذَا ٱلْمَاءُ عَلَى صَخْرٍ جَرَى ... مُدَيْدَةً غَادَرَ فِيهِ أَثَرَا

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ مَا تُرِيدُ ... قَالَ ٱلْقِتَالَ إِنَّنِي شَدِيدُ

وَلَا أَرَى مُسْتَسْلِمًا ذَلِيلَا ... مِنْ غَيْرِ مَا مَعْذَرَةٍ قَتِيلَا

أَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي بِذَاكَ ٱلشَّرَّا ... دَفْعَ مُرَجٍّ فِي ٱلْجِهَادِ أَجْرَا

« فَلَيْسَ لِلْعَابِدِ فِي صَلَاتِهِ ... وَلَا ٱلْمُزَكِّي قَطُّ فِي زَكَاتِهِ »

« أَجْرُ ٱلَّذِي عَنْ نَفْسِهِ يُجَاهِدُ ... فِي ٱلْحَقِّ فَٱلْأَوْلَى بِيَ ٱلتَّجَالُدُ »

لَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ وَمَوْتِي صَابِرَا ... مُجَاهِدًا مُجَاهِرًا مُغَامِرَا

أَحْسَنُ بِي مِمَّا أُقَادُ خَاضِعَا ... وَلَا أَرَى مُمَانِعًا مُدَافِعَا

إِمَّا يَمُوتُ أَوْ أَمُوتُ إِنَّهُ ... لِي إِنْ قُتِلْتُ أَوْ قَتَلْتُ ٱلْجَنَّهْ

فَدَفْعُهُ عَنْ مُهْجَتِي عِبَادَهْ ... وَإِنْ قُتِلْتُ فَهِيَ ٱلشَّهَادَهْ

ذَاكَ ٱلَّذِي يُبْرِدُ حَرَّ قَلْبِي ... انَّ ٱلشُّجَاعَ رَوْحُهُ فِي ٱلْحَرْبِ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ مَنْ يُخَاطِرْ … بِنَفْسِهِ وَلِلرَّدَى يُبَاشِرْ
يَسْتَوْجِبُ ٱلتَّعْنِيفَ وَٱلْمَلَامَهْ … وَشِدَّةَ ٱلْعِقَابِ فِي ٱلْقِيَامَهْ
إِنْ فَازَ لَمْ يُحْمَدْ وَإِنْ خَابَ شُتِمْ … وَقَلَّ مَنْ خَاطَرَ إِلَّا وَنَدِمْ
وَمَثَلٌ قَدْ قَالَهُ ٱلْأَوَائِلْ … فِيهِ لِمَنْ يَبْغِي ٱلْعُلُومَ طَائِلْ
تَوَقَّ كَيْدَ خَصْمِكَ ٱلضَّعِيفِ … أَلْعَاقِلِ ٱلْمُجَرَّبِ ٱلْحَصِيفِ
فَكَيْفَ بِٱلْخَصْمِ ٱلْقَوِيِّ ٱلْعَاقِلِ … أَلْفَاضِلِ ٱلْمُحَاوِلِ ٱلْمُزَاوِلِ
مَنْ أَمِنَ ٱلْحُسَّادَ وَٱلْأَعْدَآءَ … لَاقَى ٱلشَّقَآءَ ٱلْبَحْتَ وَٱلْبَلَآءَ
إِنَّ وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ لَمَّا ٱحْتَقَرَا … أَلطِّيطَوَى ٱلْحَقِيرَ لَاقَى ٱلْعِبَرَا
عَشَّشَ مَعْ زَوْجَتِهِ بِٱلسَّاحِلِ … فَقَالَتِ ٱلْأُنْثَى مَقَالَ عَاقِلِ
لَوِ ٱنْتَقَلْنَا كَانَ ذَاكَ أَحْرَى … بِمِثْلِنَا إِنِّي أَخَافُ ٱلْبَحْرَا
قَالَ لَهَا ٱلزَّوْجُ دَعِي عَنْكِ ٱلْحَذَرْ … فَٱلْبَحْرُ لَا يُهْلِكُنَا وَإِنْ زَخَرْ
لِأَنَّهُ يَنْظُرُ فِي ٱلْعَوَاقِبْ … بِرَأْيِ صَافِي ٱلرَّأْيِ ذِي تَجَارِبْ
قَالَتْ لَهُ قَوْلُكَ قَوْلُ ٱلْأَحْمَقِ … وَلَسْتَ فِي رَأْيِكَ بِٱلْمُوَفَّقِ
أَلْحُرُّ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلْ … وَلَا يَرُومُ حَمْلَ مَا لَا يُحْمَلْ
قَدْ قِيلَ أَقْوَى ٱلنَّاسِ جَمْعًا مَعْرِفَهْ … عَارِفُ قَدْرِ نَفْسِهِ بِلَا صِفَهْ
أَيُوعِدُ ٱلْبَحْرَ مَقَالُ ٱلْجَاهِلِ … لَقَدْ أَتَيْتَ بِٱلشَّنِيعِ ٱلْبَاطِلِ

قَالَتْ لَهُ إِذْ أَكْثَرَتْ وَأَكْثَرَا … وَضَجِرَتْ مِنْ عَتْبِهِ وَضَجِرَا

مَنْ لَمْ يُطِعْ نَصِيحَةً تَخَلَّفَا … أَصَابَهُ كَمَا أَصَابَ ٱلسُّلْحَفَا

قَالَ ٱذْكُرِي بِٱللهِ مَا أَصَابَهَا … قَالَتْ لَهُ وَأَعْلَنَتْ خِطَابَهَا

كَانَتْ بِأَرْضٍ عَيْنُ مَاءٍ زَاخِرَهْ … صَافِيَةٌ مِنْ كُلِّ رَنْقٍ غَامِرَهْ

فِيهَا مِنَ ٱلطُّيُورِ بَطَّتَانِ … وَسُلْحَفَا وَفِي مِنَ ٱلْحِيتَانِ

فَطَالَتِ ٱلصُّحْبَةُ حَتَّى ٱسْتَأْنَسُوا … وَٱلْوَطَنُ ٱلْجَامِعُ لَا ٱلتَّجَانُسُ

فَجَفَّتِ ٱلْعَيْنُ وَغَارَ ٱلْمَاءُ … وَحَلَّ بِٱلثَّلَاثَةِ ٱلْبَلَآءُ

فَقَالَتَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَنْتَقِلْ … إِلَى مَكَانٍ غَيْرِهِ وَنَرْتَحِلْ

قَالَتْ وَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا ٱلسُّلْحَفَا … لَمْ يَبْقَ فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ ذُو وَفَا

فَقَالَتَا لِمْ بَيِّنِي مَا ذَاكِ … إِنَّا لَيَعْنِينَا ٱلَّذِي عَنَاكِ

قَالَتْ أَبَعْدَ ٱلصُّحْبَةِ ٱلْمَدِيدَهْ … وَٱلْأُلْفَةِ ٱلصَّادِقَةِ ٱلْوَكِيدَهْ

تَنْتَقِلَانِ ثُمَّ أَبْقَى مُفْرَدَهْ … إِذًا أَمُوتُ فِي مَكَانِي مُكْمَدَهْ

لَوْ كُنْتُمَا رَعَيْتُمَا ٱلْإِخَآءَ … طَلَبْتُمَا أَيْضًا لِيَ ٱلنَّجَآءَ

فَأَنْتُمَا أَعْلَمُ بِٱلصَّلَاحِ … مِنِّي وَأَوْلَى ٱلْيَوْمَ بِٱلْفَلَاحِ

لِأَنَّنِي حُوتٌ حَيَاتِي ٱلْمَآءُ … وَلَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ بَقَآءُ

« فَقَالَتَا إِنْ أَنْتَ سَاعَدْتَ بِمَا ... نَبْغِي قَصَدْنَا جُمْلَةً مَحَلَّ مَا »[1]

هٰذَا قَضِيبٌ فَأَلْزِمِي بِفِيكِ ... وَسَطَهُ وَإِنَّنَا نَكْفِيكِ

فَشَالَتَا رَاسَيْهِ وَهْيَ فِي ٱلْوَسَطْ ... وَطَارَتَا فَأَكْثَرَ ٱلنَّاسُ ٱللَّغَطْ

أَلْعَجَبُ ٱلْعَجَبُ إِنَّ ٱلسُّلْحَفَا ... تَطِيرُ بَيْنَ زَوْجِ بَطٍّ وَحَفَا

فَفَتَحَتْ فَاهَا تُعِيذُ نَفْسَهَا ... بِٱللهِ مِنْ عُيُونِهِمْ فَمَسَّهَا

مَا أَشْفَقَتْ مِنْهُ فَخَرَّتْ سَاقِطَهْ ... كَذَاكَ لَاشَكَّ تَكُونُ ٱلْغَالِطَهْ

قَالَ لَهَا ٱلزَّوْجُ سَمِعْتُ قَوْلَكِ ... فَعَشِّشِي فِيهِ وَخَلِّي خَوْفَكِ

فَٱلْبَحْرُ لَا يَفْعَلُ خَوْفَ ٱلْعَاقِبَهْ ... فَذَهَبَتْ مِنْ قَوْلِهِ مُغَاضِبَهْ

فَفَرَّخَتْ وَٱلْبَحْرُ قَدْ كَانَ سَمِعْ ... مَقَالَةَ ٱلزَّوْجِ لَهَا لَا يَرْتَدِعْ

فَعَجِبَ ٱلْبَحْرُ وَمَدَّ وَزَجَرْ ... فَأَخَذَ ٱلْفَرْخَيْنِ وَٱلْعُشَّ وَمَرّ

قَالَتْ لَهُ لَقَدْ رَأَيْتَ مَا جَرَى ... قَالَ لَهَا وَسَتَرَيْنَ ٱلْعِبَرَا

فَجَمَعَ ٱلطُّيُورَ مُسْتَغِيثَا ... مِمَّا جَرَى وَذَكَرَ ٱلْحَدِيثَا

قَالَتْ لَهُ ٱلطُّيُورُ مَاذَا نَصْنَعْ ... أَلْبَحْرُ أَقْوَى قُوَّةً وَأَمْنَعْ

قَالَ إِذَا قَصَدْتُمُ ٱلْعَنْقَاءَ ... أَزَالَ عَنَّا ٱلْبُؤْسَ وَٱلشَّقَاءَ

---

(١) كان الاصل :

فقالتا إن أنتِ ساعدتينا ... بالصبر سرنا كلنا قطينا

فجاءت الطيور وهي باكيه / منه إلى عنقائهن شاكيه
قائلة أنت الكبير السيد / ودفعك المكروه عنا السودد
إن العظيم في العظيم يقصد / لا مجد في الدنيا لمن لا يحمد
قال وما أصنع قلن جمعا / ألمرء لا يجهل كيف يسعى
إذا أراد لأخيه نفعا / فهتف العنقاء سمعا سمعا
وجاء في الحال إلى متعده / وهو قوي مفرد في جلده
مستنجدا على وكيل البحر / فذعر الوكيل أي ذعر
منه ورد مده الفرخين / فعاد مسرورا قرير العين
وإنما ضربت هذا المثلا / موعظة مني لكي لا تعجلا
إن القتال آخر الأعمال / بعد نكول حيلة المحتال
فعند هذا القول قال الثور / تغيري على الهمام جور
والله ما بدأته بشر / في حالة السر ولا في الجهر
حتى أرى منه الذي أخافه / حينئذ يحسن بي خلافه
فارتاع من هذا الكلام دمنه / وقال إذ فكر فيه إنه
إن لم يكن فيه علامات الغضب / ولم يحل عن حاله خفت العطب
إذا رآه ساكنا كما كان / حقق أني قد ذكرت البهتان

فَقَالَ لِلثَّوْرِ إِذَا رَأَيْتَهُ ... قَدْ حَالَ عَنْ حَالَتِهِ اتَّقَيْتَهُ

قَالَ وَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَغَيُّرِهْ ... عَلَيَّ فِي الْحَالِ وَمِنْ تَنَكُّرِهْ

قَالَ تَرَاهُ مُقْعِيًا يَكِيدُ كَا ... وَفَاغِرًا فَاهُ بِهِ يُرِيدُ كَا

وَضَارِبًا مَا حَوْلَهُ بِذَنَبِهْ ... فَذَاكَ فَاعْرِفْهُ دَلِيلُ غَضَبِهْ

قَالَ لَئِنْ رَأَيْتُهُ كَذَاكَ ... بَادَرْتُهُ الصِّيَالَ وَالْعِرَاكَا

حَتَّى إِذَا مَا أَفْسَدَ الْوِدَادَا ... بَيْنَهُمَا وَأَلْقَحَ الْعِنَادَا

جَاءَ إِلَى صَاحِبِهِ لِيُخْبِرَهْ ... فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قَالَ مُنْكِرَهْ

أَلْقَيْتُ مَا بَيْنَهُمَا ضَغِينَهْ ... نَفْسَاهُمَا بِشَرِّهَا رَهِينَهْ

فَلَنْ يَعُودَا أَخَوَيْنِ أَبَدَا ... وَالْوُدُّ لَا يَبْقَى إِذَا مَا فَسَدَا

وَالْحُبُّ لَا يَرْجِعُ بَعْدَمَا ذَهَبْ ... أَضْرَمْتُ نَارًا فِيهِمَا ذَاتَ لَهَبْ

دَبَبْتُ بِالْكَيْدِ وَذُو الشَّرِّ يَدِبّْ ... فَمَا أُبَالِي مِنْهُمَا بِمَنْ عَطِبْ

وَحَضَرَا فِي جُمْلَةِ الْأَصْحَابِ ... فَدَخَلَ الثَّوْرُ بِلَا حِجَابِ

فَصَرَّ أُذْنَيْهِ وَأَقْعَى الْأَسَدُ ... وَلَمْ تَزَلْ أَعْضَاؤُهُ تَرْتَعِدُ

يَضْرِبُ جَنْبَيْهِ جَمِيعًا بِالذَّنَبْ ... وَيَحْرِقُ النَّابَ لِسَوْرَاتِ الْغَضَبْ

فَصَدَّقَ الثَّوْرُ كَلَامَ دِمْنَهْ ... وَقَالَ إِذْ حَقَّقَ فِيهِ ظَنَّهْ

مُجَاوِرُ الْمَلِيكِ فِي مَا يَذْعَرُهْ ... مِنْهُ وَمَا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهْ

كَأَنَّـهُ مُجَاوِرٌ لِأَفعَى ... يَخَافُ فِي ٱلسَّاعَاتِ مِنْهَا ٱللَّسْعَا

أَوْ مِثْلُ مَنْ جَاوَرَ لَيْثًا خَادِرَا ... أَوْ سَابِحٍ يَقْطَعُ بَحْرًا زَاخِرَا

فِيهِ ٱلتَّمَاسِيحُ فَلَيْسَ يَدْرِي ... مَتَى تُفَاجِيهِ بِأَمْرٍ نُكْرِ

وَفَكَّرَ ٱلثَّوْرُ وَقَدْ تَغَيَّرَا ... فَظَنَّ فِيهِ ٱللَّيْثُ بَلْ تَصَوَّرَا

أَنْ قَدْ أَتَاهُ طَالِبًا قِتَالَهْ ... وَقَالَ صَحَّ ٱلْقَوْلُ لَا مَحَالَهْ

فَوَثَبَ ٱللَّيْثُ عَلَيْهِ وَوَثَبْ ... فَكَادَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَلْقَى ٱلْعَطَبْ

وَسَالَتِ ٱلدِّمَآءُ مِنْ كِلَاهُمَا ... وَبَقِيَا عِبْرَةَ مَنْ يَرَاهُمَا

قَالَ لَهُ صَاحِبُـهُ لَمْ تَرْفُقْ ... لَقَدْ فَعَلْتَ ٱلْيَوْمَ فِعْلَ ٱلْأَخْرَقْ

فَبِئْسَتِ ٱلْحِيلَةُ كَانَتْ حِيلَتُكْ ... فَإِنَّهَا إِلَى ٱلرَّدَى وَسِيلَتُكْ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ فِي ذَاكَ وَلِمْ ... تَلُومُنِي فِي مَا جَرَى وَلَمْ أُلِمْ

شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ أَرَبِي ... وَكَانَ هٰذَا حَاجَتِي وَطَلَبِي

قَالَ فَضَحْتَ ٱلْمَلِكَ ٱلْهُمَامَا ... وَفَرِقَ ٱلْمَلْكُ فَلَنْ يَلْتَامَا

وَمَرَّ مِنْ يَدَيْهِ مِثْلُ شَتْرَبَهْ ... وَمَا ٱللَّيَالِي بَعْدَهُ بِمُنْجِبَهْ

وَٱلْخُرْقُ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَسْتَغْنِي ... عَنْ فِعْلِهِ فَتُكْثِرُ ٱلتَّعَنِّي

كَمْ مِنْ كَمِيٍّ أَمْكَنَتْهُ فُرْصَهْ ... فَخَافَ عُقْبَاهَا تَكُونُ غُصَّهْ

فَكَفَّ عَنْهَا حَذَرَ ٱلْمُخَاطَرَهْ ... وَٱلْغِرُّ يَغْتَرُّ بِأَدْنَى بَادِرَهْ

وَقَالَ عَلِيٌّ أَبْلُغُ ٱلْمُرَادَا وَلَمْ أُرِدْ لِأَحَدٍ فَسَادَا
إِنَّ وَزِيرَ ٱلْمَلِكِ وَٱلْمُشِيرَا عَلَيْهِ بِٱلْحَرْبِ إِذَا ٱسْتُشِيرَا
فِي مَا يُطِيقُ دَفْعَهُ بِٱلسِّلْمِ فَهُوَ لَهُ لَا شَكَّ شَرُّ خَصْمِ
إِنْ جُبْنَ ٱلْمَرْءِ لِضَعْفِ قَلْبِهِ فَخَطَلُ ٱلرَّأْيِ مُضِرٌّ صَحْبِهِ
فَٱلرَّأْيُ وَٱلنَّجْدَةُ تَوْأَمَانِ مَا فِيهِمَا عَنْ خِلِّهِ بِغَانِ
وَٱلرَّأْيُ فِيهَا فِي ٱلْحُرُوبِ ٱلْأَفْضَلُ لِأَنَّهَا ثَانِيهِ وَهْوَ ٱلْأَوَّلُ
فَإِنَّمَا بِٱلرَّأْيِ وَٱلتَّدْبِيرِ حَقًّا تُرَجَّى أَكْثَرُ ٱلْأُمُورِ
قَدْ يَسْتَقِلُّ ٱلرَّأْيُ دُونَ ٱلْبَاسِ وَٱلْبَأْسُ دُونَ ٱلرَّأْيِ ذُو ٱلْتِبَاسِ
وَإِنَّ مَنْ هَمَّ بِأَمْرٍ نُكُرِ إِنْ هُوَ لَمْ يَعْرِفْ وُجُوهَ ٱلْأَمْرِ
يَكُونُ حَقًّا فِعْلُهُ كَفِعْلِكَا قَدْ كُنْتُ أَدْرِي بِقَبِيحِ جَهْلِكَا
وَمُذْ رَأَيْتُ فِي ٱلْأُمُورِ حِرْصَكَا عَرَفْتُ يَا دِمْنَةُ مِنْهُ نَقْصَكَا
وَخِفْتُ مِنْ فَاحِشَةٍ تَأْتِيهَا جَهْلًا وَمِنْ مَغِيرَةٍ تَجْنِيهَا
تُهْلِكُنِي بِجَهْلِهَا وَتَهْلِكُ لَكِنَّنِي كُنْتُ حَيَاءً أُمْسِكُ
وَسِمْتَنِي بِٱلشُّؤْمِ وَٱلْبَوَارِ قَدْ يُؤْخَذُ ٱلْجَارُ بِذَنْبِ ٱلْجَارِ
فَحِينَ أَسْرَفْتَ وَلَمْ تَقْتَصِدِ عَرَفْتُ تَزْيِيفَكَ فِي ذَا ٱلْمَشْهَدِ
وَٱلْحَازِمُ ٱلْعَاقِلُ مَنْ إِذَا عَزَمْ أَمْرًا تَوَقَّى فِيهِ أَسْبَابَ ٱلنَّدَمْ

وَلاَ يَكُونُ مُسْرِفًا بَلْ يَقْتَصِدْ ... وَإِنْ رَآهُ عَسِرًا لَمْ يَجْتَهِدْ

حَسْبُكَ هَذَا يَا ٱبْنَ عَمٍّ خَطَلاَ ... أَحْسَنْتَ قَوْلاً وَأَسَأْتَ عَمَلاَ

قَدْ ذَكَرَ ٱلْعَاقِلُ فِي مَا قَالاَ ... إِنَّ ٱلْحَكِيمَ يَضْرِبُ ٱلْأَمْثَالاَ

لاَ شَيْءَ فِي ٱلدَّهْرِ أَضَرُّ بِٱلدُّوَلْ ... مِنْ حُسْنِ قَوْلٍ بَعْدَهُ سُوءُ عَمَلْ

وَإِنَّمَا ٱلْقَوْلُ بِغَيْرِ فِعْلِ ... كَٱلْجِسْمِ ذِي ٱلْحُسْنِ بِغَيْرِ عَقْلِ

لاَ خَيْرَ فِي جِسْمٍ مَلِيحِ ٱلْمَنْظَرْ ... وَهُوَ لَدَى ٱلْبَحْثِ قَبِيحُ ٱلْمَخْبَرْ

لاَ فَضْلَ فِي ٱلْمَالِ بِغَيْرِ جُودِ ... وَٱلصِّدْقِ فِي ٱلأَبْوَافَا ٱلْعُهُودِ

وَٱلْفِقْهُ لاَ يَحْسُنُ إِلاَّ بِٱلْوَرَعْ ... وَٱلْبِرُّ بِٱلنِّيَّةِ خَيْرُ مُتَّبَعْ

عُمْرُ ٱلْفَتَى صِحَّتُهُ وَلَذَّتُهْ ... وَمَوْتُهُ عِلَّتُهُ وَتَرْحَتُهْ

وَقَدْ تَعَاطَيْتَ عَظِيمًا هَائِلاَ ... تَلْقَى بِهِ مَا عِشْتَ شُغْلاً شَاغِلاَ

يُصْلِحُهُ ٱلْمُوَفَّقُ ٱللَّبِيبْ ... كَٱلدَّاءِ إِذْ يُبْرِئُهُ ٱلطَّبِيبْ

إِذَا أَبَتْ أَخْلاَطُهُ ٱعْتِدَالاَ ... وَزَالَ عَنْ مِزَاجِهِ وَحَالاَ

لَمْ يَشْفِهِ إِلاَّ ٱلطَّبِيبُ ٱلْحَاذِقْ ... مَا كُلُّ مَشْرُوبٍ لَهُ يُوَافِقْ

وَإِنَّ سُكْرَ ٱلْعَاقِلِ ٱلأَدِيبِ ... يَزُولُ بِٱلتَّأْدِيبِ وَٱلتَّهْذِيبِ

وَسَكْرَةُ ٱلأَحْمَقِ مِنْ تَأَدُّبِهْ ... مِثْلُ ضِيَاءِ ٱلشَّمْسِ فِي تَلَهُّبِهْ

يَزِيدُ كُلَّ ٱلنَّاظِرِينَ نُورَا ... وَيَمْنَعُ ٱلْخُفَّاشَ أَنْ يَطِيرَا

ذُو ٱلْعَقْلِ لَا يُبْطِرُهُ مَا نَالَهُ — مِنْ شَرَفٍ فَاقَ بِهِ أَمْثَالَهُ

بَلْ هُوَ فِيهِ ثَابِتٌ مِثْلَ ٱلْجَبَلْ — لَوْ عَصَفَتْ كُلُّ ٱلرِّيَاحِ لَمْ يَمِلْ

وَٱلْعَاجِزُ ٱلرَّأْيِ ٱلَّذِي قَدْ يُبْطِرُهْ — أَقَلُّ شَيْءٍ نَالَهُ وَيُسْكِرُهْ

مِثْلُ ٱلْحَشِيشِ تَحْتَ أَنْفَاسِ ٱلصَّبَا — إِذَا ٱلصَّبَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ٱضْطَرَبَا

أَذْكَرْتَنِي ٱلْآنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا — قَوْلًا لَهُ قَدْ كُنْتُ قِدْمًا رَاوِيَا

أَلْمَلِكُ ٱلصَّالِحُ لَا يُنْتَفَعُ — بِهِ إِذَا كَانَ ٱلْوَزِيرُ يَمْنَعُ

كَالْمَاءِ تُلْفِيهِ نَمِيرًا بَارِدَا — فِيهِ تَمَاسِيحٌ تَضُرُّ ٱلْوَارِدَا

لَا يَسْتَطِيعُ وَارِدٌ أَنْ يَدْخُلَهْ — لِأَنَّهُ يَخَافُهَا أَنْ تَقْتُلَهْ

وَزِينَةُ ٱلْمُلُوكِ بِٱلْأَصْحَابِ — «أَلْحَسَنِي ٱلدِّينِ ذَوِي ٱلْآدَابِ»

وَإِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ لَا يَدْنُو — مِنْهُ سِوَاكَ فَٱعْتَرَاكَ ٱلضِّغْنُ

فَاتَكَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ مِثْلُ ٱلْبَحْرِ — أَصْحَابُهُ كَمَوْجِهِ إِذْ يَجْرِي

وَٱلْخُرْقُ أَنْ يَصْطَفِيَ ٱلْإِخْوَانَا — مَنْ عَرَفُوهُ غَادِرًا خَوَّانَا

«وَأَنْ يَرُومَ عِشْرَةَ ٱلنِّسَاءِ — فَظُّ طِبَاعٍ لَيْسَ ذَا حَيَاءِ»

«كَذَاكَ مَنْ يَبْغِي نَوَالَ ٱلْآخِرَهْ — وَهْوَ يَكُنُّ مَا يُنَافِي ظَاهِرَهْ»

وَضَرُّكَ ٱلنَّاسَ لِنَفْعِ نَفْسِكَا — وَٱلْجُهْدُ فِي وَحْشَتِهِمْ لِأُنْسِكَا

إِنِّي لَأَدْرِي أَنَّ وَعْظِي ضَائِعُ — كَمَثَلِ ٱلطَّائِرِ وَهْوَ شَائِعُ

إذْ قَالَ لَا نُصْحَ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ ... قَالَ وَكَيْفَ كَانَ ذَاكَ ٱلْمَثَلُ
قَالَ قُرُوْدٌ أَبْصَرَتْ يَرَاعَهْ ... فَقَدَّرَتْهَا جَمْرَةً لَمَّاعَهْ
فَجَمَعَتْ مِنْ حَطَبٍ أَضْبَارَهْ ... وَهْيَ تَظُنُّ أَنَّهَا شَرَارَهْ
وَنَفَخَتْ لَيْلَتَهَا لِتَضْطَرِمْ ... وَكَانَ ثَمَّ طَائِرٌ وَقَدْ عَلِمْ
فَلَامَهُنَّ نَاصِحًا فَٱغْتَظْنَهْ ... مِنْهُ وَلَوْ أَنْصَفْنَ كَانَتْ مِنَّهْ
ثُمَّ دَنَا مِنْهُنَّ لَمَّا ضَجِرَا ... مِنْ نَفْخِهِنَّ ثُمَّ قَالَ مُخْبِرَا
«لَيْسَ ٱلَّذِي تَنْفُخْنَ شَيْئًا يُوْقَدُ ... وَيَصْطَلِي بِجَرِّهِ مَنْ يَبْرُدُ»
فَقَالَ ذُوْ عَقْلٍ لَهُ لَا تَعِظِ ... مَنْ لَيْسَ ذَا فَهْمٍ وَذَا تَيَقُّظِ
يَتْعَبُ مَنْ ثَقَّفَ عُوْدًا يَابِسًا ... أَوْ وَرَدَ ٱلْمَآءَ ٱلزُّلَالَ قَابِسَا
أَلْفَرَسُ ٱلْقَارِحُ يُعْيِي ٱلرَّائِضَا ... وَٱلْمَآءُ فِي ٱلْكَفِّ يَخُوْنُ ٱلْقَابِضَا
فَخَالَفَ ٱلنَّاصِحَ ثُمَّ أَقْبَلَا ... إِلَى ٱلْقُرُوْدِ نَاصِحًا فَقُتِلَا
كَذَاكَ أَنْتَ لَا تُطِيعُ ٱلنَّاصِحَا ... إِنِّي أَرُوْضُ ٱلْيَوْمَ مِنْكَ قَارِحَا
خُبْثٌ وَعَجْزٌ وَهُمَا شَرُّ ٱلشِّيَمْ ... فِيكَ فَسَوْفَ تَقْرَعُ ٱلسِّنَّ نَدَمْ
إِنَّكَ كَٱلْخِبِّ شَرِيكِ ٱلْغَافِلِ ... قَالَ وَلِمْ جَعَلْتَهُ مُمَاثِلِي
فَٱذْكُرْهُ أَعْرِفْ أَمْرَهُ قَالَ نَعَمْ ... قَدْ كَانَ فِي مَنْ قَبْلَنَا مِنَ ٱلْأُمَمْ
خِبٌّ وَشَرُّ ٱلْعَالَمِينَ ٱلْخِبُّ ... لِأَنَّهُ فِي ضَرِّهِمْ يَدِبُّ

شَارَكَهُ مُغَفَّلٌ فَوَجَدَا　　كِيسًا فَقَالَ قَدْ سَعِدْنَا أَبَدَا
فَقَالَ لِلْخَبِّ ٱلْفَتَى ٱلْمُغَفَّلُ　　هَلُمَّ نَقْسِمْهُ فَذَاكَ أَفْضَلُ
قَالَ لَهُ وَمَالَنَا فِي ٱلْقِسْمَهْ　　كَأَنَّ فِينَا أَحَدًا ذَا تُهْمَهْ
نَأْخُذُ مِنْهُ ٱلْآنَ قَدْرَ ٱلنَّفَقَهْ　　وَنَدْفِنُ ٱلْبَاقِي لِكَيْ لَا نَمْحَقَهْ
وَكُلَّمَا ٱحْتَجْنَا أَخَذْنَا شَيْئَا　　فَفَاءَ فِي ذَاكَ إِلَيْهِ فَيْئَا
فَأَتَيَا قَصْدًا إِلَى بَعْضِ ٱلشَّجَرْ　　فَدَفَنَاهُ عِنْدَهَا تَحْتَ حَجَرْ
حَتَّى إِذَا مَا وَصَلَا إِلَى ٱلْبَلَدْ　　خَالَفَهُ ٱلْخَبُّ إِلَيْهَا وَعَمَدْ
لِأَخْذِهِ فَحَفَرَ ٱلْمَكَانَا　　بِرِفْقَةٍ وَأَخَذَ ٱلْهِمْيَانَا
ثُمَّ مَضَتْ عَلَيْهِمَا أَيَّامُ　　فَقَالَ وَٱلظُّلْمُ لَهُ ظَلَّامُ
أُخْرُجْ لِكَيْ نَأْخُذَ قَدْرَ ٱلنَّفَقَهْ　　فَخَرَجَا وَرُبَّمَا خَانَ ٱلثِّقَهْ
فَنَبَشَا ذَاكَ ٱلْمَكَانَ عَنْهُ　　فَأَلْفَيَاهُ وَهُوَ قَفْرٌ مِنْهُ
فَوَثَبَ ٱلْخَبُّ عَلَى ٱلْمُغَفَّلِ　　يَصِيحُ قَدْ أَخَذْتَهُ لَا يَأْتَلِي
وَذٰلِكَ ٱلْمِسْكِينُ أَيْضًا يَحْلِفُ　　وَقَلَّمَا يُوجَدُ خِلٌّ يُنْصِفُ
فَٱتَّفَقَا عَلَى حُضُورِ ٱلْقَاضِي　　كُلٌّ بِمَا يَقْضِي عَلَيْهِ رَاضِي
وَسَبَقَ ٱلْخَبُّ فَقَالَ وَٱدَّعَى　　فَقَالَ هَلْ مِنْ شَاهِدٍ لِأَسْمَعَا
قَالَ نَعَمْ لِي شَاهِدٌ تَرْضَى بِهِ　　قَالَ وَمَنْ فَقَالَ فِي جَوَابِهِ

تَشْهَدُ لِي بِمَا أَقُولُ ٱلدَّوْحَهْ ... فَصِرْ إِلَيْهَا غُدْوَةً أَوْ رَوْحَهْ

فَأَنْكَرَ ٱلْقَاضِي كَلَامَ ٱلشَّجَرَهْ ... وَقَالَ هٰذَا مِنْ فِعَالِ ٱلْمَكَرَهْ

نَعَمْ أَصِيرُ بُكْرَةً إِلَيْهَا ... مُعَوِّلًا فِيمَا جَرَى عَلَيْهَا

فَرَجَعَ ٱلْخَبُّ إِلَى أَبِيهِ ... مُجْتَهِدًا فِي ٱلْمَكْرِ وَٱلتَّمْوِيهِ

وَقَالَ سَاعِدْنِي فَرَأْيُ ٱلْوَالِدِ ... يُذْخَرُ لِلنَّوَائِبِ ٱلشَّدَائِدِ

فَقَالَ مَا أَصْنَعُ قَالَ ٱلشَّجَرَهْ ... عَظِيمَةُ ٱلْمَنْظَرِ وَهْيَ نَخِرَهْ

فِيهَا مَكَانٌ وَاحِدٌ كَٱلْمَخْدَعِ ... وَهٰذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ خُدَعِي

فَٱدْخُلْهُ فِي ٱللَّيْلِ دُخُولَ رِفْقِ ... وَٱشْهَدْ إِذَا مَا سَأَلُوا بِصِدْقِي

قَالَ لَهُ أَبُوهُ رُبَّ مَاكِرِ ... قَدِ ٱبْتُلِي مِنْ أَمْرِهِ بِفَاقِرِ

فَلَا تَكُنْ وَيْحَكَ كَٱلْعُلْجُومِ ... لَمَّا غَدَا مِنْ مَكْرِهِ فِي شُومِ

كَانَ لَهُ عِشٌّ بِقُرْبِ جُحْرِ ... لِحَيَّةٍ كَانَتْ إِلَيْهِ تَسْرِي

تَأْكُلُ مَا فَرَّخَهُ فَغَمَّهْ ... ذٰلِكَ مِنْ فِعَالِهَا وَهَمَّهْ

حَتَّى رَآهُ سَرَطَانٌ قَدْ بَكَى ... فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْ لِي فَحَكَى

قِصَّتَهُ فَقَالَ قَدْ كُفِيتَا ... فَلَا تَضِعْ مِنْ بَعْدُ مَا أُولِيتَا

ظَفِرْتَ بِٱلنَّصْرِ فَعِنْدَ جُحْرِهَا ... جُحْرُ ٱبْنِ عِرْسٍ شَرُّهُ كَشَرِّهَا

وَهْوَ لَهَا ضِدٌّ عَدُوٌّ فَٱعْلَمِ ... بِٱلطَّبْعِ إِنْ أَبْصَرَهَا لَمْ يَرْحَمِ

فَٱطْرَحْ مِنَ ٱلْأَسْمَاكِ فِي طَرِيقِهْ ... شَيْئًا إِلَى مَكَانِهَا وَضِيقِهْ
فَإِنَّهُ سَيَطْلُبُ ٱلْحِيتَانَا ... فَيُبْصِرُ ٱلْحَيَّةَ وَٱلْمَكَانَا
وَكَانَ مَا قَالَ فَلَمَّا أَكَلَا ... أَلْحُوتَ وَٱلْحَيَّةَ أَمْسَى جَذِلَا
وَفِي غَدٍ بَاكَرَ ذَاكَ ٱلْمَوْضِعَا ... لِيَطْلُبَ ٱلرَّسْمَ ٱلَّذِي قَدْ قُطِعَا
فَمَا رَأَى شَيْئًا سِوَى ٱلْعُلْجُومِ ... ذَاكَ ٱلشَّقِيِّ ٱلْخَائِنِ ٱلْمَشْؤُومِ
فَأَكَلَ ٱلزَّوْجَيْنِ وَٱلْفِرَاخَا ... وَٱللَّحْمَ وَٱلْعِظَامَ وَٱلْمِخَاخَا
فَعَادَ مَا دَبَّرَهُ عَلَيْهِ ... فَلَا تُضِفْ فِي شُؤْمِهِ إِلَيْهِ
قَالَ لَهُ ٱلْخَبُّ لَقَدْ جَنَيْنَا ... وَلَيْسَتِ ٱلْحَالُ كَمَا ظَنَنَّا
إِذْهَبْ فَثَمَّ مَوْضِعٌ خَفِيُّ ... وَأَنْتَ فِيهِ آمِنٌ مَكْفِيُّ
قَالَ نَعَمْ وَمَرَّ مِنْ شَقَائِهْ ... وَلَمْ يَزَلْ يَجْهَدُ فِي ٱرْتِقَائِهْ
حَتَّى إِذَا مَا دَخَلَ ٱلْمَكَانَا ... نَامَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنْ قَدْ حَانَا
وَٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ لِفَصْلِ ٱلْحُكْمِ ... وَعَجِبَ ٱلْكُلُّ لِقَوْلِ ٱلْخَصْمِ
قَالَ لَهُ ٱلْخَبُّ مَقَالَ ٱلْمُعْتَدِي ... بَيِّنَتِي هٰذِي فَسَلْهَا تَشْهَدِ
قَالَ لَهَا ٱلْقَاضِي ٱشْهَدِي وَحَصِّلِي ... قَالَ ٱلدَّنَانِيرُ مَعَ ٱلْمُغَفَّلِ
فَأَنْكَرَ ٱلْقَاضِي كَلَامَ مِثْلِهَا ... وَلَمْ يَزَلْ يَطُوفُ حَوْلَ أَصْلِهَا
حَتَّى رَأَى ذَاكَ ٱلْمَكَانَ فَأَمَرْ ... بِٱلنَّارِ وَٱلنِّفْطِ فَأَلْقَاهَا شَرَرْ

وَصَاحَ مِنْهَا ٱلشَّيْخُ أُخْرُجُونِي   فَٱفْتَضَحَا وَقُوبِلَا بِٱلْهُونِ

وَفَازَ بِٱلْقَضِيَّةِ ٱلْمُغَفَّلُ   كَذَلِكَ ٱلْكَيْدُ ٱلْخَبِيثُ يَفْعَلُ

وَقَدْ جَنَيْتَ هَذِهِ ٱلْجِنَايَةْ   وَلَسْتَ مِنْهَا تَأْمَنُ ٱلنِّكَايَةْ

وَأَنْتَ يَا دِمْنَةُ ذُو لَوْنَيْنِ   وَذُو لِسَانَيْنِ بِقَوْلِ ٱلْمَيْنِ

وَٱلنَّهْرُ عَذْبُ ٱلْمَاءِ مَا لَمْ يَخْتَلِطْ   بِٱلْبَحْرِ فِي لُجَّتِهِ وَيَنْبَسِطْ

كَذَاكَ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ فِي تَوَدُّدِ   بِٱلْعَيْشِ مَا لَمْ يُطْرَقُوا بِمُفْسِدِ

وَلَمْ أَزَلْ أَكْرَهُ قُرْبَ دَارِكَا   لِخَوْفِ أَنِّي أَصْطَلِي بِنَارِكَا

وَذَاكِرًا وَصِيَّةَ ٱلْمُشِيرِ   بِقَطْعِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلْفُجُورِ

وَقَوْلَهُمْ إِنَّ ٱلصَّدِيقَ ٱلْفَاجِرَا   كَحَيَّةٍ يُرْدِي أَذَاهَا ٱلْآسِرَا

يَمْسَحُهَا تَوَدُّدًا وَتَلْدَغُهْ   وَٱلسُّمُّ مِنْ أَنْيَابِهَا تُفَرِّغُهْ

فَجَانِبِ ٱلْجَاهِلَ وَٱللَّئِيمَا   وَلَازِمِ ٱلْعَاقِلَ وَٱلْكَرِيمَا

إِنْ لَمْ تَكُنْ أَخْلَاقُهُ مَرْضِيَّةْ   فَعَقْلُهُ مَنْفَعَةٌ قَوِيَّةْ

مُنْتَفِعًا بِعَقْلِهِ وَذُو ٱلْكَرَمْ   أَكْرِمْهُ تَغْنَمْ كُلَّ خَيْرٍ يُغْتَنَمْ

وَإِنْ ذَمَمْتَ عَقْلَهُ لِفَضْلِكَا   فَٱنْفَعْهُ غَيْرَ بَاخِلٍ بِعَقْلِكَا

مُنْتَفِعًا مِنْهُ بِفَضْلِ كَرَمِهْ   مُقْتَدِيًا مِنْهُ بِحُسْنِ شِيَمِهْ

وَٱهْرُبْ وَطِرْ مِنَ ٱللَّئِيمِ ٱلْأَحْمَقِ   فَصَاحِبُ ٱلشَّقِيِّ لَا شَكَّ شَقِي

وَكَيْفَ يَا دِمْنَةُ بِالْفِرَارِ لِي مِنْكَ وَقَدْ جِئْتَ بِهٰذَا الْمُعْضِلِ
وَخُنْتَ هٰذَا الْمَلِكَ الْعَظِيمَا حَتَّى غَدَا مُعَنَّفًا مَلِيمَا
أَذَا جَزَاءُ فَضْلِهِ عَلَيْكَا وَالشُّكْرُ عَنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَا
«وَكَيْفَ أَرْجُو بَعْدُ أَنْ تَثْبُتَ فِي وُدِّي وَقَدْ نَقَضْتَ عَهْدَ الْأَكْلَفِ»
«أَوْ كَيْفَ يَرْجُو الصَّحْبُ مِنْكَ وُدًّا وَقَدْ رَأَى الْهُمَامُ مِنْكَ الْإِدَّا»
إِنَّكَ يَا دِمْنَةُ مِثْلُ التَّاجِرْ إِذْ قَالَ قَوْلَ صَادِقٍ لَا فَاجِرْ
«لَيْسَ مِنَ الْبُزَاةِ أَمْرًا مُذْهِلَا أَنْ خَطَفَتْ فِيلًا وَشَالَتْ جَمَلَا»
«فِي حِينِ أَنَّ الْجُرَذَ الرِّعْدِيدَا يَأْكُلُ فِي بِلَادِهَا الْحَدِيدَا»
«فَقَالَ أَوْضِحْ قَالَ إِنَّ تَاجِرًا شَدَّ لِأَرْضِ غُرْبَةٍ مُسَافِرًا»
وَكَانَ قَدْ أَوْدَعَ بَعْضَ النَّاسِ حِمْلَ حَدِيدٍ وَهْوَ جِدُّ قَاسِي
وَعَادَ بَعْدَ مُدَّةٍ فَوَجَدَهْ قَدْ بَاعَهُ بِثَمَنٍ وَجَحَدَهْ
وَقَالَ يَا صَاحِبُ إِنَّ الْجُرَذَا أَكَلَهُ جَمِيعَهُ وَأَخَذَا
فَأَمْسَكَ التَّاجِرُ عَنْ جَوَابِهْ فَظَنَّهُ قَدْ حَارَ عَنْ خِطَابِهْ
ثُمَّ دَعَاهُ لِشَرَابٍ فَحَضَرْ وَابْنًا لَهُ وُجَيْهُهُ مِثْلُ الْقَمَرْ
فَلَفَّهُ التَّاجِرُ فِي ثَوْبٍ مَعَهْ وَفِي مَكَانٍ عَنْهُ يَخْفَى وَضَعَهْ
فَجَاءَ كَالْوَالِهِ هَلْ رَأَيْتَا طِفْلًا لَنَا يَدْخُلُ هٰذَا الْبَيْتَا

قَالَ نَعَمْ قَدْ كَانَ يَمْشِي فَوَقَعْ	عَلَيْهِ بَازِيٌّ عَظِيمٌ وَارْتَفَعْ
فَقَالَ هٰذَا عَجَبٌ نَكِيرُ	هَلْ كَانَ بَازِي بِفَتًى يَطِيرُ
قَالَ لَهُ وَمَنْ رَأَى فَأْرًا أَكَلْ	حِمْلَ حَدِيدٍ فَدَرَى مَا قَدْ فَعَلْ
قَدْ أَشْبَهَ الْبَازِي الْعَجِيبُ الْجُرَذَا	فَخَلِّ عَنْكَ لَوْمَنَا فَذَا بِذَا
قَالَ خُذِ الْحَدِيدَ وَارْدُدْ وَلَدِي	قَالَ كَذَا أَرَدْتُ فَانْقُصْ أَوْ زِدِ
كَذَاكَ يَا دِمْنَةُ أَنْتَ فَاعْلَمِ	كَفَرْتَ إِنْعَامَ الْهُمَامِ الْمُنْعِمِ
«دُونَ أَقَلِّ مُوجِبٍ أَوْ سَبَبِ	وَلَيْسَ بِالْعَجِيبِ أَنْ تَغْدُرَ بِي»
«وَإِنَّ مَنْ صَاحَبَ خِلًّا وَدَرَى	بِأَنَّهُ بِغَيْرِهِ قَدْ غَدَرَا»
«فَلْيَعْلَمَنْ بِأَنَّهُ خَوَّانُ	لَيْسَ لَدَيْهِ لِلْوِلَا مَكَانُ»
فَلَسْتَ بِالصَّادِقِ بِالصَّدَاقَهْ	وَلَا بِمَا عَانَيْتَ ذَا حَذَاقَهْ
مَا أَضْيَعَ النِّعْمَةَ عِنْدَ الْكَافِرْ	وَأَقْبَحَ الْخُلَّةَ عِنْدَ الْهَاجِرْ
كَحِكْمَةٍ تُهْدَى إِلَى الطَّغَامِ	وَالسِّرِّ يُسْتَوْدَعُ لِلنَّمَّامِ
وَلَسْتُ بِالطَّامِعِ فِي وَفَائِكَا	قَطُّ وَلَا الرَّاغِبِ فِي صَفَائِكَا
لَوْ مُتُّ ثُمَّ عُدْتُ بَعْدُ حَيَّا	لَمَّا تَرَكْتَ عَنْكَ قَطُّ الْغَيَّا
كَشَجَرِ الْمُرَارِ لَوْ لَطَّخْتَهُ	بِالشَّهْدِ مَا اسْتَحْلَيْتَهُ إِنْ ذُقْتَهُ
إِلَى الطِّبَاعِ يَرْجِعُ الْمَطْبُوعُ	وَمَا لَهُ عَنْ طَبْعِهِ نُزُوعُ

وَصُحْبَةُ ٱلْأَخْيَارِ مِنْهَا ٱلْخَيْرُ ... وَصُحْبَةُ ٱلْأَشْرَارِ مِنْهَا ٱلضَّيْرُ

كَذَاكَ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ٱلرِّيحُ ... أَنْفَاسُهَا بِنَشْرِهِ تَبُوحُ

إِنَّكَ تَسْتَثْقِلُ قَوْلِي هٰذَا ... كَذَا ٱلْجَهُولُ بِٱلْعَلِيمِ يَاذَا

قَدْ يَسْخَرُ ٱلسَّفِيهُ بِٱلْحَلِيمِ ... وَٱلرَّجُلُ ٱللَّئِيمُ بِٱلْكَرِيمِ

وَوَافَقَ ٱلْفَرَاغُ مِنْ قَتْلِ ٱلثَّوْرْ ... فَرَاغَهُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَى ٱلْفَوْرْ

وَسَكَنَ ٱللَّيْثُ وَزَالَ غَضَبُهْ ... وَثَابَ بَعْدَ ذَا إِلَيْهِ أَدَبُهْ

فَعِنْدَهَا أَطْرَقَ كَٱلْمُفَكِّرِ ... فِي فِعْلِهِ ذَاكَ ٱلشَّنِيعِ ٱلْمُنْكَرِ

وَضَاقَ مِنْهُ ذَرْعُهُ وَصَدْرُهْ ... وَعِيلَ مِنْهُ حِلْمُهُ وَصَبْرُهْ

وَقَالَ كَانَ ٱلثَّوْرُ خَيْرَ فَاضِلْ ... وَإِنَّنِي قَتَلْتُهُ بِبَاطِلْ

فَجَعْتُ نَفْسِي بِصَدِيقٍ صَادِقْ ... مِنْهُ فَمَنْ لِي بِأَخٍ مُوَافِقْ

وَلَاحَتِ ٱلْحَسْرَةُ فِي أَعْطَافِهْ ... فَجَاءَهُ دِمْنَةُ لِٱسْتِعْطَافِهْ

وَقَالَ هٰذَا وَقْتُ لَهْوٍ وَمَرَحْ ... لَا وَقْتُ غَمٍّ وَٱكْتِئَابٍ وَتَرَحْ

قُلْ لِي لِمَ تَبْكِي وَقَدْ ظَفِرْتَا ... وَمَا ٱلَّذِي عَلَيْهِ قَدْ حَزِنْتَا

قَالَ عَلَى عَقْلِ صَدِيقِ ٱلصِّدْقِ ... وَكَرَمِ ٱلْعَهْدِ وَحُسْنِ ٱلْخُلْقِ

فَكَّرْتُ فِي ذَاكَ وَقَدْ رَحِمْتُهْ ... وَإِنَّنِي أَحْسَبُنِي ظَلَمْتُهْ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ شَرُّ قَائِلْ ... لَا يَرْحَمُ ٱلْأَعْدَاءَ غَيْرُ ٱلْجَاهِلْ

وَٱلْحَازِمُ ٱلْعَاقِلُ مَنْ تَكَلَّفَا وُدَّ ٱمْرِئٍ إِذَا رَآهُ مُسْعِفَا
يَحْمِلُهُ تَكَارُهًا إِذَا رَجَا لَدَيْهِ نَفْعًا فِعْلَ أَرْبَابِ ٱلْحِجَى
قَدْ يُشْرَبُ ٱلدَّوَاءُ وَهْوَ مُرٌّ لَا يَحْمِلُ ٱلْأَثْقَالَ إِلَّا ٱلْحُرُّ
وَرُبَّمَا يُطْرَحُ ٱلْحَبِيبُ إِذَا بَدَا مِنْهُ ٱلَّذِي يُرِيبُ
فَرُبَّ عُضْوٍ حَذَرَ ٱلسُّمِّ قُطِعْ وَٱلضِّرْسُ إِنْ آلَمَ وَٱشْتَدَّ قُلِعْ
فَقَالَ لَا شَكَّ وَفَحَصَ ٱلْأَسَدْ فَبَانَ أَنَّ قَوْلَهُ كَانَ حَسَدْ
فَقَتَلَ ٱلْكَاذِبُ شَرَّ قِتْلَهْ وَعَادَ مَا بَيْنَ ٱلسِّبَاعِ مِثْلَهْ
فَهٰكَذَا يَقْطَعُ بَيْنَ ٱلْإِخْوَانْ مَنْ كَادَهُمْ بِإِفْكِهِ وَٱلْبُهْتَانْ

بَاب

ٱلْبَحْثِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَهْ

فَقَالَ فَٱذْكُرْ لِيَ قَتْلَ دِمْنَهْ يَا بَيْدَبَا مِنْ بَعْدِ هٰذِي ٱلْفِتْنَهْ
قَالَ نَعَمْ لَمَّا ٱسْتَبَانَ كَذِبَهْ عِنْدَ ٱلْهُمَامِ كَانَ فِيهِ عَطَبَهْ

رَاحَ مِنَ ٱلْمَجْلِسِ فِي ٱللَّيْلِ ٱلنَّمِرْ   وَكَانَ قَدْ سَاهَرَهُ حَتَّى سَهِرْ
وَهُوَ أَخَصُّ ٱلْقَوْمِ جَمْعًا عِنْدَهُ   قَلَّدَهُ خَرَاجَهُ وَجُنْدَهُ
فَمَرَّ مَا بَيْنَ ٱلْبُيُوتِ قَابِسًا   نَارًا يَرَى بِضَوْءِهَا ٱلْحَنَادِسَا
لَمَّا دَنَا مِنَ ٱلْبُيُوتِ سَمِعَا   كَلِيلَةً لِصَوْتِهِ قَدْ رَفَعَا
يَقُولُ يَا دِمْنَةُ لَسْتَ نَاجِيَا   فَلَا تَكُنْ مِنْهُ ٱلْخَلَاصَ رَاجِيَا
لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مَا فَعَلْتَا   لَهُ وَإِنْ يَظْهَرْ لَهُ هَلَكْتَا
« حِينَئِذٍ يَجْتَمِعُ ٱلْهَوَانُ   عَلَيْكَ وَٱلْقَتْلُ وَلَا غُفْرَانُ »
« لِأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ شَرَّ مَكْرِكَا   وَٱلْقَتْلُ لَا شَكَّ مُزِيلُ شَرِّكَا
« وَلَسْتُ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ أَرْتَضِيكَا   خِلًّا وَلَكِنِّي أَتَّقِيكَا »
«وَلَسْتُ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ أُفْشِي سِرًّا   لَكَ لِأَنِّي مِنْكَ أَخْشَى ٱلضُّرَّا»
« وَإِنَّنِي بِٱلْبُعْدِ عَنْكَ أَهْلُ   إِنَّ جَزَاءَ ٱلْقُرْبِ مِنْكَ ٱلْقَتْلُ»
« فَإِنَّمَا ٱلْقَسْوَرُ غَضْبَانُ لِمَا   جَرَى وَسُوءَ فِعْلِهِ قَدْ عَلِمَا »
فَأَخْبَرَ ٱلنَّمِرُ بِهِ أُمَّ ٱلْأَسَدْ   وَكَانَ فِي ٱلصِّدْقِ لَدَيْهَا مُعْتَمَدْ
« مِنْ بَعْدِ أَنْ حَلَّفَهَا لَا تُظْهِرُ   لِأَحَدٍ مَا جَاءَ عَنْهُ يُخْبِرُ »
فَدَخَلَتْ عَلَى ٱبْنِهَا بِٱلْبُكْرَهْ   فَوَجَدَتْهُ مُطْرِقًا ذَا فِكْرَهْ
قَالَتْ لَهُ فِكْرُكَ فِي مَا فَاتَا   مُصِيبَةٌ تُنَغِّصُ ٱلْحَيَاتَا

لاَ تَجْعَلِ ٱلْحُزْنَ عَلَيْكَ عَوْنَا ... قَطُّ وَصُنْ قَلْبَكَ مِنْهُ صَوْنَا

فَٱلْحُزْنُ دَآءٌ لِلنُّفُوسِ مُهْلِكْ ... وَلِلْجُسُومِ فَٱحْذَرَنْهُ مِنْهِكْ

« قَالَ لَهَا يُحْزِنُنِي تَذَكُّرِي ... إِزْدِائِيَ ٱلثَّوْرَ بِلاَ تَفَكُّرِ »

« وَإِنَّنِي لَذَاكِرٌ مَوَدَّتَهْ ... وَنُصْحَهُ بِٱلْخَيْرِ لِي وَصُحْبَتَهْ »

فَقَالَتِ ٱبْحَثْ عَنْ حَدِيثِ شَتْرَبَهْ ... فَلَيْسَ فِي ذَاكَ عَلَيْكَ مَثْلَبَهْ(١)

قَالَ وَهَلْ مِنْ حِيلَةٍ قَالَتْ نَعَمْ ... إِنَّ ٱلْحَكِيمَ ٱلْعَادِلَ ٱلْحُكْمِ زَعَمْ

أَنَّ ٱلْفَتَى إِذَا أَرَادَ يَكْشِفُ ... أَسْرَارَ مَنْ يُحِبُّهُ وَيَعْرِفُ

أَيُّهُمُ يَصْدُقُ فِي وَدَادِهْ ... فَلْيَرْجِعَنْ فِيهِ إِلَى فُؤَادِهْ

فَإِنَّهُ يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهْ ... وَلَيْسَ يُخْفِيهِ ٱلصَّحِيحَ قَلْبُهْ

فَٱرْجِعْ إِلَى قَلْبِكَ يَشْهَدْ صَادِقَا ... أَصَافِيًا كَانَ ٱلْفَتَى أَمْ مَاذِقَا

إِنْ كُنْتَ عَنْ بُغْضٍ وَحِقْدٍ وَحَسَدْ ... قَتَلْتَهُ فَبُغْضُهُ كَانَ أَشَدْ

وَإِنْ يَكُنْ قَلْبُكَ كَانَ رَاضِيَا ... عَنْهُ فَكُنْ بِمِثْلِ ذَاكَ قَاضِيَا

وَإِنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّ قَلْبَكَا ... يَشْهَدُ أَنْ قَدْ كَانَ يُخْفِي حُبَّكَا

وَأَنَّهُ مَا كَانَ قَطُّ خَائِنَا ... وَلاَ عَدُوًّا يُضْمِرُ ٱلضَّغَائِنَا

---

(١) وكان قبل هذا البيت :

قال رجوت راحة من الحزن ... فالحزن لما ترجو وإلا لا إذن

نَفْسُكَ فَاعْلَمْ أَصْدَقُ الشُّهُوْدِ ‏ في خَبَرِ العَدُوِّ وَالوَدُوْدِ

قَالَ لَهَا لَقَدْ رَأَيْتُ قَلْبِي ‏ يَشْهَدُ لِي عَنْ قَلْبِهِ بِالحُبِّ

لٰكِنَّمَا دِمْنَةٌ بِالزُّوْرِ سَعَى ‏ مَا بَيْنَنَا وَكَادَ حَتَّى قَطَعَا

وَلَوْ سَمِعْتُ خَبَرًا يُصَدِّقُ ‏ ظَنِّي لِمَا كُنْتُ عَلَيْهِ أُشْفِقُ

لٰكِنَّنِي أَخَافُ أَنْ أَكُوْنَا ‏ فِي الحَالَتَيْنِ خَاسِرًا مَغْبُوْنَا

أَقْتُلُ ذَاكَ أَمْسِ بِالنَّمِيمَهْ ‏ وَاليَوْمَ ذَا بِالظَّنِّ وَالسَّخِيمَهْ

وَلَسْتُ فِي الكُلِّ عَلَى يَقِيْنِ ‏ مَنْ لِي بِعُذْرٍ وَاضِحٍ يَقِيْنِي

قَالَتْ لَهُ لَقَدْ سَمِعْتُ خَبَرَا ‏ صَدَّقْتُهُ أَنَّ الخَبِيْثَ مَكَرَا

لَمَّا رَآكَ قَدْ خَصَصْتَ شَتْرَبَهْ ‏ بِالوُدِّ وَالبِرِّ وَحُسْنِ المَرْتَبَهْ

أَفْسَدَ مَا بَيْنَكُمَا حَتَّى فَسَدْ ‏ كَذَاكَ كُلُّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدْ

قَالَ وَمَنْ أَنْبَاكِ هٰذَا قَالَتِ ‏ مَنْ هُوَ أَهْلُ البِرِّ وَالأَمَانَةِ

لٰكِنَّهُ قَالَ دَعِي تَسْمِيَتِي ‏ وَاقْتَنِعِي بِسِمَتِي وَصِفَتِي

وَإِنَّ مَنْ أَفْشَى لِخِلٍّ سِرًّا ‏ لِخَائِنٌ يَلْقَى بِذَاكَ صُغْرَا

قَالَ لَهَا لَيْسَ مِنَ المَحْمُوْدِ ‏ كِتْمَانُ ذِي الأَخْبَارِ وَالشُّهُوْدِ

فِي ذِكْرِهِ أَجْرٌ لَهُ وَشُكْرُ ‏ إِنْ كَانَ بِالحَالِ لَدَيْهِ خُبْرُ

أَحْيِي بِهِ حَقَّ امْرِئٍ مَظْلُوْمِ ‏ وَفَضْحَ البَاغِي مِنَ الخُصُوْمِ

كِتمانُكَ الأسرارَ نِعمَ الشيمهْ ... وعادةٌ حميدةٌ كريمهْ
لكنها جميعها لا تُستَرُ ... بل بعضها يخفى وبعضٌ يذكرُ
لا سيما إن كان فيه فائدهْ ... فطيَّهُ من الخلالِ الباردهْ
لكلِّ شيءٍ فاعرفنه قدرُ ... كتمانُ سرِّ الغادرينَ غدرُ
من كتمَ السلطانَ ذنبَ فاجرْ ... فقد أتى لأعظمِ الجرائرْ
وذاكَ في دينِ الوفا خيانهْ ... جزاؤها التنكيلُ والإهانهْ
وإنَّ من قال لكِ المقالا ... ألقى به عن نفسهِ الأثقالا
أمانةٌ أخرجها من عنقهْ ... محترزاً بكيسهِ لا حمقهْ
قالتْ له عرفتُ كلَّ ذلكا ... ولستَ عندي للصوابِ تاركا
أردتُ أن أعرفَ قدرَ أدبكْ ... في رأيِ من خانَ لكي يلعبَ بكْ
قال لها ما أنتِ بالظنينهْ ... عندي بل الصادقةُ الأمينهْ
وليس في نفسيَ منهُ ريبُ ... ولا عليكِ إن ذكرتِ عيبُ
قالتْ إذا أفشيتُ سرَّ صاحبْ ... أوحشتُهُ وعادَ كالمحاربْ
ولم يعدْ قطُّ لبيبٌ يعقلُ ... إليَّ في أمورهِ يسترسلُ
وإنَّ تفريطيَ في الأمانهْ ... يقبحُ في العقلِ وفي الديانهْ
قال لها صدقتِ حدثيني ... بما جرى بالخبرِ اليقينِ

وَانْ كَتَمْتِ مَنْ بِهِ أَتَاكِ ... فَجَائِزٌ ذَاكَ إِذَا أَرْضَاكِ

فَخَبَّرَتْهُ بِجَمِيعِ مَا جَرَى ... مِنْهُ وَقَالَتْ هٰكَذَا فَمَا تَرَى

نَعَمْ وَمَا أَجْهَدُ فَضْلَ ٱلْحِلْمِ ... وَٱلْعَفْوِ عَنْ كُلِّ عَظِيمِ ٱلْجُرْمِ

إِلَّا إِذَا مَا أَرْهَقَ ٱلنُّفُوسَا ... وَخَرَقَ ٱلْحِشْمَةَ وَٱلنَّامُوسَا

وَٱجْتَرَأَتْ بِفِعْلِهِ ٱلرَّعِيَّهْ ... فَعَظُمَتْ مِنْ ذَلِكَ ٱلْبَلِيَّهْ

لَا يَنْبَغِي ٱسْتِبْقَاءُ ذِي خِيَانَهْ ... وَلَا كَذُوبٍ نَاقِصِ ٱلْأَمَانَهْ

إِنَّ ٱلْفَسَادَ مِنْ ظُهُورِ ٱلسِّرِّ ... وَٱلْهُلْكُ فِي ٱسْتِئْمَانِ أَهْلِ ٱلْغَدْرِ

دِمْنَةُ عِنْدِي خَائِنٌ فِي فِعْلِهْ ... فَٱقْتُلْهُ لَسْتَ آثِمًا فِي قَتْلِهْ

وَإِنَّمَا غَشَّكَ فِي مَا ذَكَرَا ... حَتَّى قَتَلْتَ ٱلثَّوْرَ خَيْرَ ٱلْوُزَرَا

وَقَدْ عَرَفْتَ ٱلْآنَ كُنْهَ أَمْرِهْ ... فَجَازِهِ بِخَتْلِهِ وَمَكْرِهْ

لِتَسْتَرِيحَ أَنْتَ وَٱلْجُنُودُ ... مِنْهُ وَيَنْتَهِي ٱلنَّاسُ أَنْ يَكِيدُوا

وَإِنْ نَظَرْتَ فِي ثَوَابِ ٱلْحُكْمِ ... فَلَيْسَ مِثْلَ دِمْنَةٍ ذُو جُرْمِ

لِأَنَّهُ بَالَغَ فِي ٱلْوَقِيعَهْ ... حَتَّى قَتَلْتَ ٱلثَّوْرَ بِٱلْخَدِيعَهْ

وَرُبَّمَا عَادَ لِمِثْلِ ذَلِكْ ... فَأَفْسَدَ ٱلْجُنُودَ وَٱلْمَمَالِكْ

«وَعِنْدَمَا ٱنْتَهَتْ تَأَكَّدَ ٱلْأَسَدْ ... فِعَالَ دِمْنَةَ ٱلْخَبِيثِ فَٱرْتَعَدْ»

وَجَمَعَ ٱلْقُوَّادَ وَٱلْمَرَازِبَهْ ... وَمَرْتَعُ ٱلْبَغْيِ وَخِيمُ ٱلْعَاقِبَهْ

وَجِيءَ بِٱلْخَبِّ ٱلْخَبِيثِ دِمْنَهْ ... وَٱلْحَقُّ بَادٍ لَيْسَ فِيهِ ظِنَّهْ

فَأَطْرَقَ ٱلضِّرْغَامُ إِذْ رَآهُ ... مُفَكِّرًا وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ

فَقَالَ لِلْقَوْمِ وَقَدْ تَجَاهَلَا ... أَظُنُّ لِلْهُمَامِ شُغْلًا شَاغِلَا

مَا لِي أَرَاهُ مُطْرِقًا مُفَكِّرَا ... «فَمَا ٱلَّذِي مِنْ حَادِثِ ٱلدَّهْرِ طَرَا»[1]

قَالَتْ لَهُ مُغْضَبَةً أُمُّ ٱلْأَسَدْ ... وَهِيَ لِمَا يَجْرِي هُنَاكَ بِٱلرَّصَدْ

إِطْرَاقُهُ نَدَامَةٌ إِذْ تَرَكَكْ ... وَلَمْ يَكُنْ مِنْ فَوْرِهِ قَدْ أَهْلَكَكْ

وَٱلْآنَ مِنْكَ يَا خَبِيثُ يَنْتَقِمْ ... بِسُوءِ مَا قَدَّمْتَهُ وَيَصْطَلِمْ

قَالَ وَمَا ذَنْبِي فَقَالَتِ ٱقْطَعْ ... فَأَيُّ ذَنْبٍ فَاحِشٍ لَمْ تَصْنَعْ

إِنَّكَ لَوْ فَكَّرْتَ فِي خِيَانَتِكْ ... وَعُظْمِ مَا بَلَغْتَ فِي سِعَايَتِكْ

عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْقَتْلَ لَيْسَ يَشْفِي ... مِنْكَ وَلَا يُقْنِعُهُ وَيَكْفِي

أَوَّلُ مَا فِي ذَلِكَ ٱسْتِجْهَالُكَا ... بِجَهْلِكَ ٱلْجَمَّ ٱلْهُمَامَ ٱلْمَالِكَا

وَتَرْكُكَ ٱلْبَرِيءَ مِنْ أَصْحَابِهْ ... مُمَزَّقًا بِظُفْرِهِ وَنَابِهْ

قَالَ لَهَا دِمْنَةُ قَدْ أَتَانِي ... تَصْدِيقُ مَا سَمِعْتُ فِي زَمَانِي

كَانَ يُقَالُ مَنْ تَنَاهَى وَٱجْتَهَدْ ... فِي طَلَبِ ٱلْخَيْرِ رَأَى شَرًّا نَكَدْ

وَلَيْسَ هَذَا مِثْلَ ٱلْهُمَامِ ... وَجُنْدِهِ ٱلْأَفَاضِلِ ٱلْكِرَامِ

---

(١) كان الاصل : تجاهلا بأمره وقد درى

بَلْ مَثَلٌ لِصُحْبَةِ ٱلأَشْرَارِ — فَإِنَّهَا تُؤْذِنُ بِٱلدَّمَارِ
مَنْ صَاحَبَ ٱلشِّرِّيرَ لاقَى شَرَّا — وَسَاءَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا سَرَّا
لِذَاكَ لَمْ يَصْحَبْهُمُ ٱلزُّهَّادُ — وَٱلْعُلَمَاءُ ٱلسَّادَةُ ٱلْعُبَّادُ
وَٱنْفَرَدُوا عَنْهُمْ وَفِي ٱلتَّفَرُّدْ — رَوْحٌ مِنَ ٱلْهُمُومِ وَٱلتَّلَدُّدْ
وَٱللهِ مَا ٱلْعَاقِلُ إِلاَّ ٱلزَّاهِدُ — فِي ٱلْكَوْنِ لاَ ٱلْعَالِمُ وَٱلْمُجَاهِدُ
لِأَنَّهُمْ لاَ يَعْدِلُونَ حُكْمَا — وَلاَ يَرَوْنَ ٱلْحُكْمَ إِلاَّ ظُلْمَا
فَيَجْعَلُونَ ٱلْبَرَّ مِثْلَ ٱلْفَاجِرْ — وَحَسْبُهُمْ ذَاكَ مِنَ ٱلْمَفَاخِرْ
وَلَيْسَ يَجْزِي مُحْسِنًا بِٱلْحُسْنَى — إِلاَّ ٱلْقَدِيمُ رَأْفَةً وَمَنَّا
وَٱلنَّاسُ يُعْطُونَ بِلاَ ٱسْتِحْقَاقِ — أُمُورُهُمْ تَجْرِي بِٱلاتِّفَاقِ
لَكِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلصَّوَابِ — ٱلْمَلِكُ ٱلْمَالِكُ لِلرِّقَابِ
لِأَنَّهُ يَفْعَلُ لاَ لِحَاجَهْ — وَلاَ يَخَافُ ٱللَّوْمَ وَٱللَّجَاجَهْ
وَإِنَّنِي خَدَمْتُهُ بِخِدْمَهْ — رَجَوْتُ مِنْهَا زُلْفَةً وَنِعْمَهْ
نَصَحْتُهُ وَكُلُّ مَنْ لاَ يَنْصَحُ — مَالِكَهُ فَٱلْكَلْبُ مِنْهُ أَصْلَحُ
خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ عِنَادِ ٱلْمَارِقِ — شَتْرَبَةَ ٱلْمُخَالِفِ ٱلْمُنَافِقِ
وَلَوْ كَتَمْتُ ذَاكَ عَنْهُ خُنْتُهُ — فَصُنْتُ نَفْسِي جَاهِدًا وَصُنْتُهُ
وَقَدْ رَأَى فِيهِ دَلِيلَ صِدْقِي — وَمَا أَتَى مَا جَاءَهُ بِخُرْقِ

فَالنَّارُ وَالْمَاءُ مَعَاشِرُ الْحَجَرْ ... وَيَكْمُنَانِ الدَّهْرَ فِي خُضْرِ الشَّجَرْ

وَإِنَّمَا يُبْدِيهِمَا الْإِنْسَانُ ... بِلُطْفِهِ وَلِلْهُدَى بُرْهَانُ

تُوَرِّثُ مِنْـهُ خَبَاءَهُ فَظَهَرَا ... مَا كَانَ مِنْهُ كَامِنًا مُسْتَتِرَا

فَلَيْسَ إِنْ أَنْصَفَ أَجْرُ فِعْلِي ... وَخِدْمَتِي قَتْلِي بِغَيْرِ عَدْلِ

فَإِنْ يَكُنْ قَدْ وَافَقَ الْمِقْدَارَا ... فَمَا أُطِيقُ مِنْهُمَا انْتِصَارَا

إِنْ يُرْدِنِي مُتَّبِعًا هَوَاهُ ... فَلَيْسَ لِلْمَظْلُومِ إِلَّا اللهُ

فَإِنَّهُ يُنَفِّسُ الْكُرُوبَا ... وَيَنْصُرُ الْمُضْطَهَدَ الْمَحْرُوبَا

إِنْ لَمْ يَرُقِ الْمَلِكُ الْمَخْدُومُ ... فِي قِصَّتِي فَإِنَّهُ مَلِيمُ

«وَصَارَ يَحْكِي الْخَازِنَ الْمَغْرُورَا ... إِنَّ لَهُ لَخَبَرًا مَشْهُورَا»

فَقِيلَ مَا قِصَّتُهُ فَقَالَا ... وَلَمْ يَزَلْ يَخْتَرِعُ الْأَمْثَالَا

«كَانَ بِخَانٍ خَازِنٌ غَدَّارُ ... يُرِيدُ نَهْبَ مَا اقْتَنَى التُّجَّارُ»

«وَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ أَنْ يُفَارِقَا ... الْخَانَ إِنْ فَارَقَ عُدَّ سَارِقَا»

«وَكَانَ فِي السُّوقِ بِقُرْبِ الْخَانِ ... بَيْتٌ كَبِيرٌ شَاهِقُ الْمَبَانِي

«لِخَازِنِ الْخَانِ بِهِ صَدِيقُ» ... مُصَوِّرٌ صَنْعَتُهُ التَّزْوِيقُ

«فَاتَّفَقَا عَلَى اخْتِلَاسِ الْمَالِ ... وَسَائِرِ الْأَحْمَالِ وَالْأَثْقَالِ»

«يَمُرُّ فِي وَقْتِ الدُّجَى الْمُصَوِّرُ ... بِقُرْبِ ذَاكَ الْخَانِ ثُمَّ يَصْفِرُ»

«فِي ٱلْحَالِ يُلْقِي ٱلْخَازِنُ ٱلْبَضَائِعَا ... مِنْ كُوَّةٍ يَنْظُرُ مِنْهَا ٱلشَّارِعَا»
«ثُمَّتَ خَافَا أَنْ يَرَاهُمَا أَحَدْ ... يَكْشِفُ مَا هُمَا عَلَيْهِ فِي ٱلْبَلَدْ»
«فَقَالَ لِلْمُصَوِّرِ ٱجْعَلْ حِيلَهْ ... تُنْفَى بِهَا ٱلْعَاقِبَةُ ٱلْوَبِيلَهْ»
فَقَالَ لِي بِمُلَاءَةٍ مُصَوَّرَهْ ... مَلِيحَةٍ نُقُوشُهَا كَٱلْحِبَرَهْ.
إِذَا أَنَـا لَبِسْتُهَا فَبَادِرِ ... «لِلطَّرْحِ لَا تَخْشَ رِقَابَ نَاظِرِ»
«دَرَى بِذَاكَ خَادِمُ ٱلْمُصَوِّرِ ... فَرَامَ أَنْ يَرْبَحَ مِنْ ذَا ٱلْمَتْجَرِ»
«فَلَبِسَ ٱلْحُلَّةَ ثُمَّ جَاءَ ... فَفَازَ بِٱلْمَتَاعِ ثُمَّ فَاءَ»
ثُمَّ أَتَى سَيِّدُهُ فِي ٱلْحَالِ ... فَقَالَ لِمْ عُدْتَ عَلَى ٱسْتِعْجَالِ
أَلَمْ تَكُنْ وَيْحَكَ عِنْدِي ٱلسَّاعَهْ ... «وَقَدْ أَخَذْتَ سَائِرَ ٱلْبِضَاعَهْ»
فَهَالَهُ مَقَالُهُ وَرَاعَهْ ... «وَهَمَّهُ فَأَظْهَرَ ٱرْتِيَاعَهْ»
وَعَادَ مِنْ سَاعَتِهِ وَقَدْ فَطِنْ ... فَأَحْرَقَ ٱلْحُلَّةَ غَيْظًا وَحَزِنْ
وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ مِنْ ذَا ٱلْمَثَلِ ... يُحَذِّرُ ٱللَّبِيبَ عُقْبَى ٱلْعَجَلِ
وَٱلْمَلِكُ ٱلنَّدْبُ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ ... مَنْ لَيْسَ عَنْ مَصْلَحَةٍ بِسَاهِي
مُوَفَّقٌ فِي عَقْدِهِ وَٱلْحَلِّ ... فَاقَ ٱلْوَرَى بِعِلْمِهِ وَٱلْفَضْلِ
سَعَى بِيَ ٱلْأَشْرَارُ لَا ٱلْخِيَارُ ... فَلْيَتَأَمَّلْ وَلَهُ ٱلْخِيَارُ
وَقَدْ رَأَى بُرْهَانَ صِدْقِي ظَاهِرَا ... لَمَّا غَدَا ٱلثَّوْرُ عَلَيْهِ ثَائِرَا

فَهُوَ بِشُكْرِ رَبِّهِ خَلِيقُ ... إِذْ لَمْ يَكُنْ لِخَصْمِهِ ٱلتَّوْفِيقُ

وَرَدَّ لُطْفُ ٱللهِ عَنْهُ كَيْدَهُ ... مِنْ بَعْدِ مَا أَجْمَعَ فِيهِ أَيْدَهْ

وَإِنَّمَا ٱلْأَوْلَى بِهِ مِنَ ٱلْحَزَنْ ... عَلَيْهِ لَهْوٌ وَسُرُورٌ وَدَدَنْ

لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَبْطَنَ ٱلْعَدَاوَهْ ... مَا جَاءَ مُعْتَدًّا لَهُ قَسَاوَهْ

مُسْتَلْئِمًا مُسْتَظْهِرًا كَأَنَّهُ ... أَيْقَنَ مَا أَرَدْتَهُ وَظَنَّهُ

مِثْلُكَ لَا يَقْتُلُ ذَا ٱلْبَرَآءَهْ ... مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا إِسَآءَهْ

بِقَوْلِ وَاشٍ رُبَّمَا قَالَ ٱلْكَذِبْ ... وَلِلْوُشَاةِ نَارُ كَيْدٍ تَلْتَهِبْ

وَمَا كَرِهْتُ ٱلْمَوْتَ إِنْ كَانَ قَضَى ... بِهِ عَلَيَّ وَلَهُ فِيهِ رِضَى

فَقَدْ رَوَى ٱلْأَحْبَارُ وَٱلرُّوَاةُ ... وَٱلثَّبْتُ مَا تَنْقُلُهُ ٱلثِّقَاتُ

أَنَّ مَنِ ٱسْتَسْلَمَ حَتَّى يُقْتَلَا ... لِزَلَّةٍ كَانَ لَهَا مَا فَعَلَا

لَمْ يَصْلَ حَرَّ ٱلنَّارِ فِي ٱلْقِيَامَهْ ... وَلَمْ يَخَفْ إِثْمًا وَلَا مَلَامَهْ

وَإِنْ أَكُنْ مُحْتَقَرًا فَإِنَّ لِي ... سَهْمًا مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْعَمِيمِ ٱلْأَجْزَلِ

فَإِنْ رَأَى مَوْلَايَ أَنْ لَا يَعْجَلَا ... عَلَيَّ قَبْلَ فَحْصِهِ تَمَهَّلَا

فَمَا يَزَالُ ٱلْمَرْءُ يَسْتَفِيدُ ... فِي أَمْرِهِ ٱلْخَيْرَ وَيَسْتَزِيدُ

بِرَأْيِهِ وَحِلْمِهِ وَصَبْرِهِ ... مَا لَمْ يَصِرْ فِي حَدِّ أَقْصَى عُمْرِهِ

قَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلْحُضُورِ إِنَّمَا ... تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ أَنْ تُصْطَلَمَا

قَالَ كَذَاكَ ٱلأَلْمَعِيُّ ٱلْعَاقِلُ عَنْ نَفْسِهِ مُجَادِلٌ مُنَاضِلُ

مَاذَا ٱلَّذِي أَحْفَظُ إِنْ أَضَعْتُهَا وَمَنْ تُرَى أَرْفَعُ إِنْ وَضَعْتُهَا

هَلْ لِيَ نَفْسٌ غَيْرُهَا فَأَدْفَعُ عَنْهَا ٱلأَذَى مُجْتَهِدًا وَأَمْنَعُ

وَلَنْ يَصُونَ رَهْطَهُ وَعِرْسَهُ مِنْ طَالِبٍ مَنْ لَا يَصُونُ نَفْسَهُ

أَلنَّاسُ فِي ذَا كُلُّهُمْ سَوَآءُ حُبُّ ٱلْبَقَآءِ لِلأَنَامِ دَآءُ

إِذَا أَهَنْتُ مُهْجَتِي لَمْ أُكْرَمِ خِلًّا مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَمْ أُعَظَّمِ

«وَقَدْ بَدَا ٱلَّذِي ٱلْوَرَى مِنْ قَوْلِكَا مَا لَمْ تُطِقْ كِتْمَانَهُ فِي صَدْرِكَا»

«مِنْ حَسَدٍ وَبِغْضَةٍ ذَمِيمَهْ تُنْشِئُهَا فِي نَفْسِكَ ٱللَّئِيمَهْ»

«وَقَدْ دَرَى كُلُّ ٱلْحُضُورِ أَنَّكَا لَسْتَ تُحِبُّ قَطُّ خَيْرَ نَفْسِكَا»

«فَأَنْتَ أَوْلَى أَنْ تُحِبَّ ٱلضَّيْرَا لِلنَّاسِ إِذْ لَسْتَ تُرِيدُ ٱلْخَيْرَا»

مِثْلُكَ مَنْ نُزِّهَ عَنْهُ ٱلْمَجْلِسُ فَأَنْتَ لَا شَكَّ لَهُ مُدَنِّسُ

فَبُهِتَ ٱلْقَائِلُ مِمَّا أَسْمَعَهْ حَقًّا لَقَدْ أَفْحَمَهُ وَقَطَعَهْ

قَالَتْ لَهُ ٱلسَّيِّدَةُ ٱللَّبِيبَهْ تَرْكُ ٱلْحَيَآءِ وَٱلنُّهَى عَجِيبَهْ

فَقَالَ لِمْ بِمُقْلَةٍ أَبْصَرْتِ وَأُذُنٍ وَاحِدَةٍ سَمِعْتِ

إِنِّي أَرَى نَحْسِي وَشُؤْمَ جَدِّي قَدْ سَلَبَ ٱلْعَالَمَ ثَوْبَ ٱلرُّشْدِ

فَعَدَلُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى ٱلْهَوَى وَٱنْطَبَعَ ٱلإِفْسَادُ مِنْهُمْ فِي ٱلْقُوَى

«كَرَامَةُ ٱلْمَلْكِ وَفَرْطُ بِرِّهِ　　لَقَدْ غَدَا مَعْ حِلْمِهِ وَصَبْرِهِ»

«كَبَاغِثٍ لِمَنْ بِبَابِ قَصْرِهِ　　لِأَنْ يَحُطُّوا مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ»

«فَأَصْبَحَ ٱلْوَاحِدُ لَا يَدْرِي مَتَى　　يَجِبُ أَنْ يَنْطِقَ أَوْ أَنْ يَسْكُتَا»

قَالَتْ وَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا ٱلْوَالِدَهْ　　مَقَالُهُ وَهِيَ لَهُ مُعَانِدَهْ

كَيْفَ يَكُونُ فِي ٱلْوَرَى مُؤَدِّبَا　　لِغَيْرِهِ مَنْ قَدْ أَضَاعَ ٱلْأَدَبَا

«أَوْ كَيْفَ يَغْدُو يَا خَبِيثُ نَاصِحَا　　سِوَاهُ مَنْ لَا يَقْبَلُ ٱلنَّصَائِحَا»

قَالَ لَهَا دِمْنَةُ إِنَّ مَنْ عَمِلْ　　مَا لَيْسَ مَخْصُوصًا بِهِ فَقَدْ جَهِلْ

«شَبِيهُ مَنْ يَضَعُ ٱلرَّمَادَا　　فِي مَوْضِعٍ يَسْتَوْجِبُ ٱلسَّمَادَا»

وَرَجُلٍ مِثْلَ ٱلنِّسَاءِ قَدْ فَعَلْ　　وَٱمْرَأَةٍ لَابِسَةٍ زِيَّ ٱلرَّجُلْ

وَٱلضَّيْفِ يَسْتَمْلِكُ رَبَّ ٱلدَّارِ　　وَمُخْبِرٍ مَنْ لَيْسَ ذَا ٱسْتِخْبَارِ

«وَإِنَّمَا ٱلْخَبِيثُ مَنْ لَا يَعْرِفُ　　حَالَ ٱلْوَرَى وَأَمْرَهُمْ فَيَهْرِفُ»

«كَذَاكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدْ　　عَنْ نَفْسِهِ وَقْعَ مُصَابٍ وَيَصُدْ»

«قَالَتْ لَهُ فَهَلْ تَظُنُّ قَوْلَكَا　　هَذَا يَغُرُّ أَوْ يَغُشُّ ٱلْمَلِكَا»(١)

---

(١) كان في الأصل :

قالت له أما تخاف جرمكا　　وهو عظيم ان يريق دمكا

فتقطع القول ولا تحاور　　لعظم ما تخشى من الفواقر

تطمعُ أَنْ تحلّ عقدَ غضبهْ بالكذبِ أوْ تطفئَ حرَّ لهبهْ
قالَ لها بئسَ جزاءُ النصحِ جزيتموني إذْ أردتمْ جرحي
ألملكُ الأعظمُ يدري أنّي نصحتهُ وهوَ عظيمُ المنِّ
ولوْ كذبتُ ما نبستُ عندهْ ولا أمنتُ حدّهُ وجدّهْ
«قدْ قيلَ ليسَ منْ بريءٍ أشجعُ فما تخيفهُ البرايا أجمعُ»
وهوَ إنِ استخبرَ بانَ صدقي فإنّهُ يعرفُ وجهَ الحقِّ
فشكتِ الوالدةُ الكبيرهْ في الأمرِ بعدَ العلمِ والبصيرهْ
قالتْ عساهُ صادقٌ في ما حكى وأنّ منْ أبلغني قدْ أفكا
لوْ لمْ يكنْ منهُ بريئاً ما نطقْ إنّ المريبَ حصرٌ منَ الفرقْ
لا سيّما في مجلسِ السلطانِ إنّ البريءَ ثابتُ الجنانِ
فأمسكتْ بعدُ عنِ المحاورهْ لمّا رأتهُ حسنَ المناظرهْ
وحبسَ الشقيُّ حتّى يظهرا ما كانَ منْ أحوالهِ مستترا
فبلغتْ أخبارهُ كليلهْ وهوَ بصيرٌ بوجوهِ الحيلهْ
فجاءَ يسعى نحوهُ مبادرا وكفكفَ الدمعَ الغزيرَ الهامرا
« لمّا رآهُ بالقيودِ موثقا قدْ حلّ في السجنِ محلّاً ضيقا»
وقالَ هذا كنتُ أخشى ولقدْ قلتُ فلمْ تسمعْ لخلٍّ معتمدْ

وَكُنْتَ خبّاً معْجبَاً برَايكَا ... وَوَاثِقَا بِاللُّطفِ مِنْ دَهَائِكَا
حتَّى رُمِيتَ بِالنَّادِ الصيْلَمِ ... مَنْ يَثْنِ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكْلَمِ
رُبَّ لَطِيفٍ قَدْ سَعَى وَاحْتَالَا ... عَادَ عَلَيْهِ كَيْدُهُ وَبَالَا
بُعْدًا وَسُحْقًا لِلذَّكَاءِ وَالأَدَبْ ... إِذَا دَعَا صَاحِبَهُ إِلَى العَطَبْ
لَا خَيْرَ فِي فَضْلٍ يجرُّ نَقْصَا ... أَرَدْتَ قُرْبًا فَغَدَوْتَ تُقْصَى
لَهْفِي عَلَى ذَاكَ الذَّكَاءِ وَالحِكَمْ ... كَمْ أَبْرَمَا نَقْضًا وَكَمْ سَدَّا ثُلَمْ
لَا تَجْزَعَنْ فَكُلُّ شَيْءٍ يَهْلَكُ ... أَلْمَرْءُ يَبْكِي وَالقَضَاءُ يَضْحَكُ
هٰذَا وَرُبَّ حِكْمَةٍ لَا تَنْفَعُ ... إِنَّ الشَّقَاءَ بِالشَّقِيِّ مُولَعُ
مَا كُنْتَ إِلَّا دَاءَ نَفْسِ الحَاسِدِ ... وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَوَاحِدِ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ نِعْمَ الصَّاحِبُ ... أَنْتَ وَنِعْمَ الخِلُّ وَالمُقَارِبُ
لَقَدْ نَصَحْتَ جَاهِدًا لَا تَأْتَلِي ... وَقُلْتَ لِي نَصِيحَةً لَا تَفْعَلِ
وَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ وَالمَقَادِرُ ... تَعْمَى بِهَا الأَبْصَارُ وَالبَصَائِرُ
مَنِ اسْتَغَشَّ النَّاصِحَ الشَّفِيقَا ... كَانَ بِمَا يَكْرَهُهُ حَقِيقَا
مَنْ خَالَفَ الرَّأْيَ غَوَى وَمَنْ عَجِلْ ... زَلَّ وَإِنْ كَانَ لَبِيبًا وَخَجِلْ
مَنْ لَمْ يَخَفْ عَوَاقِبَ الأُمُورِ ... آلَ بِهِ الأَمْنُ إِلَى المَحْذُورِ
مَنْ لَمْ يُطِعْ نَصِيحَةَ اللَّبِيبِ ... «بُلِي بِكُلِّ مُشْكِلٍ صَعُوبِ»

كَمُذْنِبٍ لَمْ يُصْغِ لِلطَّبِيبِ	« فَسَاقَهُ الدَّاءُ إِلَى شَعُوبِ »
وَلَيْسَ بِي إِلاَّ الْحَيَاءُ وَالْخَجَلْ	فَإِنَّهُ لاَ مَوْتَ إِلاَّ بِأَجَلْ
ثُمَّ أَخَافُ بَطْشَهُمْ عَلَيْكَا	وَأَنْ تَدِبَّ شِقْوَتِي إِلَيْكَا
وَكَيْفَ لاَ أَخْشَى وَعَدْوَى الشَّرِّ	يَخَافُهَا النَّاسُ كَعَدْوَى الْعَرِّ
أَخَافُ أَنْ تَصْدُقَ إِنْ عُذِّبْتَا	قَالَ لَهُ وَٱللهِ مَا كَذَبْتَا
قَدْ قَالَ قَوْمٌ قَبْلَنَا مَنْ عُذِّبَا	لِخَبَرٍ أَظْهَرَهُ وَكَذَبَا
زِيَادَةً عَلَيْهِ خَوْفَ الضُّرِّ	« فَذَاكَ دَفْعُ شِرَّةٍ بِشَرِّ » (١)
وَهَا أَنَا مُنْصَرِفٌ فَإِنَّنِي	أَخَافُ بَعْضَ الْقَوْمِ أَنْ يَسْمَعَنِي
وَالرَّأْيُ أَنْ تُقِرَّ بِالظُّلاَمَهْ	فَالْقَتْلُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ الْقِيَامَهْ
وَأَنْتَ يَا دِمْنَةُ شَيْخٌ فَانِي	قَالَ لَهُ وَلَجَّ فِي الْعِصْيَانِ
مَادُمْتُ أَسْطِيعُ مِطَالَ الأَجَلِ	وَدَفْعَهُ عَنِّي بِلُطْفِ حِيَلِي
فَلَسْتُ بِالْمُعْتَرِفِ الْمُقِرِّ	لأَدْفَعَنَّ شَرَّهُمْ بِمَكْرِي
فَعَادَ عَنْهُ خَائِفاً مِنَ الْمَلِكْ	حَيْرَانَ مِنْ بَعْدِ الذَّكَاءِ مُرْتَبِكْ
« وَكَانَ فِي السِّجْنِ قَرِيباً مِنْهُمَا	فَهْدٌ سَجِينٌ سَامِعٌ سِرَّهُمَا »
« فَحَفِظَ الْحَدِيثَ كَيْ يَقُولاَ	قَوْلاً أَكِيداً إِنْ غَدَا مَسْؤُولاَ »

(١) وفي الاصل : امر دفعت شرة بشر

وَبَاكَرَتْهُ تَقْتَضِيهِ ٱلْوَعْدَا قَالَتْ صُنِ ٱلْمُلْكَ وَأَرْضِ ٱلْجُنْدَا
وَخُذْ مِنَ ٱلْخَائِنِ ثَارَ شَتْرَبَهْ "تَرْضِ ٱلْإِلٰهَ فَيَزِيلُ غَضَبَهْ" [1]
فَقَالَ لِلْجَوَّاسِ وَٱلنَّمِرِ أَذْهَبَا وَٱسْتَخْبِرَا عَمَّا جَنَاهُ وَٱكْتُبَا
لِكُلِّ مَا يَجْرِي فَإِنِّي نَاظِرُ فِيهِ كَمَا قَدْ تَكْتُبُ ٱلْمَحَاضِرُ
فَوَقَفَا دِمْنَةَ بَيْنَ ٱلْعَسْكَرِ فِي مَوْقِفِ ٱلْمُقَرِّرِ ٱلْمُسْتَخْبِرِ
حَتَّى إِذَا مَا حَضَرُوا قَالَ ٱلنَّمِرْ نَارُ أَبِي ٱلْحَارِثِ أَضْحَتْ تَسْتَعِرْ
وَقَلْبُهُ قَدْ كَادَ غَيْظًا يَنْفَطِرْ وَعَيْشُهُ عَادَ بِغَمٍّ مُسْتَمِرْ
يَقُولُ مَا أَشُكُّ أَنَّ دِمْنَهْ أَضْرَمَ فِي قَلْبِيَ نَارَ ٱلْإِحْنَهْ
كِذْبًا فَهَلْ عَلِمْتُمُ مِنْهُ خَبَرْ أَبْدُوا وَلَا تُخْفُوا فَمَا يَخْفَى ٱلْقَمَرْ
وَشَيَّدَ ٱلْجَوَّاسُ قَوْلَ ٱلنَّمِرِ يَا قَوْمُ هَلْ مِنْ أَثَرٍ أَوْ خَبَرِ
لَا تَكْتُمُوا فَكَاتِمُ ٱلشَّهَادَهْ عَاصٍ وَفِي ادَائِهَا عِبَادَهْ
فَإِنَّ مَنْ يَكْتُمُ جُرْمَ ٱلْمُجْرِمِ شَرِيكُهُ فِي ذَنْبِهِ ٱلْمُذَمَّمِ
مُسْتَوْجِبٌ بِذَلِكَ ٱلْعُقُوبَـهْ وَإِنْ فِي إِعْلَانِهِ مَثُوبَهْ
اَلصِّدْقُ خَيْرٌ فِي ٱلْأُمُورِ فَٱصْدُقُوا لَا تَلْطُفُوا بِخَائِنٍ وَتَرْفُقُوا
فَإِنَّ فِي تَأْدِيبِ أَهْلِ ٱلرِّيبَهْ لِكُلِّكُمْ مَنْفَعَةً عَجِيبَهْ

(١) كان الاصل : وفط لا ترضي بقتل جندبه

قَتْلُ ٱلشِّرَارِ رَاحَةُ ٱلْخِيَارِ ... مِنْ سُوقَةٍ وَمَلِكٍ جَبَّارِ
فَأَطْرَقُوا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا ... شَيْئًا وَخَافُوا ٱلْإِثْمَ إِنْ تَكَلَّمُوا
قَالَ لَهُمْ دِمْنَةُ قُولُوا وَٱصْدُقُوا ... فَإِنَّنِي مِنْ صِدْقِكُمْ لَا أُشْفِقُ
وَأَيْقِنُوا أَنَّ لَكُمْ مَعَادَا ... وَحَاكِمًا يَجْزِي بِهِ ٱلْعِبَادَا
وَقَوْلُكُمْ يُقْضَى بِهِ وَيُحْكَمُ ... وَيُسْتَحَلُّ فِيهِ نَفْسٌ وَدَمُ
وَإِنَّ مَنْ قَالَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ... هُوَ ٱلطَّبِيبُ ٱلْجَاهِلُ ٱلْمُذَمَّمُ
قَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي وَكَيْفَ كَانَا ... اُذْكُرْ فَأَنْتَ تُحْسِنُ ٱلْبَيَانَا
قَالَ طَبِيبٌ فِي بِلَادِ ٱلسِّنْدِ ... قَدْ جَازَ فِي ٱلْحِكْمَةِ كُلَّ حَدِّ
شَفَى بِهِ ٱللهُ كَثِيرًا وَبَرَا ... بِطِبِّهِ جَمَاعَةً مِمَّنْ بَرَا
فَمَاتَ وَٱلْمَوْتُ سَبِيلُ ٱلْخَلْقِ ... لَمْ يَنْتَفِعْ بِطِبِّهِ وَٱلْحِذْقِ
ثُمَّ ٱدَّعَى بَعْضُ ٱلرِّجَالِ فَضْلَهْ ... وَقَالَ قَدْ أَصْبَحْتُ فِيهِ مِثْلَهْ
فَمَرِضَتْ بِنْتُ أَمِيرِ ٱلْبَلْدَهْ ... «وَعَظُمَتْ أَوْجَاعُهَا فِي ٱلْمَعِدَهْ»
فَٱسْتَوْصَفُوا لَهَا طَبِيبًا فَهِمَا ... لٰكِنَّهُ كَانَ كَفِيفًا هَرِمَا
فَقَالَ أَعْطُوهَا دَوَاءً وَصَفَهْ ... وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ طَبِيبٌ عَرَفَهْ
قَالُوا ٱطْلُبُوا لَنَا طَبِيبًا يَعْرِفُهْ ... لَعَلَّهُ بِحِذْقِهِ يُؤَلِّفُهْ
فَجَاءَ هٰذَا ٱلْجَاهِلُ ٱلطَّبِيبُ ... فَقَالَ إِنِّي عَارِفٌ لَبِيبُ

فَحَمَلَتْ أَسْقَاطُ ذَاكَ ٱلْمَيْتِ ... وَوُضِعَتْ لَدَيْهِ جَوْفَ بَيْتِ
فَمَدَّ فِي ٱلْحَالِ إِلَى تِلْكَ يَدَهْ ... مُسْتَخْرِجاً مِنْ بَعْضِهَا مَا وَجَدَهْ
فَكَانَ سُمًّا قَاتِلاً فَخَلَطَهْ ... فَشَرِبَتْ وَهْيَ بِهِ مُغْتَبِطَهْ
فَهَلَكَتْ بِغَلَطِ ٱلْغِرِّ ٱلشَّقِي ... قَالَ أَبُوهَا ٱسْقُوهُ مِنْهَا فَسُقِي
فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ وَإِنَّمَا ... ضَرَبْتُ هٰذَا مَثَلاً لِيَعْلَمَا
مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ بِمَا فِي ٱلْكَذِبِ ... مِنَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلشَّقَاءِ ٱلْمُعْطِبِ
«فَقَالَ لِلْقَوْمِ ٱلْحُضُورِ ٱلْخِنْزِيرْ ... مَنْ تَبِعَ ٱلْأَشْرَارَ بَلَّى ٱلتَّدْبِيرْ»
قَدْ جَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ عُقُولَا ... أَضْحَتْ لَكُمْ إِلَى ٱلْهُدَى سَبِيلَا
فَأَعْمِلُوا ٱلْفِطْنَةَ وَٱلْكِيَاسَهْ ... تَسْتَخْرِجُوا بِٱلزَّجْرِ وَٱلْفِرَاسَهْ
مَا غَابَ مِنْ ذَاكَ فَغَيْرُ خَافِ ... عَلَى ٱلْعُقُولِ خَائِنٌ وَوَافِ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ ٱلنَّاسِ سِمَهْ ... إِذَا رَآهَا ذُو ٱلذَّكَاءِ عَلِمَهْ
قَدْ ذَكَرَ ٱلْمَاضُونَ فِي ٱلْأَخْبَارِ ... دَلَائِلَ ٱلْخِيَارِ وَٱلشِّرَارِ
وَإِنَّ فِي دِمْنَةَ لَوْ عَرَفْتُمُ ... دَلَائِلَ ٱلشَّرِّ لِمَا وَقَفْتُمُ
فَقَالَ بَعْضُ ٱلْقَوْمِ مَا نَعْرِفُهَا ... فَهَلْ لَدَيْكَ خِبْرَةٌ تَكْشِفُهَا
فَأَخَذَ ٱلْخَبَّازُ كَفَّ دِمْنَهْ ... وَقَالَ لِلّٰهِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْمِنَّهْ
مِنْ قَوْلِهِمْ مَنْ صَغُرَتْ عَيْنَاهُ ... وَطَالَ مِنْهُ ٱلْأَنْفُ إِذْ تَرَاهُ

فَإِنَّهُ ذُو حِيلَةٍ وَمَكْرِ   وَشَرُّهُ يَغْلِبُ كُلَّ شَرِّ

وَفِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ ذَكَرُوا   هَذَا ٱلْعِيَانُ فَٱنْظُرُوا لَا ٱلْخَبَرْ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ أَنْتَ مُعْجَبُ   تَظُنُّ ذَا ٱلْعِلْمَ إِلَيْكَ يُنْسَبُ

لَقَدْ عَرَفْنَا مِنْهُ مَا عَرَفْتَا   وَفِيكَ أَضْعَافُ ٱلَّذِي وَصَفْتَا

وَإِنْ تَكُنْ فِي مَا ذَكَرْتَ صَادِقَا   فَإِنَّنِي لَسْتُ لِنَفْسِي خَالِقَا

وَإِنَّمَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُهُ   بِأَمْرِ مَوْلَايَ ٱلَّذِي ٱلْأَمْرُ لَهُ

لِأَنَّهُ خَلَقَنِي لِذَلِكَا   لَسْتُ لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِي مَالِكَا

فَلِمْ تَلُومُونِي إِذَا لَمْ أَكُنِ   أَسْطِيعُ تَغْيِيرًا لِمَا فِي بَدَنِي

قَالَ أَمْرُؤٌ لِعِرْسِهِ لَا تَجْرَحِي   مَنْ كُنْتِ يَوْمًا مِثْلَهُ تَفْتَضِحِي

مَنْ يَعِبِ ٱلنَّاسَ بِمِثْلِ مَا فِيهْ   فَنَفْسَهُ عَابَ بِغَيْرِ تَمْوِيهْ

لَا تَنْهَ عَنْ شَيْءٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ   كَذَاكَ لَا شَكَّ يَكُونُ ٱلْأَبْلَهُ

قَدْ ذَكَرُوا فِي مَا جَرَى مِنَ ٱلسِّيَرْ   وَأَخْبَرُوا وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ خَبَرْ

أَنَّ جُيُوشًا هَجَمُوا عَلَى بَلَدْ   فَأَكْثَرُوا ٱلْأَسْرَ وَمَا أَبْقَوْا أَحَدْ

فِي جُمْلَةِ ٱلسَّبْيِ ٱمْرُؤٌ وَٱمْرَأَتَاهْ   وَرَاحَةُ ٱلْإِخْوَانِ فِي ٱلْمُؤَاتَاهْ

فَلَبِثُوا فِي إِسْرِ غَيْرِ رَاحِمِ   فِي فَاقَةٍ لِعَدَمِ ٱلْمَطَاعِمِ

وَإِنَّ إِحْدَى ٱلزَّوْجَتَيْنِ أَبْصَرَتْ   خُرَيْقَةً بَالِيَةً فَسَتَرَتْ

عَوْرَتَهَا فَقَالَتِ ٱلْمَكْشُوفَهْ وَهْيَ بِهَتْكِ سِتْرِهَا مَعْرُوفَهْ

أَمَا تَرَى عَوْرَتَهَا تَبِينُ لَمْ يَنْهَهَا حَيَاؤُهَا وَٱلدِّينْ

قَالَ لَهَا لِمْ تَتْرُكِينَ أَمْرَكِ "مَهْلًا دَعِي ٱلشُّغْلَ بِأَمْرِ غَيْرِكِ"

« فَلَوْ نَظَرْتِ أَوَّلًا لِذَاتِكِ مَا كُنْتِ عِبْتِ فِي ٱلسِّوَى صِفَاتِكِ» (١)

كَذَاكَ أَنْتَ قَدْ تَرَكْتَ مَا فِيكْ وَعِبْتَ بِٱلْأَوْصَافِ مَنْ يُدَانِيكْ

« فِيكَ عُيُوبٌ لَوْ رَآهَا رَاءْ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ لَيْلَاءْ »

« لَقَامَ مِنْ مَنَامِهِ مُكَدَّرَا مُعَجَّبًا مِمَّا رَأَى مُحَيَّرَا »

«فِيكَ عُيُوبٌ لَمْ أَكُنْ أُظْهِرُهَا قَبْلًا وَمِنْ مَوَدَّتِي أَسْتُرُهَا »

« أَمَا وَقَدْ قُمْتَ إِلَى عَدَاوَتِي مُجَاهِرًا وَنَاكِرًا صَدَاقَتِي »

« فَهَا أَنَا مُقْتَصِرٌ عَلَى ٱلَّذِي أَعْرِفُهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ بَذِي»

«وَإِنَّهُ فَرْضٌ عَلَى ٱلْعَارِفِ بِكْ أَنْ يُطْلِعَ ٱلْمَلْكَ عَلَى مَعَائِبِكْ»

فَإِنَّهَا إِذَا دَرَى بِهَا ٱلْأَسَدْ نَفَاكَ عَنْ أَمْرِ ٱلْخُوَانِ وَطَرَدْ

« فَقَالَ لَهُ إِذْ ذَلِكَ ٱلْخِنْزِيرْ بِغَضَبٍ يَا أَيُّهَا الشِّرِّيرْ »

« أَلِي تَقُولُ هَذِهِ ٱلْمَقَالَهْ مَعْ مَا بِهَا مِنْ مُفْرِطِ ٱلْجَهَالَهْ»

---

(١) كان الاصل :

قالَ لها لم تتركين أمرك مهلاً فليس العار في مسترك

« أَجَابَهُ عِنْدَئِذٍ دِمْنَةُ قَدْ   بَدَا عَلَيْهِ مَا بَدَا مِنَ ٱلْحَرَدْ »

« إِيَّاكَ أَعْنِي أَيُّهَا ٱلْمَكْسُورْ   مَنْ بَانَ فِي وَرِكِهِ ٱلنَّاسُورْ »

« فَأَنْتَ مَشْقُوقُ ٱلشِّفَاهِ أَفْلَجُ   مُنْفَخُ ٱلْبَطْنِ كَرِيهٌ أَعْرَجُ »

«وَأَنْتَ فَظُّ ٱلطَّبْعِ جِلْفٌ أَقْرَعُ»   آدَرُ وَٱلْأَدَرُ عَيْبٌ مُفْظِعُ

« وَأَنْتَ غِمْرٌ جَاهِلٌ لَنْ تَصْلُحَا   لِعَمَلٍ وَإِنْ يَكُنْ مُسْتَقْبَحَا »

« لِذَاكَ لَسْتَ صَالِحًا بِٱلْأَحْرَى   لِأَنْ تَكُونَ تَخْدُمُ ٱلْهِزَبْرَا »

فَأَطْرَقَ ٱلْخَبَّازُ لَمَّا سَمِعَا   ذَلِكَ مِنْ مَقَالِهِ وَخَضَعَا

فَكَتَبَ ٱلْكَاتِبُ كُلَّ مَا جَرَى   وَٱسْتَشْهَدَ ٱلْقَاضِيَ ثُمَّ ٱلنَّمِرَا

ثُمَّ أَعَادُوا دِمْنَةً لِحَبْسِهِ   وَٱنْصَرَفُوا وَيَوْمُهُ كَأَمْسِهِ

وَعَرَضُوا مَكْتُوبَهُمْ عَلَى ٱلْأَسَدْ   فَقَالَ رُوحُوا وَٱحْضُرُوا بُكْرَةَ غَدْ

وَصَرَفَ ٱلْخِنْزِيرَ عَنْ طَعَامِهِ   لِقُبْحِ مَا بَلَّغَ مِنْ أَسْقَامِهِ

« وَكَانَ بَيْنَ أَصْدِقَا . كَلِيلَهْ   صَدِيقُ صِدْقٍ مَاهِرٌ ذُو حِيلَهْ»

« لَهُ نُفُوذٌ فِي بِلَاطِ ٱلْأَسَدِ   وَٱسْمُهُ رُوزَبَةٌ ذُو ٱلرُّشْدِ »

« فَجَاءَ يَوْمًا قَاصِدًا زِيَارَهْ   كَلِيلَةٍ مُسْتَقْصِيًا أَخْبَارَهْ »

« وَجَدَهُ مُلَازِمًا فِرَاشَهْ   وَٱلدَّاءُ مِنْ شِدَّتِهِ أَطَاشَهْ »

«فَقَالَ مَاذَا قَالَ دَائِي وَٱلْوَجَلْ   عَلَى شَقِيقِي دِمْنَةٍ مِنَ ٱلْأَجَلْ»

« قَدْ جعلا حَالِي كَمَا تَرَاهُ ‏ وَلَيس يَشْفِينِي إِلاَّ ٱللهُ »

« ثُمَّتَ فَاضَتْ رُوحُهُ وَمَاتَا ‏ وَٱمتَدَّ قَدْ فَارَقَ ذِي ٱلْحَيَاتَا»

« فَقَامَ فِي ٱلْحَالِ وَجَآءَ دِمْنَهْ ‏ وَقَالَ بِٱللهِ ٱسْتَعِذْ فِي ٱلْمِحْنَهْ»

« كَلَيْلَةٌ مَاتَ سَلِمْتَ يَا أَخِي ‏ وَلاَ بَرِحْتَ ٱلدَّهْرَ فِي عَيْشٍ رَخِي»

«حِينَئِذٍ دِمْنَةُ أَبْدَى ٱلشَّكْوَى ‏ مُسْتَعْظِماً حُلُولَ هَذِي ٱلْبَلْوَى»

« وَقَالَ مِنْ بَعْدِ أَخِي كَلِيلَهْ ‏ قَدْ أَصْبَحَتْ عَاقِبَتِي وَبِيلَهْ »

لَقَدْ فَقَدْتُ مِنْ نُهَاهُ عُدَّهْ ‏ تَخِذْتُهَا ذُخْراً لِكُلِّ شِدَّهْ

لَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ أَمُوتَ قَبْلَهْ ‏ أَوْ أَنْ أَمُوتَ فِي فِرَاشِي مِثْلَهْ

« لَكِنَّنِي لَسْتُ لَهُ بِفَاقِدِ ‏ إِذْ قَدْ بَقِيتَ لِي نَظِيرَ سَاعِدِي»

«فَأَنْتَ بَعْدَ ٱللهِ رُكْنِي وَٱلسَّنَدْ ‏ وَأَنْتَ مُنْذُ ٱلآنَ عَوْنِي وَٱلْعَضَدْ»

إِمْضِ إِلَى ٱلْبَيْتِ فَخُذْ مَا تَجِدُهُ ‏ فَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ عَدُوٍّ يَقْصِدُهُ

فَلَمْ يَزَلْ وَٱلدَّهْرُ جَمٌّ نَكَدُهْ ‏ يَأْكُلُ مَالَ ٱلْمَرْءِ مَنْ لاَ يَحْمَدُهْ

حَقِّي عَلَيْكَ يَا ٱبْنَ عَمِّي وَاجِبُ ‏ وَأَنْتَ فِي رَعْيِ ٱلْحُقُوقِ دَائِبُ

فَفَتِّشِ ٱلأَخْبَارَ وَٱسْأَلْ عَنِّي ‏ وَأَنْهِهَا إِلَيَّ وَٱكُنْ وَٱعْنِ

فَقَالَ سَمْعاً يَا أَخِي وَطَاعَهْ ‏ ثُمَّ مَضَى مِنْ وَقْتِهِ وَٱلسَّاعَهْ

لِعِلْمِ مَا يَجْرِي بِبَابِ ٱلأَسَدِ ‏ فَلَمْ يَزَلْ نَهَارَهُ فِي ٱلرَّصَدِ

وَأَصْبَحَ ٱلْقَوْمُ فَقَالَ ٱلْأَسَدُ عُودُوا عَسَى ٱلْيَوْمَ نَرَى مَنْ يَشْهَدُ[(1)]

ثُمَّ أَتَتْهُ أُمُّهُ فَشَرَحَا لَهَا ٱلَّذِي كَانَ لَهُ قَدْ أُوضِحَا

فَغَضِبَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ دِمْنَهْ بِكَيْدِهِ أَلْقَاكَ فِي ذِي ٱلْمِحْنَهْ

وَهُوَ يَرَاكَ عَاجِزًا ضَعِيفَا لَا تَهْتَدِي لِمَذْهَبٍ سَخِيفَا

وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّا جَاسُوسُهُ يَشْرَحُ ذَاكَ ٱلْأَمْرَا

وَأَحْضَرُوهُ فَأَتَى ٱلْجَمَاعَهْ فَقَالَ كَمْ مِنْ حِكْمَةٍ مُضَاعَهْ

قَالَ لَهُ عَظِيمُهُمْ قَدْ صَحَّ لِي مَا جِئْتَهُ مِنْ مُعْجِبَاتِ ٱلْحِيَلِ

وَصَحَّ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُطَاعِ أَنَّكَ ذُو مَكْرٍ وَذُو خِدَاعِ

وَلَا يَشُكُّ فِي جَمِيعِ أَمْرِكَا وَلَا بِمَا جَرَرْتَهُ بِمَكْرِكَا

لٰكِنَّهُ قَدْ آثَرَ ٱلتَّثَبُّتَا كَيْ لَا يَقُولَ قَائِلٌ قَدْ عَنَتَا

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنَّ مَنْطِقَكْ لَمُظْهِرٌ لِلْحَاضِرِينَ خُلُقَكْ

أَنَّكَ فَظٌّ لَيْسَ فِيكَ رَافَهْ فَأَنْتَ حَقًّا مِحْنَةٌ وَآفَهْ

تُرِيدُ قَتْلِي لَعِبًا وَجَهْلَا وَلَا تُرِيدُ لِلصَّلَاحِ فِعْلَا

وَأَنْتَ مَعْذُورٌ لِأَنَّ ٱلْجَاهِلَا يُبْغِضُ بِٱلطَّبْعِ ٱلْكَرِيمَ ٱلْعَاقِلَا

---

(١) كان الاصل :

واصبح القوم فقال عودوا عسى يقوم عندكم شهود

فَقَطَعَ ٱلْقَاضِي ٱلْكَلاَمَ قَائِلاَ ... إِنَّ ٱلْوَسِيطَ لاَ يَكُونُ مَائِلاَ
وَإِنَّ دِينَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَلِيلِ ... أَنْ يَجْزِيَ ٱلْجَمِيلَ بِٱلْجَمِيلِ
وَأَخْذُهُ بِٱلْمُذْنِبِينَ عَدْلُ (١) ... سِيَاسَةً وَٱلْكُلُّ حَقٌّ فَضْلُ
لِيَرْغَبَ ٱلْمُحْسِنُ فِي إِحْسَانِهْ ... وَيَنْزَعَ ٱلظَّالِمُ عَنْ عُدْوَانِهْ
وَٱلرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تُقِرَّ بَاذِلاَ ... نَفْسَكَ لِلْحَقِّ فَخَلِّ ٱلْبَاطِلاَ
فَإِنَّ فِي هٰذَا ٱلعَذَابِ ٱلعَاجِلِ ... سَلاَمَةً مِنَ ٱلعِقَابِ ٱلآجِلِ
« فَقَالَ إِنَّ صَالِحِي ٱلمُلُوكِ ... لاَ يَقْطَعُونَ قَطُّ بِٱلشُّكُوكِ »
« وَأَنْتُمُ يَا قَوْمُ إِنْ ظَنَنْتُمُ ... أَنِّيَ فِي مَا قَدْ فَعَلْتُ مُجْرِمُ »
« فَظَنُّكُمْ شَكٌّ بِهِ لاَ يُحْكَمُ ... وَإِنَّنِي مِنْكُمْ بِنَفْسِي أَعْلَمُ »
« وَإِنَّمَا مُسْتَقْبَحٌ لَدَيْكُمُ ... أَمْرِي لِأَنِّي مُذْنِبٌ عِنْدَكُمُ »
« بِمَا نَقَلْتُ عَنْ سِوَايَ كَذِبَا ... أَسْلَمَهُ إِلَى ٱلرَّدَى فَعَطِبَا »
« وَأَنْتُمُ لاَ تَقْبَلُونَ عُذْرِي ... وَلاَ تُرِيدُونَ سَمَاعَ أَمْرِي »
« فَمَا ٱعْتِذَارِي عِنْدَكُمْ إِنْ أَقُلِ ... لَقَدْ فَعَلْتُ وَأَنَا لَمْ أَفْعَلِ »
« فَٱكْفُفْ إِذًا يَا أَيُّهَا ٱلْقَاضِي وَدَعْ ... إِمَّا ٱلَّذِي فُهْتَ بِهِ مِنَ ٱلْخُدَعْ »
« أَوْ إِنَّهُ نَصِيحَةٌ فَقُلْ لِي ... مَا هُوَ أُجِبْكَ بِمَقَالٍ فَصْلِ »

---

(١) كان في الاصل : وأخذه اهل الذنوب عدل

«فَإِنْ يَكُنْ خَدِيعَةً وَحِيلَهْ ... تُوقِعُنِي فِي وَرْطَةٍ وَبِيلَهْ»

«فَالْمَكْرُ لَيْسَ لِلْقُضَاةِ الصَّالِحِينْ ... وَلَا الْخِدَاعُ مِنْ صِفَاتِ الْعَادِلِينْ»

«وَإِنْ تَكُنْ نَصِيحَةً فَلَمْ تُصِبْ ... مَوْضِعَهَا وَتَرْكُهَا كَانَ يَجِبْ»

هَذَا عَدَا أَنِّي إِذَا أَقْرَرْتُ ... بِبَاطِلٍ لَمْ آتِهِ أَثِمْتُ

فَلَسْتُ عِنْدَ اللهِ بِالظَّنِينِ ... وَلَا عَلَى نَفْسِيَ بِالْمُعِينِ

كَبَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ ... وَفَاقِئٍ مُقْلَتَهُ بِكَفِّهِ

كَالْبَازْدَارِ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ ... خَانَ وَأَيُّ صَاحِبٍ لَمْ يَخُنِ

« أَغْضَبَ سَيِّدَتَهُ فَنَفَرَتْ ... وَطَرْدَهُ مِنْ بَيْتِهَا قَدْ قَرَّرَتْ»

« فَمَالَ عَنْهَا مُفَكِّرًا بِالشَّرِّ ... يَبْحَثُ كَيْ يُصِيبَهَا بِضُرِّ »

فَصَادَ فَرْخَيْ بَبَّغَا مِنْ شَجَرَهْ ... وَلَمْ يَزَلْ يَغْذُوهُمَا بِالثَّمَرَهْ

وَعَلَّمَ الْفَرْخَيْنِ قَوْلَ الزُّورِ ... وَقَذْفَهَا بِفَاحِشِ الْفُجُورِ

تَعَلَّمَا ذَلِكَ مِنْ لِسَانِهِ ... وَكَانَ بَلْخِيًّا لَدَى امْتِحَانِهِ

فَضَافَ مَوْلَاهُ رِجَالٌ فَشَوَوْا ... وَنَطَقَ الْفَرْخَانِ هُجْرًا فَوَعَوْا

قَوْلَهُمَا وَأَظْهَرُوا فِي السُّكْرِ ... لِصَاحِبِ الدَّارِ قَبِيحَ الْأَمْرِ

فَسَأَلَ الْغُلَامَ قَالَ قَدْ جَرَى ... ذَاكَ وَأَبْصَرْتُ عَلَيْهَا الْمُنْكَرَا

لَكِنْ سَتَرْتُ أَمْرَهَا إِشْفَاقَا ... عَلَيْكَ أَنْ تَجْزِيَهَا الطَّلَاقَا

فقال بل أقتلها فقالت ... واجتهدت حالفة وآلت
إني من قولهما بريه ... فاسألهما لتكشف البليه
هل يعرفان غير هذا قولا ... فعرف الصواب منها المولى
حتى إذا ما سئلا لم يفصحا ... وشرحت قصتها ففضحا
ثم أتى والباز فوق كفه ... يجبها وقاحة بقذفه
فأخذ البازي عينيه معا ... وأمر المولى به فقطعا
هذا جزاء من يقول الزورا ... وليس عند ربه معذورا
وأمر القاضي به فحبسا ... إذ لم يضح من أمره ما التبسا
ورجع القوم فقال للأسد ... ما قد جرى من قوله وما جحد
ثم أتته بعد ذاك أمه ... قائلة قد صح عندي جرمه
فجازه بالقتل قال مهلا ... ترفقي ولا تكوني عجلى
حتى أحق جرمه فإني ... أخاف أن أقتله بالظن
ثم يقول قائل ما أجرما ... فمن تأنى في الأمور سلما
فحدثيني من أتاك بالخبر ... «قالت وهل يجوز ذكر من أسر»
وهو الذي لا شك في أمانته ... وقوله الصدق وفي ديانته
«إني إن كنت بسر بائحة ... طالحة أعد غير صالحة»

« دَعْنِي إِذًا أُقَابِلُ ٱلْمَسِرَّا | لَعَلَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُقَرَّا »
« وَعَاجِلاً قَامَتْ لِتَلْقَى ٱلنَّمِرَا | قَائِلَةً إِكْشِفْ لَنَا مَا ٱسْتَتَرَا »
« أَبْدِ ٱلَّذِي تَعْرِفُهُ عَنْ دِمْنَهْ | تُنَجِّ ٱلْمَلِيكَ مِنْ شَدِيدِ ٱلْمِحْنَهْ »
« لَا تَخَفْ إِنَّ كَاتِمَ ٱلشَّهَادَهْ | خَالٍ مِنَ ٱلصَّلَاحِ وَٱلْعِبَادَهْ »
« وَوَاجِبٌ فَرْضٌ عَلَى ٱلْعِبَادِ | تَثْبِيتُ أَمْرِ ٱلْحَقِّ فِي ٱلْعِبَادِ »
« وَلَمْ تَزَلْ بِهِ إِلَى أَنْ قَامَا | مُعَجِّلاً لِيُطْلِعَ ٱلْهُمَامَا »
« عَلَى ٱلَّذِي يَعْرِفُ مِنْ إِقْرَارِ | دِمْنَةَ ٱلْمُخَادِعِ ٱلْغَدَّارِ »
« وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ مَا كَانَ دَرَى | وَظَهَرَ ٱلْحَقُّ لَدَى كُلِّ ٱلْوَرَى »
« فَأَرْسَلَ ٱلْفَهْدُ ٱلسَّجِينَ قَائِلاً | كَتَمْتُ مَا أَعْرِفُهُ تَغَافُلاً »
« فَأَخْرَجُوهُ قَائِلِينَ أَبْدِ | جَمِيعَ مَا كَتَمْتَ عَنْ ذَا ٱلْوَغْدِ »
« فَشَهِدَ ٱلْفَهْدُ بِمَا كَانَ سَمِعْ | مِنْ فَمِ دِمْنَةَ ٱلْمُخَادِعِ ٱلشَّنِعْ »
« مِنْ أَنَّهُ كَانَ سَعَى بِشَتْرَبَهْ | مَكْرًا وَزُورًا لِيُلَاقِي عَطَبَهْ »
« حِينَئِذٍ قَالَ ٱلْهُمَامُ وَلِمَا | لَمْ تُبْدِيَا مِنْ قَبْلُ مَا عَلِمْتُمَا »
« فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْتَذِرُ | شَهَادَةُ ٱلْوَاحِدِ لَيْسَتْ تُصْدِرُ »
« حُكْمًا فَكُنَّا بَعْضُنَا نَسْتَنْظِرُ | إِنْ شَهِدَ ٱلْوَاحِدُ قَامَ ٱلْآخَرُ »
وَأَقْبَلَتْ أُمُّ ٱلْهِزَبْرِ قَائِلَهْ | لَتُرْمَيَنَّ مِنْ تَرْكِهِ بِغَائِلَهْ

فيُفسِدُ ٱلجُندَ بِلُطفِ مَكرِهِ ... عَلَيكَ أَو يُعدِيهِم مِن شَرِّهِ

وَيَطمَعُ ٱلجُهَّالُ وَٱلأَوغَادُ ... فَيَظهَرُ ٱلخَبَالُ وَٱلفَسَادُ

قَالَ لَهَا لَأَجعَلَنَّ دِمنَهْ ... إِذًا نَكَالًا لِلوَرَى فَإِنَّهْ

مِنِّي بِمَا يُكرَهُهُ جَدِيرُ ... فَقَد بَدَا لِي جُرمُهُ يُنِيرُ

حِينَئِذٍ قَالَ ٱقتُلُوهُ جُوعَا ... وَعَذِّبُوهُ هٰكَذَا أُسبُوعَا

ثُمَّ ٱقتُلُوهُ قِتلَةً أَلِيمَهْ ... بِهٰذِهِ ٱلجَرِيمَةِ ٱلعَظِيمَهْ

كَذَاكَ عُقبَى ٱلبَغيِ وَٱلفَسَادِ ... وَٱلسَّعيِ فِي مَتَالِفِ ٱلعِبَادِ

بَاب

ٱلحَمَامَةِ ٱلمُطَوَّقَةِ

وَهُوَ بَابُ

ٱبتِدَاءِ تَوَاصُلِ ٱلإِخوَانِ وَتَعَاوُنِهِم وَٱستِمَاعِ

بَعضِهِم مِن بَعضٍ

لَمَّا ٱنقَضَى ٱلكَلَامُ قَالَ دَبشَلِمْ ... لِبَيدَبَا لَقَد أَتَيتَ بِٱلحِكَمْ

وَقَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ قَطْعُ ٱلْخَائِنِ　　بَيْنَ ٱلْمُحِبِّينَ بِقَوْلِ ٱلْمَائِنِ
فَٱذْكُرْ لَنَا أَخْلَاقَ إِخْوَانِ ٱلصَّفَا　　وَمَا سَمِعْتَ عَنْهُمُ مِنَ ٱلْوَفَا
وَكَيْفَ يَبْدَا حُبُّهُمْ وَوُدُّهُمْ　　ثُمَّ يَدُومُ عَهْدُهُمْ وَعَقْدُهُمْ
فَكَانَ قَوْلُ ٱلْفَيْلَسُوفِ بَيْدَبَا　　خَيْرُ كُنُوزِ ٱلْمَرْءِ إِخْوَانُ ٱلصِّبَا
وَٱلْحُرُّ لَا يَرْضَى مِنِ ٱخْوَانِ ٱلصَّفَا　　مَعُوضَةً وَإِنْ جَنَى وَخَلَفَا
لَوْ تُبْذَلُ ٱلدُّنْيَا لَهُ مِنْهُمْ بَدَلْ　　أَوْ قِيلَ بِعْهُمْ بِٱلْخُلُودِ مَا فَعَلْ
لَا تَخْدَعَنْ فَإِنَّمَا ٱلْإِخْوَانُ　　عَلَى ٱلْأُمُورِ كُلِّهَا أَعْوَانُ
كَمَثَلِ ٱلْحَمَامَةِ ٱلْمُطَوَّقَهْ　　وَقَصْدِهَا فِي كَرْبِهَا ٱلْأَخَ ٱلثِّقَهْ
أَلْجُرَذَ ٱلنَّاصِحَ لِلْأَصْحَابِ　　أَلسُّلَحْفَا وَٱلظَّبْيِ وَٱلْغُرَابِ
قَالَ فَحَدِّثْنِي بِذَاكَ أَسْمَعِ　　وَلَا تُحَدِّثْ جَاهِلًا لَيْسَ يَعِي
قَالَ نَعَمْ كَانَ بِأَرْضِ صَيْدُ　　مَرْتَعُهُ دَشْتٌ عَلَيْهِ رَيْدُ
بَيْنَا غُرَابٌ سَاقِطٌ فِي شَجَرَهْ　　إِذْ مَرَّ صَيَّادٌ بِهِ فَأَنْكَرَهْ
وَقَالَ مَا أَبْرَحُ مِنْ مَكَانِي　　حَتَّى أَرَى فِعَالَ ذَا ٱلْإِنْسَانِ
فَبَسَطَ ٱلصَّيَّادُ فِيهِ ٱلشَّبَكَهْ　　وَنَثَرَ ٱلْحَبَّ بِهَا وَتَرَكَهْ
فَٱجْتَازَتِ ٱلْحَمَامَةُ ٱلْمُطَوَّقَهْ　　فَنَزَلَتْ وَلَمْ تَكُنْ مُوَفَّقَهْ
وَمَعَهَا مِنَ ٱلْحَمَامِ عِدَّهْ　　فَوَقَعُوا إِذْ رَتَعُوا فِي شِدَّهْ

وَأَقبَلَ ٱلصَّيَّادُ وَهوَ جَذِلُ   قَالَتْ لَهُنَّ إِذْ أَتَى يُهَرْوِلُ

إِجْهَدْنَ حَتَّى تَقْتَلِعنَ ٱلشَّبَكَهْ   لَعَلَّنَا نَنْجُو فَهذِي هَلَكَهْ

حَتَّى إِذَا قَلَعْنَهَا وَطِرْنَهْ   وَعَايَنَ ٱلصَّيَّادُ تِلكَ ٱلمِحْنَهْ

هَرْوَلَ عَدْوًا تَحْتَهُنَّ طَامِعَا   فِي أَنْ يَقَعْنَ وَٱسْتَمَرَّ تَابِعَا

قَالَتْ وَكَانَتْ ذَاتَ فَهْمٍ صَافِي   وَنَظَرٍ فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ شَافِي

أَلرَّأْيُ أَنَّا نَقْصِدُ ٱلْعُمْرَانَا   فَإِنَّنَا نَخْفَى وَلَا يَرَانَا

فَكَانَ مَا قَالَتْ وَعَادَ آيِسَا   وَٱلْبُؤْسُ لَا يَقْصِدُ إِلَّا ٱلْبَائِسَا

وَكُلُّ هَذَا وَٱلْغُرَابُ تَابِعُ   لِكُلِّ ذَاكَ نَاظِرٌ وَسَامِعُ

قَالَتْ لَهُنَّ إِنَّ بِالرِّيفِ جُرَذْ   شَهْمًا إِذَا مَا أَحْجَمَ ٱلسَّيْلُ نَفَذْ

وَبَيْنَنَا مَوَدَّةٌ وَكِيدَهْ   وَنَحْنُ فِي مُلِمَّةٍ شَدِيدَهْ

وَٱلرَّأْيُ أَنْ نَقْصِدَهُ لَعَلَّهْ   يَقْطَعُهُ عَنَّا وَأَنْ يَحُلَّهْ

وَجِئْنَهُ فَنَادَتِ ٱلْمُطَوَّقَهْ   يَا زِيرَكُ ٱلْحَقْنِي فَإِنِّي مُرْهَقَهْ

فَقَالَ مَا هَذَا وَأَنْتِ حَازِمَهْ   قَالَتْ مَقَادِيرُ ٱلْأُمُورِ ٱللَّازِمَهْ

مَاذَا ٱلَّذِي يَدْفَعُ عَنِّي حَزْمِي   كَيْفَ ٱتِّقَايَ وَٱلْقَضَآءُ يَرْمِي

هَلْ فِي ٱلْوَرَى مُمْتَنِعٌ مِنَ ٱلْقَدَرْ   إِذْ كُسِفَتْ شَمْسُ ٱلنَّهَارِ وَٱلْقَمَرْ

أَلْحُوتُ فِي لُجَّتِهِ يُصَادُ   وَبِٱلطُّيُورِ يَفْتِكُ ٱلصَّيَّادُ

وَإِنَّ مَنْ يُعْطِي ٱلرَّكِيكَ ٱلْجَاهِلَا ‏ ‏ هُوَ ٱلَّذِي يَحْمِي ٱلْجَلِيدَ ٱلْعَاقِلَا

فَرَامَ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهَا فَأَبَتْ ‏ ‏ قَالَتْ أُصَيْحَابِي فَرَدَّ مَا رَأَتْ

وَقَالَ لِمْ لَا تَرْحَمِينَ نَفْسَكِ ‏ ‏ لَوْ تَتْرُكِينِي لَهَدَمْتُ حَبْسَكِ

قَالَتْ أَنَا رَئِيسَةُ ٱلْحَمَامِ ‏ ‏ فَمَا أُخَلِّيهِنَّ لِلْحِمَامِ

حَقٌّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ وَاجِبُ ‏ ‏ أَلدَّفْعُ حِينَ تَدْهَمُ ٱلنَّوَائِبُ

دُونَ ٱلرَّعَايَا تُبْذَلُ ٱلرُّؤُوسُ ‏ ‏ وَلَا يَسُودُ قَوْمَهُ ٱلْخَسِيسُ

وَفِي ٱلنَّفِيسِ يُبْذَلُ ٱلنَّفِيسُ ‏ ‏ مَنْ جَادَ بِٱلنَّفْسِ هُوَ ٱلرَّئِيسُ

وَقَدْ قَضَيْنَ ٱلْحَقَّ إِذْ أَطَعْنَنِي ‏ ‏ وَقُمْنَ بِٱلْوَاجِبِ فَٱتَّبَعْنَنِي

عَلَى ٱلرَّعَايَا لِلرَّئِيسِ ٱلطَّاعَهْ ‏ ‏ كَمَا عَلَيْهِ ٱلْحِفْظُ لِلْجَمَاعَهْ

قَالَ لَهَا هٰذَا يَزِيدُ ٱلصَّاحِبَا ‏ ‏ وَٱلْأَخَ فِيكِ رَغْبَةً وَٱلرَّاغِبَا

فَحَلَّهُنَّ فَمَضَيْنَ فِي مَهَلْ ‏ ‏ وَعَاوَدَ ٱلْجُحْرَ سَرِيعًا فَدَخَلْ

فَعِنْدَ ذَاكَ رَغِبَ ٱلْغُرَابُ ‏ ‏ فِي وُدِّهِ وَرَأْيُهُ صَوَابُ

فَقَامَ عِنْدَ جُحْرِهِ يُنَادِي ‏ ‏ زِيرَكُ حُرٌّ خَاطِبُ ٱلْوِدَادِ

فَقَالَ مَنْ قَالَ أَنَا غُرَابُ ‏ ‏ أَرْغَبُ فِي ٱلْوُدِّ فَهَلْ أُثَابُ

لَمَّا رَأَيْتُ نَفْعَكَ ٱلْحَمَامَا ‏ ‏ رَغِبْتُ أَنْ تَعْقِدَ لِي ذِمَامَا

إِنَّ أَحَقَّ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِخَاءِ ‏ ‏ أَلْخِلُّ فِي ٱلشِّدَّةِ لَا ٱلرَّخَاءِ

قَالَ لَهُ مَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ   سُؤَالُ مَا لاَ يَنْبَغِي لِلسَّائِلِ

وَلاَ يَكُوْنُ لِلْمُحَالِ طَالِبَا   فَخَلِّنِي فَلَسْتَ لِي مُنَاسِبَا

بَلْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ شَدِيْدَهْ   بِالطَّبْعِ وَالْجِبِلَّةِ الْبَلِيْدَهْ

وَإِنَّ مَنْ يَطْلُبُ مَا لاَ يُلْتَمَسْ   كَمِثْلِ مَنْ يُجْرِي السَّفِيْنَ فِي الْيَبَسْ

كَيْفَ يَكُوْنُ بَيْنَنَا تَوَاصُلُ   وَأَنْتَ بِالطَّبْعِ عَدُوٌّ قَاتِلُ

«مَا أَنْتَ إِلاَّ آكِلٌ وَمَا أَنَا   إِلاَّ طَعَامٌ تَبْتَغِيْهِ بِاعْتِنَا»

قَالَ لَهُ الْغُرَابُ أَعْمِلْ عَقْلَكَا   إِنْ كَانَ فِي التَّرْكِيْبِ طَبْعِي أَكْلَكَا

فَلَيْسَ فِي ذَاكَ كَثِيْرُ نَفْعِ   وَفِيْكَ إِنْ عِشْتَ جَمِيْلُ صُنْعِ

وَذَاكَ مِنْ أَكْلِكَ خَيْرٌ عِنْدِي   وَاللُّؤْمُ أَنْ تَجْبَهَنِي بِالرَّدِّ

فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ جَمِيْلِ صُنْعِكْ   مَا دَلَّنِي عَلَى كَرِيْمِ طَبْعِكْ

وَمَا تَكَلَّفْتَ الَّذِي فَعَلْتَهُ   وَلاَ لِأَجْلِي كَانَ مَا عَمِلْتَهُ

وَالْفَضْلُ فِي كِتْمَانِهِ يَلُوْحُ   كَالْمِسْكِ فِي إِخْفَائِهِ يَفُوْحُ

قَالَ لَهُ الْعَدَاوَةُ الشَّدِيْدَهْ   عَدَاوَةُ الْجَوْهَرِ لاَ الْعَقِيْدَهْ

وَتِلْكَ قِسْمَانِ لَدَى التَّحْصِيْلِ   فَوَاحِدٌ كَأَسَدٍ وَفِيْلِ

«وَهُوَ التَّجَازِي إِنَّمَا الْمُخِيْفُ   خَصْمٌ قَوِيٌّ خَصْمُهُ ضَعِيْفُ» (١)

---

(١) كان الاصل :

وهو التجازي لا سواه انما   ما جانب فردا صير لزما

«لمْ أبتعِدْ عنكَ لِخوْفٍ كلّاً»[١] فأنتَ أوْفَى ذِمّةً وإلاّ

لكِنَّ مِنْ جِنسِكَ لِي أعْدَاءْ أخافُهُمْ ولسْتُمُ سَوَاءْ

قالَ الْغُرابُ قوْلَ ذِي تحْقِيقِ ليْسَ أخِي أقْرَبَ مِنْ صَدِيقِي

علامَةُ الْإِخْلاصِ والْوَفاءْ فِي مذْهبِي وآلَةُ الصَّفاءْ

كوْنِي عدُوًّا لِعَدُوِّ صاحِبِي أرْمِيهِ بِالْمَصائِبِ الصَّوائِبِ

أقْطَعُ مِنْ أجْلِكَ أهْلِي والْوَلَدْ إنْ لمْ يكُونُوا كلُّهُمْ كما تَوَدّْ

فزارِعُ الرَّيْحانِ فِي بُسْتانِهِ يقْلَعُ ما يخْشَى علَى رَيْحانِهِ

ثُمَّ أتاهُ زِيرَكٌ فاعْتنَقا وامْتزَجا مَوَدَّةً واتّفَقا

حتّى إذا ما مرّتِ الأيّامُ قالَ الْغُرابُ ضلّتِ الأحْلامُ

جُحْرُكَ ذا دانٍ مِنَ الطَّرِيقِ وليْسَ ذا بِالْمَوْضِعِ الْوَثِيقِ

أخافُ أنْ تقْصِدَ فِيهِ بِأذى وأيُّ ما عيْشٍ صفا مِنَ الْقَذَى

وقَدْ عَرَفْتُ مأْمنًا لِلْخائِفِ وفِيهِ لِي خِلٌّ مِنَ السَّلاحِفِ

وفِيهِ لِي قُوتٌ وعيْشٌ رَغَدُ قالَ لهُ زِيرَكُ ذاكَ أقْصِدُ

فإنّنِي قالٍ لِذا الْمَكانِ وأهْلِهِ والدّارِ بِالْجِيرانِ

قالَ لهُ وما اجْتوَيْتَ مِنْهُ حتّى أردْتَ أنْ تزُولَ عنْهُ

---

(١) كان الأصل : ولم أقف منك بعيداً . كلاّ

قَالَ لَهُ لِي قِصَّةٌ تَطُولُ — وَسَوْفَ إِنْ أَمْكَنَنِي أَقُولُ

فَٱشْتَالَهُ ٱلْغُرَابُ فِي مِنْقَارِهْ — كَذَاكَ مَنْ فَرَّ مِنَ ٱلْمَكَارِهْ

حَتَّى اذَا مَا حَطَّهُ وَوَقَفَا — نَادَى فَلَبَّاهُ أَخُوهُ ٱلسُّلَحْفَا

وَجَاءَهُ مُبَادِرًا فَٱسْتَخْبَرَهْ — مَا عَاقَهُ عَنْهُ فَقَصَّ خَبَرَهْ

وَمَا رَأَى مِنْ قِصَّةِ ٱلْحَمَامِ — إِذْ نَشَبُوا فِي مِخْلَبِ ٱلْحِمَامِ

فَأَفْلَتُوا مِنْهُ وَأَنَّ ٱلْجُرَذَا — كَانَ لَهُمْ مِمَّا عَرَاهُمْ مُنْقِذَا

وَأَنَّهُ لَمَّا رَآهُ وَافِيَا — إِخْتَارَهُ مُصَاحِبًا مُصَافِيَا

فَرَحَّبَتْ بِهِ وَقَالَتْ حَبَّذَا — أَنْتَ رَعَاكَ ٱللّٰهُ رَبِّي جُرَذَا

وَسَأَلَتْهُ مَا ٱلَّذِي أَتَى بِهِ — قَالَ قَضَاءُ ٱللّٰهِ مِنْ أَسْبَابِهِ

وَإِنَّنِي كُنْتُ بِبَيْتِ نَاسِكِ — مُنْبَسِطًا فِيهِ كَشَارٍ فَاتِكِ

أُفْسِدُ كُلَّ قُوتِهِ بِجُهْدِي — كَأَنَّمَا أَطْلُبُهُ بِحِقْدِ

لَوْ عَلَّقَ ٱلسُّفْرَةَ بِٱلسِّمَاكِ — لَجِئْتُهَا أَوْ سَابِعِ ٱلْأَفْلَاكِ

آكُلُ مَا يَذْخَرُهُ وَأَبْذُلُهْ — لِفَارِ تِلْكَ ٱلدَّارِ فَهْيَ تَأْكُلُهْ

فَٱجْتَمَعَ ٱلْفَارُ بِتِلْكَ ٱلدَّارِ — وَإِنَّمَا ٱلْأَوْطَانُ بِٱلْأَوْطَارِ

ثُمَّ أَتَاهُ نَاسِكٌ فَزَارَهْ — وَقَصَّ كُلٌّ مِنْهُمَا أَخْبَارَهْ

وَٱلشَّيْخُ كُلَّ سَاعَةٍ يُصَفِّقُ — قَالَ لَهُ ٱلزَّائِرُ أَنْتَ أَحْمَقُ

حَقَرْتَ قَوْلِي أَوْ هَزِئْتَ مِنِّي — فَقَالَ لَا مَا كَانَ هَذَا ظَنِّي

ثُمَّ حَكَى لِضَيْفِهِ حِكَايَتِي — وَعِظَمَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ نِكَايَتِي

قَالَ لَهُ يَصْنَعُ هَذَا ٱلصُّنْعَا — فَرْدًا أَمِ ٱلْفَارُ ٱجْتَمَعْنَ جَمْعَا

قَالَ لَهُ بَلْ وَاحِدٌ وَإِنَّهُ — أَوْفَى ٱلْجَمِيعِ شِدَّةً وَمُنَّهْ

قَالَ لَهُ قُوَّتُهُ لِأَمْرِ — أَذْكَرْتَنِي وَلَمْ أَكُنْ ذَا ذُكْرِ

مَقَالُهُمْ فِي مَنْ يَبِيعُ سِمْسِمَا — مُقَشَّرًا بِذِي قُشُورٍ إِنَّمَا

يَفْعَلُ ذَا لِعِلَّةٍ مَكْنُونَهْ — لِأَنَّهَا لَمْ تَكُ بِٱلْمَجْنُونَهْ

قَالَ لَهُ مَنْ هَذِهِ وَأَمْرُهَا — قَالَ لَهُ لَقَدْ عَنَانِي ذِكْرُهَا

نَزَلْتُ ضَيْفًا لَيْلَةً عَلَى فَتَى — كَانَ خَصِيبًا رَحْلُهُ إِذَا شَتَا

فَقَالَ عِنْدَ صُبْحِهِ لِعِرْسِهِ — عِنْدَ ٱنْبِسَاطِ نَفْسِهِ لِأُنْسِهِ

أُرِيدُ أَنْ أُضِيفَ أَقْوَامًا غَدَا — قَالَتْ وَمَا عِنْدَكَ حَتَّى تَحْشِدَا

قَالَ لَهَا لَا تَدَّخِرِي طَعَامِي — فَالِادِّخَارُ عَادَةُ ٱللِّئَامِ

فَتُصْبِحِي فِي ذَاكَ مِثْلَ ٱلذِّيبِ — مَعْ كَثْرَةِ ٱلْمَلَامِ وَٱلتَّأْنِيبِ

حَدَّثَنِي ٱلرُّوَاةُ أَنَّ صَائِدَا — رَمَى غَزَالًا ثُمَّ رَاحَ عَائِدَا

فَٱعْتَنَّ فِي طَرِيقِهِ خِنْزِيرُ — هَوْلٌ عَظِيمٌ خَلْقُهُ كَبِيرُ

فَقَرْطَسَ ٱلرَّامِي بِسَهْمٍ صَفَنَهْ — فَحَمَلَ ٱلْخِنْزِيرُ حَتَّى طَعَنَهْ

بِنابِهِ وَوَقَعَا كِلاَهُمَا ... وَإِنَّ ذِئْباً عَابِرًا رَآهُمَا
وَالظَّبْيُ بِالْقَاعِ فَطَارَ فَرَحَا ... وَجَرَّ أَذْيَالَ السُّرُورِ مَرَحَا
وَقَالَ إِنَّ الرَّأْيَ أَكْلُ الْوَتَرِ ... ثُمَّ ادِّخَارُ اللَّحْمِ قَوْلَ الْمُدَبِّرِ
ثُمَّ دَنَا مِنْهُ فَعِنْدَهَا رَجَعْ ... مِنْ سِيَةِ الْقَوْسِ عَلَيْهِ فَوَقَعْ
فَالِادِّخَارُ فَاعْلَمِيهِ لُؤْمُ ... وَفِيهِ عَارٌ ظَاهِرٌ وَشُؤْمُ
قَالَتْ لَهُ إِنَّ لَنَا أَرُزَّا ... وَسِمْسِماً بِقِشْرِهِ وَعَنَزَا
فَقَشَرَتْهُ بُكْرَةً وَبَسَطَتْ ... فِي الشَّمْسِ كَيْ تُجِفَّهُ فَغَلِطَتْ
وَإِنَّ كَلْباً دَاسَهُ وَذَاقَهُ ... فَضَجِرَتْ وَآثَرَتْ إِنْفَاقَهُ
فَأَبْدَلَتْهُ بِصَحِيحٍ مَا قُشِرْ ... فَقَالَ شَيْخٌ وَاللَّبِيبُ يَعْتَبِرْ
مَا صَنَعَتْ إِلَّا لِأَمْرٍ ذَلِكَا ... فَأَعْجَبَ الْقَوْلُ أَخَاهُ النَّاسِكَا
لَكِنْ لِأَمْرٍ أَفْرَطَتْ قُوَّتُهُ ... وَعَظُمَتْ دُونَهُمُ نَخْوَتُهُ
وَحَفَرَا جُحْرِي وَكَانَ فِيهِ ... أَلْفٌ مِنَ الْعَيْنِ بِلَا تَمْوِيهِ
فَأَخَذَاهَا كُلَّهَا وَاقْتَسَمَا ... وَعُدْتُ مَحْزُونَ الْفُؤَادِ مُغْرَمَا
وَقَالَ لَا يَرْجِعُ قَطُّ يَطْفِرُ ... وَكَيْفَ يَسْطِيعُ الْفَقِيرُ الْمُعْسِرُ
إِنَّ الدَّنَانِيرَ تَشُدُّ الْأَزْرَا ... وَالْفَقْرُ كَالسَّيْفِ يَقُدُّ الظَّهْرَا
فَكَانَ مَا قَالَ صَحِيحاً صَادِقَا ... وَلَمْ أَعُدْ بَعْدُ لِذَاكَ لَاحِقَا

كَمْ وَثْبَةٍ وَثَبْتُهَا فَلَمْ أَصِلْ ... حَتَّى كَأَنَّ حَبْلَ ظَهْرِي قَدْ فُصِلْ
فَأَعْرَضَ ٱلْإِخْوَانُ عَنْ وِدَادِي ... وَرَجَعَ ٱلصَّدِيقُ كَٱلْمُعَادِي
لَمَّا رَأَوا عَجْزِيَ قَالُوا جَمْعًا ... لَمْ تَتْرُكِ ٱلْأَيَّامُ فِيهِ نَفْعًا
وَٱنْقَلَبُوا عَنِّي إِلَى أَضْدَادِي ... لِلُؤْمِهِمْ وَأَنْكَرُوا وِدَادِي
وَأَظْهَرُوا عَيْبِي وَلَيْسَ عَيْبِي ... عِنْدَهُمُ إِلَّا فَرَاغُ ٱلْجَيْبِ
فَقُلْتُ مَا ٱلْإِخْوَانُ وَٱلْأَعْوَانُ ... إِلَّا لِمَنْ كَانَ لَهُ إِمْكَانُ
مَا لِلْفَقِيرِ صَاحِبٌ وَلَا أَخُ ... بَيْنَ ٱلْفَقِيرِ وَٱلْمَعَالِي بَرْزَخُ
كَأَنَّهُ مَآءُ غَدِيرٍ وَاقِفُ ... يَعُودُ بَعْدَ ٱلْجَرْيِ وَهْوَ نَاشِفُ
وَإِنَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِخْوَانُ ... لَيْسَ لَهُ اهْلٌ وَلَا وِلْدَانُ
أَجْلٌ وَلَا ذِكْرٌ وَلَا عَقْلٌ وَلَا ... دُنْيَا وَلَا أُخْرَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى
وَرُبَّمَا ٱضْطُرَّ إِلَى ٱلتَّغْرِيرِ ... بِنَفْسِهِ فِي ٱلْخَطَرِ ٱلْخَطِيرِ
لَدَوْحَةٌ ذَاوِيَةٌ مُحْتَرِقَهْ ... أَصْلَحُ مِمَّنْ يَبْتَغِي لِلصَّدَقَهْ
مَا لِلْفَقِيرِ مَنْ يُحَامِي دُونَهُ ... إِنِّي رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ يَمْقُتُونَهُ
وَإِنَّهُ عَارٍ مِنَ ٱلْحَيَاءِ ... كَاسٍ مِنَ ٱلنِّفَاقِ وَٱلرِّيَاءِ
وَفَقْرُهُ مُؤَثِّرٌ فِي عَقْلِهِ ... وَعِلْمِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ
وَإِنَّ مَنْ بَزَّ ٱلزَّمَانُ مَالَهُ ... كَانَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ لَا لَهُ

يَعُودُ فِي إِخْوَانِهِ مُتَّهَمَا ... يُهِينُهُ مَنْ كَانَ قَبْلُ مُكْرِمَا
فَكُلَّمَا يُطْرَى بِهِ ٱلْغَنِيُّ ... يُلْحَى عَلَيْهِ ٱلْمُقْتِرُ ٱلشَّقِيُّ
إِنْ كَانَ شَهْمًا قِيلَ غِرٌّ أَهْوَجُ ... وَحَالُهُ جَمِيعُهُ مُعَوَّجُ
أَوْ كَانَ ذَا جُودٍ وَذَا سَمَاحِ ... قِيلَ سَفِيهٌ لَيْسَ ذَا صَلَاحِ
وَحِلْمُهُ عَجْزٌ كَمَا وَقَارُهُ ... بَلَادَةٌ يَعْظُمُ مِنْهَا عَارُهُ
لَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا مَعَ ٱلْإِضَاقَةْ ... أَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ شَدِيدِ ٱلْفَاقَةْ
إِنَّ ٱلرَّدَى مَسْأَلَةُ ٱلْحُطَامِ ... لَا سِيَّمَا مَسْأَلَةُ ٱللِّئَامِ
دَسُّ يَدِي فِي فَمِ أَفْعَى أَسْهَلُ ... مِنْ بَسْطِهَا إِلَى ٱمْرِئٍ لَا يَبْذُلُ
وَمِنْ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ ٱلْأُوَلِ ... مَنْ غَابَ عَنْ مَوْطِنِهِ إِذَا ٱبْتُلِي
بِعِلَّةٍ فِي ٱلْجِسْمِ لَا تُفَارِقُهْ ... أَوْ صَاحِبٍ أَهْوَجَ لَا يُوَافِقُهْ
أَوْ فَاقَةٍ يَبْذُلُ فِيهَا وَجْهَهُ ... إِلَى بَخِيلٍ لَا يَعِيبُ جَبْهَهُ
فَمَوْتُهُ رَاحَتُهُ وَمَالَهْ ... خَيْرٌ مِنَ ٱلْوَفَاةِ لَا مَحَالَهْ
وَجِئْتُ لَيْلًا أَسْرِقُ ٱلدَّنَانِيرْ ... فَٱسْتَيْقَظُوا وَهَرَّتِ ٱلسَّنَانِيرْ
وَعُدْتُ وَٱلضَّيْفُ لِأَجْلِي لَمْ يَنَمْ ... فَشَجَّنِي بِصَلْبَةٍ مِنَ ٱلسَّلَمْ
فَعُدْتُ كَٱلْمَيِّتِ لَا أُطِيقُ ... سَعْيًا وَفِي جَوَانِحِي حَرِيقُ
«وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ ٱلْأَوْجَاعِ مَا ... جَعَلَنِي أَسْتَكْرِهُ ٱلدَّرَاهِمَا»

ثُمَّ رَأَيْتُ كُلَّ حَالٍ مُنْكَرَهْ — تَلْقَى الرِّجَالَ أَصْلُهَا سُوءُ الشَّرَهْ

وَطَالِبُ الدُّنْيَا شَقِيٌّ أَبَدَا — فِي تَعَبٍ فَلَا يَزَالُ مُكْمَدَا

وَلَا يَزَالُ لِلْمَنَايَا غَرَضَا — وَبِالْأَمَانِي النَّازِحَاتِ عَرَضَا

مُنْقَلِبَ الْقَلْبِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا — وَلَيْسَ شَيْءٌ كَالرِّضَى عَنِ الْقَضَا

مِنْ قَوْلِهِمْ لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ — وَالْوَرَعُ الْكَفُّ عَنِ الْمَحْذُورِ

لَا حَسَنٌ لِلْمَرْءِ كَالْخُلْقِ الْحَسَنْ — وَلَا غِنَى مِثْلُ الرِّضَى عَنِ الزَّمَنْ

أَحَقُّ مَا لَاقَى اللَّبِيبُ حَدَّهُ — بِالصَّبْرِ أَمْرٌ لَا يُطِيقُ رَدَّهُ

وَأَفْضَلُ الْبِرِّ يُقَالُ الرَّحْمَهْ — إِنَّ مِنَى الطُّرَّارِ ضِيقُ الزَّحْمَهْ

وَإِنَّ أَصْلَ الْوُدِّ فِي الْإِسْتِرْسَالْ — وَإِنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ عِلْمٌ بِالْحَالْ

«وَيُحْمَدُ الْخَرَسُ فِي الْإِنْسَانِ — وَلَا يُحَبُّ كَاذِبُ اللِّسَانِ»

«وَالْفَقْرُ وَالضَّرَّاءُ خَيْرٌ مِنْ ثَرَا — يُكْسَبُ مِنْ فَضْلِ عَطِيَّاتِ الْوَرَى»

فَعِنْدَهَا رَضِيتُ وَانْتَقَلْتُ — مِنْ مَنْزِلِ النَّاسِكِ وَارْتَحَلْتُ

«وَكَانَ لِي أَخٌ مِنَ الْحَمَامِ — تَخِذْتُهُ خِلًّا مِنَ الْفِطَامِ»

«كَسَبْتُ وَالْإِنْسَانُ ذُو اكْتِسَابِ — بِوُدِّهِ صَدَاقَةَ الْغُرَابِ»

وَقَدْ حَكَى الْغُرَابُ عَنْكَ فَضْلَا — وَسِيرَةً عَادِلَةً وَعَقْلَا

ثُمَّ أَتَاكَ زَائِرًا فَقُلْتُ — لَا خَيْرَ فِي الْوَحْدَةِ وَانْتَقَلْتُ

فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ سُرُوْرِ ٱلْعَاجِلَهْ ... كَصُحْبَةِ ٱلْإِخْوَانِ وَٱلْمُوَاصَاهْ

وَكُلُّ غَمٍّ دُوْنَ غَمِّ فَقْدِهِمْ ... لَسْتُ بِرَاضٍ بَدَلًا بِوِدِّهِمْ

مَنْ لَمْ يَكُنْ يَقْنَعُ بِٱلْكَفَافِ ... مِنْ عَيْشِهِ فَلَيْسَ ذَا إِنْصَافِ

لَوْ مَلَكَ ٱلدُّنْيَا ٱمْرُؤٌ لَمْ يَنْتَفِعْ ... إِلَّا بِقَدْرِ ٱلْقُوْتِ فَٱرْضَ وَٱقْتَنِعْ

وَإِنَّنِي جِئْتُ بِوِدٍّ صَافِ ... فَكُنْ بِحُسْنِ ٱلْوِدِّ ذَا إِسْعَافِ

قَالَ لَهُ سَمِعْتُ ذَاكَ فَٱسْمَعِ ... أَرَاكَ مِثْلَ ٱلْوَالِهِ ٱلْمُفَجَّعِ

تَذْكُرُ مَنْ فَارَقْتَ مِنْ إِخْوَانِكَا ... وَمَا رَحَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَوْطَانِكَا

حُسْنُ ٱلْكَلَامِ زَيْنُهُ حُسْنُ ٱلْعَمَلْ ... وَٱلْقَوْلُ إِنْ لَمْ يَتْلُهُ ٱلْفِعْلُ خَطَلْ

عِلْمُ ٱلْمَرِيْضِ بِدَوَاءِ دَائِهِ ... لَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْهُ فِي ٱبْتِلَائِهِ

لَا تَأْسَفَنْ لِلْفَقْرِ إِنَّ ٱلْعَالِمَا ... يُرْعَى وَإِنْ كَانَ قَصِيْرًا عَادِمَا

كَمَا يُهَابُ ٱلْأَسَدُ ٱلْمَحْصُوْرُ ... وَإِنَّهُ فِي غِيْلِهِ مَحْصُوْرُ

وَإِنَّ قَدْرَ ٱلْمُوْسِرِ ٱلْجَهُوْلِ ... كَٱلْكَلْبِ فِي ٱلْأَطْوَاقِ وَٱلْحُجُوْلِ

وَلَا تَقُلْ إِنِّي غَرِيْبُ ٱلدَّارِ ... فَإِنَّمَا ٱلدِّيَارُ بِٱلْجِوَارِ

«وَٱلرَّجُلُ ٱلْعَاقِلُ لَا غُرْبَةَ لَهْ ... بِعَقْلِهِ يَقْطَعُ كُلَّ مُشْكِلَهْ»

«كَالَّيْثِ حَيْثُ كَانَ فَالْبَأْسُ مَعَهْ ... فَلَيْسَ لِلْكِلَابِ أَنْ تُرَوِّعَهْ»[1]

فَعُدْ عَلَى نَفْسِكَ بِالتَّفَقُّدِ ... وَخَلِّ عَنْكَ حَيْرَةَ التَّلَدُّدِ

فَالْفَضْلُ لِلْحَازِمِ لَا لِلْكَسْلَانْ ... أَلْوَكْلُ أَلْوَغْدُ الْقَلِيلُ الْإِحْسَانْ

وَلَا تَقُلْ قَدْ كُنْتُ أَمْسِ ذَا مَالْ ... فَهٰكَذَا الدُّنْيَا تُحِيلُ الْأَحْوَالْ

وَالْمَالُ فِي تَمْثِيلِهِ مِثْلُ الْكُرَهْ ... وَكَرُّهَا مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَهْ

وَخَمْسَةٌ لَيْسَ لَهَا دَوَامُ ... عِشْقُ النِّسَا وَالْمَالُ وَالْغَمَامُ

وَخُلَّةُ الْأَشْرَارِ وَالثَّنَاءُ ... إِنْ كَانَ فِيهِ الْكِذْبُ وَالرِّيَاءُ

لَا يَفْرَحُ الْعَاقِلُ بِالْأَمْوَالِ ... فَإِنَّهَا لِحَادِثِ اللَّيَالِي

وَإِنَّمَا مَالُ اللَّبِيبِ عَقْلُهُ ... وَزُهْدُهُ وَعِلْمُهُ وَفَضْلُهُ

لَا يُمْنَعُ الْمَرْءُ ثَوَابَ مَا عَمِلْ ... وَلَيْسَ مِمَّا لَيْسَ يَأْتِي بِوَجَلْ

فَهْوَ حَقِيقٌ بِادِّخَارِ الزَّادِ ... مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ لِلْمَعَادِ

فَالْمَوْتُ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا بَغْتَهْ ... خَافِ فَمَا تَعْلَمُ نَفْسٌ وَقْتَهْ

لَسْتَ إِلَى مَوْعِظَتِي فَقِيرَا ... فَلَمْ تَزَلْ مُجَرِّبًا بَصِيرَا

أَعْلَمَ مِنِّي بِصُرُوفِ الْأَزْمَانْ ... لٰكِنْ رَأْسُ الدِّينِ نُصْحُ الْإِخْوَانْ

---

(١) كان الاصل :

والرجل العاقل ليس يغترب ... إلاَّ لما ينفقه ويضطرب

كالليث حيث كان من مكان ... مستظهر بقوة الجنان

فَفَرِحَ ٱلْغُرَابُ لَمَّا سَمِعَا مَقَالَهُ وَقَالَ حِينَ أَوْدَعَا

أَوْلَى ٱلرِّجَالِ بِٱلسُّرُوْرِ وَٱلْفَرَحْ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِمُطَّرَحْ

وَٱجْتَمَعَ ٱلْإِخْوَانُ فِي جَنَابِهِ وَٱعْتَكَفُوا جَمِيعُهُمْ بِبَابِهِ

فَقَامَ بِٱلْوَاجِبِ مِنْ حُقُوْقِهِمْ مُلْتَزِمًا لِلْبِرِّ فِي طُرُوْقِهِمْ

إِنَّ ٱلْكَرِيمَ يَسْتَقِيلُ إِنْ عَثَرْ بِكَرَمِ ٱلطَّبْعِ وَعُقْبَى ٱلشَّرِّ شَرْ

« وَإِنَّمَا يُقِيلُهُ مِنْ عَثْرَتِهْ ذُوْ كَرَمٍ نَظِيرُهُ وَسَقْطَتِهْ»

فَٱلْفِيلُ لَا يُخْرِجُهُ إِذَا وَحِلْ مِنْ ذَالِكَ إِلَّا مِثْلُهُ كَمَا نُقِلْ

إِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَا يَرَى مَا صَنَعَهْ مِنْ صَالِحٍ شَيْئًا وَيُخْفِي مَوْقِعَهْ

مُحْتَقِرًا صَنِيعَهُ ٱلْجَلِيلَا وَمُسْتَفِزًّا بِرَّهُ ٱلْجَزِيلَا

وَأَغْبَطُ ٱلنَّاسِ ٱلْكَثِيرُ ٱلسَّائِلُ وَأَشْرَفُ ٱلنَّاسِ ٱلْعَزِيزُ ٱلنَّائِلُ

غَيْرُ غَنِيٍّ مَعْ ثَرَآءِ مَالِهِ مَنْ لَمْ يُشَارِكْ فِي جَمِيعِ حَالِهِ

لَيْسَ بِغُرْمٍ مَا أَفَادَ غُنْمَا وَلَا بِغُنْمٍ مَا يَجُرُّ غُرْمَا

فَبَيْنَمَا ٱلْغُرَابُ فِي مَقَالِهِ إِذْ جَاءَهُمْ ظَبْيٌ شَبِيهُ ٱلْوَالِهِ

فَفَزِعُوا مِنْهُ وَظَنُّوا خَلْفَهْ شَيْئًا يَكُوْنُ حَتْفَهُمْ وَحَتْفَهْ

فَمَرَّ كُلٌّ مِنْهُمُ حَتَّى ٱنْزَوَى وَعَادَ فِي مَكَانِهِ خَوْفَ ٱلنَّوَى

فَعَبَّ فِي ٱلْمَآءِ وَكَانَ صَادِيَا وَٱرْتَفَعَ ٱلْغُرَابُ قَدْرًا عَالِيَا

يَنظُرُ هل خلفَ ٱلغزالِ طالبُ فلما رأى وٱلظنُّ حيناً كاذبُ
فٱجتمعوا لشأنهم وعادوا وراجعوا ٱلقولَ ٱلذي أرادوا
ورحَّبَ ٱلجميعُ بٱلغزالِ وسألوهُ ألطفَ ٱلسؤالِ
« قالوا لهُ من أينَ أقبلتَ وما بالُكَ أضحيتَ نفوراً هائما »
« قالَ محلِّي هذهِ ٱلصحارى بخصبها في ٱلقوتِ لا تُبارى »
« نظرتُ أمسِ في ٱلفلا إسوارا في طلبي مجتهداً قد سارا »
« كأنَّهُ يبغي بقتلي ثارا فجئتُ في جريي لا أُجارى »
« إليكمُ قالوا لهُ كُنْ آمنا فليسَ يأتي قانصٌ إلى هنا »
وبذلوا لهُ ٱلودادَ ٱلصافيا فكانَ بٱلشكرِ لهم مكافيا
ولم يزلْ بينهمُ مسرورا مُكرَّماً معظَّماً محبورا
وكُنَّ يجتمعنَ عندَ ٱلسلحفا على عريشٍ عملتهُ سعفا
وٱحتبسَ ٱلغزالُ ذاتَ يومِ ففارقَ ٱلكلُّ لذيذَ ٱلنومِ
وطارَ كي ينظرَهُ ٱلغرابُ ثمَّ أسفَّ ولهُ ٱنصبابُ
فقالَ قد علقَ في حبالهْ وإنَّهُ لا بدَّ أن نسعى لهْ
فمرَّ يسعى ٱلجرذُ ٱلشفيقُ وللخطوبِ يُذخرُ ٱلصديقُ
قالَ لهُ كيفَ وقعتَ فيها ولم تزلْ مذ كنتَ تتقيها

وَأَنْتَ ذُوْ كَيْسٍ وَذُوْ دَهَاءْ ... قَالَ وَهَلْ كَيْسٌ مَعَ ٱلْقَضَاءْ

ثُمَّ أَتَاهُ ٱلسُّلْحَفَا مُبَادِرَا ... قَالَا لَهُ قَدْ جِئْتَنَا مُخَاطِرَا

إِنْ جَاءَنَا ٱلصَّيَّادُ لَمْ يَلْحَقْنَا ... وَأَنْتَ لَا تَعْدُو إِذَا طُرِقْنَا

قَالَ لَهُمْ لَا عَيْشَ لِلْمُفَارِقِ ... أَحْبَابَهُ ٱلْأَدْنَيْنَ قَوْلَ صَادِقِ

وَإِنَّ فِي تَعَاوُنِ ٱلْإِخْوَانِ ... رَوْحًا مِنَ ٱلْهُمُومِ وَٱلْأَحْزَانِ

فَأَقْبَلَ ٱلْقَانِصُ بَعْدَ قَطْعِهِ ... حِبَالَةَ ٱلظَّبْيِ وَبَعْدَ نَزْعِهِ

وَقَدْ مَضَى ٱلظَّبْيُ وَقَدْ مَرَّ ٱلْجُرَذْ ... وَٱلسُّلْحَفَاءُ لِلشَّقَاءِ مَا نَفَذْ

فَشَدَّهُ فِي حَبْلِهِ وَأَوْثَقَا ... فَحَزِنُوا وَسَاءَهُمْ[1] مَا ٱتَّفَقَا

ثُمَّتَ قَالَ ٱلْجُرَذُ ٱلْحَزِينُ ... وَصِدْقُهُ فِي قَوْلِهِ مُبِينُ[2]

حَتَّى مَتَى إِذَا قَطَعْنَا عَقَبَهْ ... صِرْنَا إِلَى أُخْرَى كَؤُودٍ مُتْعِبَهْ

كَذَلِكَ ٱلْمَرْءُ إِذَا مَا عَثَرَا ... لَاقَى مِنَ ٱلْعِثَارِ أَمْرًا مُنْكَرَا

وَلَمْ يَكُنْ جَدِّي ٱلَّذِي أَنَا نِي ... فَزُلْتُ عَنْ مَالِي وَعَنْ أَوْطَانِي

بِتَارِكِي مُسْتَمْتِعًا بِصَاحِبِ ... حَتَّامَ قَلْبِي هَدَفُ ٱلنَّوَائِبِ

---

(١) كان وشقهم عوض وساءهم وليس في القاموس شقّه بمعنى شقّ عليه

(٢) وفي الاصل: وقوله في صدقه مبين

حَتَّى ٱبْتَلاَنِي بِفِرَاقِ ٱلسُّلْحَفَا ... وَإِنَّهُ أَكْرَمُ إِخْوَانِ ٱلصَّفَا
وَيْحٌ لِهَذَا ٱلْجَسَدِ ٱلْمُرَكَّبِ ... أَلنَّاقِصِ ٱلْمُمْتَحَنِ ٱلْمُعَذَّبِ
بِهِ ٱلرَّزَايَا أَبَدًا مُوَكَّلَهْ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ حَالُهُ مُنْتَقِلَهْ
وَهَكَذَا فِي ٱلْفَلَكِ ٱلنُّجُومُ ... أَحْوَالُهَا فِي ٱلْعَيْنِ لاَ تَدُومُ
وَإِنَّ هَذَا ٱلْحَادِثَ ٱلْعَظِيمَا ... هَيَّجَ لِي ٱلْأَحْزَانَ وَٱلْهُمُومَا
أَذْكَرَنِي مِنْ مِحْنَتِي مَا سَلَفَا ... فَصَارَ كَٱلْجُرْحِ إِذَا مَا قُرِفَا
جُرْحٌ عَلَى جُرْحٍ شَدِيدٌ مُؤْلِمُ ... حَقَرْتُ مَا كُنْتُ لَهُ أَسْتَعْظِمُ
قَالُوا لَهُ لاَ نَفْعَ فِي ٱلْمَقَالِ ... وَإِنَّمَا ٱلنَّفْعُ فِي ٱلْاِحْتِيَالِ
فَإِنَّمَا يُخْتَبَرُ ٱلشُّجَاعُ ... بَأْسًا إِذَا مَا حَمِيَ ٱلْمِصَاعُ
وَهَكَذَا ٱلْأَمِينُ عِنْدَ ٱلْمَالِ ... يُعْرَفُ وَٱلْإِخْوَانُ فِي ٱلْأَهْوَالِ
«وَيُعْرَفُ ٱلنَّاسُ لَدَى ٱلْبَلَاءِ ... وَٱلْأَهْلُ وَٱلْوُلْدُ لَدَى ٱلْبَأْسَاءِ»
فَقَالَ لِلْغَزَالِ قَعْ قَرِيبَا ... حَتَّى تَغُرَّ ٱلْقَانِصَ ٱللَّبِيبَا
«وَيَقَعُ ٱلْغُرَابُ فَوْقَ ظَهْرِكَا ... كَأَنَّهُ يَأْكُلُ لَحْمَ جُرْحِكَا»
عَسَاهُ يَغْدُو طَالِبًا وَيَرْفِضُ ... أَلسُّلْحَفَا أَقْصِدُهُ وَأَقْرِضُ
حِبَالَهُ عَنْهُ وَأَنْتَ تَخْدَعُهْ ... فَإِنَّ ذَا أَنْفَعُ شَيْءٍ نَصْنَعُهْ
فَكَانَ مَا قَالَ وَعَادَ ٱلصَّائِدُ ... فَرَابَهُ وَقَالَ جِنٌّ مَارِدُ

وَمَرَّ قَدْ أَدْهَشَهُ وَهَالَهْ . وَقَالَ فِعْلُ ٱلْجِنِّ لَا مَحَالَهْ
وَعُدْنَ فِي خَفْضٍ وَفِي أَمَانِ فَهٰكَذَا تَوَاصُلُ ٱلْإِخْوَانِ

بَابُ

ٱلْبُوْمِ وَٱلْغِرْبَانِ

وَهُوَ بَابُ

ٱلْمُغْتَرِّ بِٱلْعَدُوِّ وَتَضَرُّعِهِ وَتَمَلُّقِهِ لِلْمَكْرِ وَمَا يُصِيبُهُ مِنِ ٱغْتِرَارِهِ

قَالَ لَهُ صِفْ لِي ٱلْعَدُوَّ ٱلضَّارِعَا إِذَا أَتَى مُمَاكِرًا مُخَادِعَا
« هَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَثِقَ ٱلْمَرْءُ بِهِ وَلَيْسَ يَدْرِي مَا طَوَى فِي قَلْبِهِ »
« وَهَلْ يَصِيرُ ٱلْكَاشِحُ ٱللَّدُودُ يَوْمًا وَدُودًا وِدُّهُ أَكِيدُ »
« وَمَا ٱلْعَدَاوَةُ وَمَا أَضْرَارُهَا وَكَيْفَ تُطْفَا إِنْ عَلَا شِرَارُهَا »
« وَمَا عَلَى ٱلْمَلِيكِ أَنْ يَصْنَعَ إِنْ رَامَ ٱلْعَدُوُّ صُلْحَهُ قُلْ يَا فَطِنْ »
قَالَ لَهُ مَنْ غَرَّهُ ذَاكَ وَقَعْ كَٱلْبُوْمِ فِي كَيْدِ ٱلْغُرَابِ إِذْ خَدَعْ

قَالَ وَكَيْفَ كَانَ حَالُ ٱلْبُوْمِ   قَالَ رَوَى ٱلْخَبِيْرُ بِٱلْعُلُوْمِ

كَانَتْ عَلَى بَعْضِ ٱلْجِبَالِ شَجَرَهْ   عَظِيْمَةٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ مُنْكَرَهْ

فِي رَأْسِهَا أَلْفُ غُرَابٍ وَلَهُمْ   مُقَدَّمٌ يَحْمِلُ عَنْهُمْ كَلَّهُمْ

كَمَلِكٍ وَكَانَ فِي ذَاكَ ٱلْجَبَلْ   أَلْفٌ مِنَ ٱلْبُوْمِ فَجَاؤُا فِي عَجَلْ

وَهَجَمُوا لَيْلًا عَلَى ٱلْغِرْبَانِ   فَأَثْخَنُوْهُمْ غَايَةَ ٱلْإِثْخَانِ

فَٱجْتَمَعُوا مِنْ بُكْرَةٍ عِنْدَ ٱلْمَلِكْ   فَقَالَ وَهُوَ قَلِقٌ وَمُرْتَبِكْ

لَقَدْ رَأَيْتُمْ قَبِيْحَ مَا جَرَى   عَلَيْكُمُ وَلَيْسَ ذَاكَ مُنْكَرَا

فَهَكَذَا ٱلْأَعْدَاءُ يَفْعَلُوْنَا   فَمَا تَرَوْنَ وَٱعْلَمُوا يَقِيْنَا

أَنَّهُمُ سَوْفَ يَعُوْدُوْنَ لَكُمْ   فَإِنْ أَطَاقُوا قَتَلُوْكُمْ كُلَّكُمْ

قُوْلُوا فَإِنَّ ٱلرَّأْيَ حَقًّا مُشْتَرِكْ   وَمَنْ عَصَى ٱلرَّأْيَ وَلَمْ يَحْتَلْ هَلَكْ

وَكَانَ فِيْهِمْ خَمْسَةٌ كِبَارُ   إِلَيْهِمِ ٱلْإِيْرَادُ وَٱلْإِصْدَارُ

فَقَالَ لِلْأَكْبَرِ مِنْهُمْ مَا تَرَى   فَقَالَ قَدْ قَالَ فَتًى وَمَا ٱفْتَرَى

أُهْرُبْ وَخَلِّ ٱلدَّارَ إِنْ لَمْ تُطِقِ   وَتَسْتَطِعْ دَفْعَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْحَنِقِ

فَقَالَ لِلْآخَرِ مَا تَقُوْلُ   «قَالَ ٱلْجَلَاءُ نَفْعُهُ جَزِيْلُ»

«فَقَالَ لَا أَرَى ٱلْجَلَاءَ مِنْكُمَا   رَأْيًا سَدِيْدًا مُظْهِرًا فَهْمَكُمَا»

«فَلَيْسَ بِٱلْحَسَنِ أَنْ نُخْلِيَ ٱلْوَطَنْ   لِخَصْمِنَا بِمِحْنَةٍ مِنَ ٱلْمِحَنْ»

لكننا من العدو نحترس   وإن أتانا لم نخم ولم نخس

وقال للثالث قل وحقق   فقال قول المستكين المشفق

الرأي أن نبذل ما يريدون   من الخراج ثم لا يحيدون

حينئذ نأمنهم ونمكث   في دارنا بعهدهم لا ننكث

فالأحسن الأجمل بالرجال   أن يفتدوا النفوس بالأموال

« قال له الرابع ليس حسنا   خضوعنا وذلنا لخصمنا »

« رحيلنا وكوننا في غربه   وصبرنا على شديد النكبه »

« وجودنا في الضر والبأساء   خير من الخضوع للأعداء »

« الموت خير من حياة ذل   في ظل خصم قاهر مذل »

لعله يعنتنا ويطلب   من الخراج بذل ما لا يقرب

« والبوم لا يرضون بالقليل   بل بكثير الثمن الجليل »

قال الحكيم قارب الأعداء   قربا يسل الحقد والبغضاء

فصلحك الأعداء والمقاربه   أجدى من القراع والمحاربه

أبذل له من المنى ما يقنع   ولا تبالغ مسرفا فيطمع

يلفيك إذ ذاك ذليلا واهنا   فيضعف المسعف والمعاونا

كالعود ان أملته قليلا   في الشمس زدت ظله الظليلا

وَإِنْ عَبَرْتَ الْقَصْدَ فِي الْإِمَالَهْ نَقَصْتَ قَدْرَ الظِّلِّ لَا مَحَالَهْ
فَإِنَّمَا لِكُلِّ شَيْءٍ حَدُّ وَالْجِدُّ لَا يَنْفَعُ فِيهِ الْجِدُّ
وَلَيْسَ يَرْضَى الْقَوْمُ بِالْمُقَارَبَهْ فَالرَّأْيُ أَنَّا نَصْدُقُ الْمُحَارَبَهْ
فَقَالَ لِلْخَامِسِ مَا تَسْتَصْوِبُ فَقَالَ قَالَ الْمُحْرَبُ الْمُجَرَّبُ
حَرْبُ الْفَتَى مَنْ لَا يُطِيقُ حَرْبَهُ حُزْنٌ يَضُرُّ جِسْمَهُ وَقَلْبَهُ
لَيْسَ مِنَ الْحَزْمِ وَلَا الرَّشَادِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَسْتَضْعِفَ الْأَعَادِي
لِأَنَّهُ يَغْتَرُّ عِنْدَ ذَاكَا بِهِ فَيَلْقَى الْحَيْنَ وَالْهَلَاكَا
وَإِنَّنِي لَهَائِبٌ لَا أَكْذِبُ قَلْبِي مِنْ خَوْفِهِمِ مُلْتَهِبُ
كَذَلِكَ الْحَازِمُ لَيْسَ يَأْمَنُ عَدُوَّهُ إِنَّ الْغَبِيَّ الْآمِنُ
لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مِنْهُ نَازِحَا أَعَادَ مِثْلَ فِعْلِهِ مُشَايِحَا
أَوْ كَانَ مِنْهُ دَانِيًا أَوْ حَاضِرَا وَاثَبَهُ مُبَادِرًا مُسَاوِرَا
وَإِنْ رَأَى فِي السِّلْمِ مِنْهُ غِرَّهْ بَادَرَهُ بِكَيْدِهِ فَغَرَّهْ
وَالْكَيِّسُ لَا يَطْلُبُ الْقِرَاعَا بَلْ يَدْفَعُ الْأَيَّامَ مَا اسْتَطَاعَا
« فَإِنَّ مَا دُونَ الْقِتَالِ يُنْفَقُ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَهْيَ تُرْزَقُ »
« وَإِنَّمَا نَفَقَةُ الْقِتَالِ مِنَ النُّفُوسِ لَا مِنَ الْأَمْوَالِ »
« وَرُبَّمَا اسْتُغْنِيَ عَنِ الصِّدَامِ بِخُطْبَةٍ لَيِّنَةِ الْكَلَامِ »

« فَلاَ يَكُونَنَّ قِتَالُ ٱلْبُومِ ... مِنْ رَأْيِكَ ٱلسَّدِيدِ يَاعَظِيمِي »

فَإِنَّ مَنْ وَاكَلَ فِيلاً هَائِلاَ ... فَلِلْبَلاَءِ وَٱلشَّقَاءِ وَاكَلاَ

وَلَيْسَ يَخْفَى فِي قِيَاسِ ٱلْحَازِمِ ... فِي ٱلْحَرْبِ قَدْرُ ضِدِّهِ ٱلْمُخَاصِمِ

بَلْ يَسْبُرُ ٱلْأُمُورَ أَمْرًا أَمْرَا ... فَيَفْعَلُ ٱلْأَوْلَى بِهِ وَٱلْأَحْرَى

وَإِنَّمَا يَظْفَرُ قَوْمٌ بِٱلظَّفَرْ ... بِٱلْحَزْمِ وَٱلْعَزْمِ وَتَكْرَارِ ٱلنَّظَرْ

وَأَنْ يَكُونَ سِرُّهُمْ مَكْتُومَا ... لاَ ظَاهِرًا لِضِدِّهِمْ مَعْلُومَا

وَٱلسِّرُّ يَبْدُو مِنْ شِعَابٍ خَمْسَهْ ... يَتَّهِمُ ٱلْعَاقِلُ فِيهَا نَفْسَهْ

مِنْ قِبَلِ ٱلنَّاظِرِ وَٱلْمُشَاوِرِ ... وَٱلْبُرْدِ وَٱلرُّسْلِ وَوَشْيِ ٱلْحَاضِرِ (١)

وَٱلسِّرُّ فِي كِتْمَانِهِ أَمْرَانِ ... كِلاَهُمَا يَلْقَاهُ ذُو ٱلْكِتْمَانِ

سَلاَمَةٌ مِنَ ٱلْعُيُونِ وَظَفَرْ ... وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تَكْتُمِ ٱلسِّرَّ ٱنْتَشَرْ

لاَ بُدَّ مِنْ مُشَاوِرٍ مَأْمُونِ ... لَيْسَ بِذِي غِشٍّ وَلاَ مَأْفُونِ

وَإِنْ يَكُنْ أَعْلَمَ بِٱلدُّهُورِ ... وَٱلْفِكْرِ فِي عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ

فَرَأْيُهُ زِيَادَةٌ فِي رَايِكَا ... لاَ سِيَّمَا إِذَا غَدَا مُشَارِكَا

فَٱلرَّأْيُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ ٱلْجُنْدِ ... وَٱلرَّأْيُ أَمْضَى مِنْ سُيُوفِ ٱلْهِنْدِ

---

(١) لم أرَ « بُرْد » جمعا لبريد وكأني بالناظم قد جمعه كذا تشبيهاً له برُسل جمع رسول

بِهِ تَزِيدُ قُوَّةُ ٱلْجَبَّارِ — زِيَادَةَ ٱلْبَحْرِ مِنَ ٱلْأَنْهَارِ

كَٱلدُّهْنِ إِذْ يُظْهِرُ فِي ٱلسِّرَاجِ — زِيَادَةً فِي نُورِهِ ٱلْوَهَّاجِ

عَلَيْكَ أَنْ تُوَافِقَ ٱلْمُشِيرَا — وَأَنْ تُطِيعَ ٱلنَّاصِحَ ٱلْوَزِيرَا

فَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ قَدْ غَلِطَا — بَصَّرْتَهُ بِٱلرِّفْقِ مَا قَدْ فَرَّطَا

وَإِنْ هُوَ ٱرْتَابَ بِأَمْرٍ نَازِلِ — فَقَلِّبِ ٱلرَّأْيَ فِعَالَ ٱلْعَاقِلِ

حَتَّى إِذَا تَوَافَقَ ٱلرَّأْيَانِ — وَٱعْتَدَلَا كَكِفَّتَيْ مِيزَانِ

وَزَالَتِ ٱلشُّبْهَةُ فَٱعْمَلْ حِينَئِذْ — وَخُذْ بِحَزْمٍ فَهْوَ خَيْرُ مَا أُخِذْ

إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ٱلْمُشِيرُ — فَإِنَّهُ لِخَصْمِهِ ظَهِيرُ

كَجَاهِدٍ فِي رُقْيَةِ ٱلشَّيْطَانِ — لَعَلَّهُ يُغْرِيهِ بِٱلْإِنْسَانِ

مَنْ لَيْسَ ذَا رَأْيٍ وَذَا وَزِيرِ — يَنْصَحُهُ بِحَسَنِ ٱلتَّدْبِيرِ

فَأَمْرُهُ لَا بُدَّ أَنْ يَضِيعَا — وَيَنْقَضِي سُلْطَانُهُ سَرِيعَا

وَإِنَّمَا ٱلْمُوَفَّقُ ٱلسَّعِيدُ — مَنْ يَكْتُمُ ٱلْأَسْرَارَ إِذْ يَكِيدُ

وَيَصْطَفِي لِنَفْسِهِ وَزِيرَا — ذَا فِطْنَةٍ يَصْدُقُهُ ٱلتَّدْبِيرَا

وَمَنْ يَكُونُ فِي ٱلْوَرَى مَهِيبَا — لَا وَلَدًا يَرْعَى وَلَا حَبِيبَا

لَا يَعْلَمُ ٱلرِّجَالُ مَا فِي نَفْسِهِ — مِنْهُ وَلَا مِنْ وُلْدِهِ وَعِرْسِهِ

سِيَاسَةً فَٱلْمُلْكُ بِٱلسِّيَاسَةْ — دَامَتْ لَهُ ٱلدَّوْلَةُ وَٱلرِّئَاسَةْ

قَدِ ٱسْتَشَرْتُ أَيُّهَا ٱلسُّلْطَانُ بِي ... وَلَيْسَ مِثْلُ ٱلْعَاقِلِ ٱلْمُجَرِّبِ

إِنْ لَمْ أَكُنْ أُشِيرُ بِٱلصِّدَامِ ... فَمَا أَرَى ٱلْخُضُوعَ لِلْأَخْصَامِ

فَإِنَّ فِي ذَلِكَ ذُلَّ ٱلدَّهْرِ ... وَلَيْسَ تَرْضَى ٱلذُّلَّ نَفْسُ ٱلْحُرِّ

أَلْمَوْتُ لِلْحُرِّ ٱلْكَرِيمِ أَصْلَحُ ... مِنْ ذِلَّةٍ ظَاهِرَةٍ وَأَرْوَحُ

وَٱلرَّأْيُ أَنْ تُعَجِّلَ ٱلتَّدْبِيرَا ... بِهِمَّةٍ لَا تُهْمِلُ ٱلْأُمُورَا

فَإِنَّ تَأْخِيرَ ٱلْأُمُورِ عَجْزُ ... وَفِيهِ عَنْ بَعْضِ ٱلصَّوَابِ حَجْزُ

وَإِنَّ عِنْدِي لِلْجَوَابِ يَحْضُرُ ... أَذْكُرُ مِنْهُ عَلَنًا وَأَسْتُرُ

لِلسِّرِّ عِنْدَ أَهْلِهِ مَنَازِلُ ... كَذَاكَ قَالَ ٱلْأَلْمَعِيُّ ٱلْعَاقِلُ

« فَمِنْهُ مَا يُدْعَى لَهُ ٱلْأَقَارِبُ ... وَمِنْهُ مَا يُدْعَى لَهُ ٱلْأَجَانِبُ »

وَمِنْهُ مَا يُدْعَى لَهُ جَمَاعَهْ ... وَلِلصَّوَابِ أَمْرَةٌ مُطَاعَهْ

وَمِنْهُ مَا يَحْضُرُهُ ٱثْنَانِ ... وَإِنَّ ذَا مِنْهُ بِلَا كِتْمَانِ

فَخَرَجَ ٱلْقَوْمُ فَقَالَ ٱلْمَلِكُ ... إِنَّ ٱلْأُمُورَ بِٱلتَّوَانِي تَهْلِكُ

قُلْ لِي مَا أَوْقَعَ ذِي ٱلْعَدَاوَهْ ... مَا بَيْنَنَا فَلَسْتَ ذَا غَبَاوَهْ

فَقَالَ وَٱلْأَمْرُ لَدَيْهِ مَعْلُومْ ... إِجْتَمَعَ ٱلطَّيْرُ لِتَمْلِيكِ ٱلْبُومْ

وَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِمْ غُرَابَا ... فَقَالَ لَيْسَ رَأْيُكُمْ صَوَابَا

لَوْ فُقِدَ ٱلطَّاوُوسُ وَٱلْكَرَاكِي ... مَا جَازَ كَوْنُ ٱلْبُومِ فِي ٱلْأَمْلَاكِ

لِأَنَّهُ يَحْسُنُ قُبْحُ مَنْظَرِهْ … عِنْدَ أُولِي ٱلْعَقْلِ لِقُبْحِ مَخْبَرِهْ

مَعْ مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ ٱلزَّمَانَهْ … وَقِلَّةِ ٱلْحَيَاءِ وَٱلْأَمَانَهْ

«إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ مُشِيرُونْ … بِحُسْنِ آرَائِهِمِ يَسِيرُونْ»

«لَهُ ٱسْمُ مَلْكٍ وَسِوَاهُ يَفْعَلُ … مَا شَاءَهُ يَعْدِلُ أَوْ لَا يَعْدِلُ»

«كَأَرْنَبٍ قَدْ زَعَمَتْ أَنَّ ٱلْقَمَرْ … هُوَ مَلِيكُ أَرْضِهَا ٱلْعَالِي ٱلنَّظَرْ»

«وَعَمِلَتْ بِرَأْيِهَا تَبْغِي ٱلظَّفَرْ … بِمَا دَهَى بِلَادَهَا مِنَ ٱلْخَطَرْ»

«فَهَتَفَ ٱلْجَمْعُ هُتَافَ ٱلْمُعْجَبِ … بِٱللهِ حَدِّثْنَا حَدِيثَ ٱلْأَرْنَبِ»[1]

فَقَالَ لَمْ تُمْطَرْ بِلَادُ ٱلْفِيلَهْ … فَأَعْظَمَ ٱلْعَظِيمُ مِنْهَا حِيلَهْ

وَبَعَثَ ٱلرُّوَّادَ فِي ٱلْأَقْطَارِ … لِطَلَبِ ٱلْعُيُونِ وَٱلْأَنْهَارِ

فَجَاءَهُ مَنْ قَالَ إِنَّ بِئْرَا … رَأَيْتُ فِيهَا شَبَماً نَمِيرَا

وَإِنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى ٱلْقَمَرْ … فَقَامَ لَمَّا جَاءَهُ ذَاكَ ٱلْخَبَرْ

فِي جَيْشِهِ فَوَطِئُوا أَرَانِبَا … قَطَنَّ تِلْكَ ٱلْبِيدَ وَٱلسَّبَاسِبَا

فَجِئْنَ جَمْعاً مَلِكَ ٱلْأَرَانِبِ … وَٱلرَّأْسُ مَنْ يُقْصَدُ فِي ٱلنَّوَائِبِ

وَقُلْنَ دَبِّرْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعْنَهْ … عَنْهَا فَيَصْنَعْنَ كَمَا صَنَعْنَهْ

---

(١) كان الأصل:

فاقضوا الامور دونه كالارنب … قالوا فحدّثنا بذاك نعجب

فَقَالَ إِيتُونِي بِالْكُفَاةِ ... وَالْعُقَلَاءِ الْقَادَةِ الدُّهَاةِ
فَقَامَ مِنْهَا وَاحِدٌ مَعْرُوفُ ... أَرْوَعُ نَدْبٌ رَأْيُهُ مَوْصُوفُ
وَقَالَ أَرْسِلْنِي إِلَيْهَا قَالَ سِرْ ... فَأَنْتَ يَا فَيْرُوزُ خَيْرُ مُعْتَبَرْ
عَقْلُ الرَّسُولِ بَعْضُ عَقْلِ الْمُرْسِلِ ... مَهْمَا يُرِدْ مِنَ الْأُمُورِ يَفْعَلِ
إِنْ شَاءَ رَتَقَ الْفَتْقَ بِاللُّطْفِ رَتَقْ ... أَوْ شَاءَ فَتْقَ الرَّتْقِ بِالْخُرْقِ فَتَقْ
فَسَارَ فَيْرُوزُ إِلَيْهَا وَانْطَلَقْ ... وَهُوَ لَطِيفُ الرَّأْيِ يَفْرِي مَا خَلَقْ
وَقَامَ يَدْعُو فَوْقَ تَلٍّ عَالِي ... يَا مَلِكَ الْوَحْشِ اسْتَمِعْ مَقَالِي
إِنِّي رَسُولُ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ ... أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ كَالنَّذِيرِ
وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْإِبْلَاغْ ... إِنْ لَمْ يَسُغْ كَلَامُهُ وَإِنْ سَاغْ
فَقَالَ أَدِّ مَا بِهِ أَرْسَلَكَا ... إِيَّاكَ أَنْ تَكْتُمَ مَا حَمَّلَكَا
فَقَالَ مَنْ جَهِلَ الْقَوِيِّ أَنَّهُ ... إِذَا رَأَى فَضْلَ قُوَاهُ ظَنَّهُ
يُقَاوِمُ الْقَوِيَّ كَالضَّعِيفِ ... رَأْيُ جَهُولٍ لَيْسَ بِالْحَصِيفِ
حِينَئِذٍ يَكُونُ فَضْلُ قُوَّتِهْ ... حَيْنًا لَهُ وَسَبَبًا لِشِقْوَتِهْ
وَأَنْتَ بِالْقُوَّةِ ذُو اغْتِرَارِ ... لِضُعْفِ مَا تَلْقَى مِنَ الْأَغْمَارِ
وَقَدْ قَصَدْتَ يَا شَقِيُّ عَيْنِي ... وَذَاكَ فَاحْذَرْ مِنْهُ دَاعِي الْحَيْنِ
« جِئْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى ... بِاسْمِي فَكَانَ ذَاكَ مِنْكَ إِثْمًا »

« وَنَقَتْهَا لَمَّا شَرِبْتَ مِنْهَا ... فَعُدْ إِلَى أَرْضِكَ وَالْهُ عَنْهَا »
فَإِنْ رَجَعْتَ نَادِمًا عَنْ فِعْلِكَا ... غَفَرْتُ مَا أَتَيْتَهُ بِجَهْلِكَا
وَإِنْ لَزِمْتَ هَذِهِ ٱلْجَرِيمَهْ ... لَمْ تَأْمَنِ ٱلْعُقُوبَةَ ٱلْأَلِيمَهْ
وَإِنْ تُكَذِّبْ هَذِهِ ٱلرِّسَالَهْ ... فَعُدْ إِلَى ٱلْعَيْنِ تَرَ ٱلدَّلَالَهْ
فَكَرَّ نَحْوَ ٱلْعَيْنِ قَصْدًا وَرَجَعْ ... وَٱلْقَمَرُ ٱلْمُشْرِقُ فِيهَا قَدْ طَلَعْ
بِصُورَةٍ فَقَالَ يَا فَيْرُوزْ ... لَا يَسْتَوِي ٱلذَّلِيلُ وَٱلْعَزِيزْ
فَقَالَ خُذْ مِنْ مَائِهَا قَلِيلَا ... وَدَلِّ خُرطُومَكَ ذَا ٱلطَّوِيلَا
فَٱرْتَعَدَ ٱلْمَاءُ بِضَوْءِ ٱلْقَمَرِ ... فَقَالَ يَا فَيْرُوزُ زَادَ حَذَرِي
قَالَ لَهُ ٱسْجُدْ وَدَعِ ٱلتَّمَرُّدَا ... وَتُبْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَيْهَا أَبَدَا
فَتَابَ إِذْ ذَاكَ وَخَرَّ سَاجِدَا ... وَكَرَّ بِٱلْعَسْكَرِ عَنْهَا عَائِدَا
وَإِنَّ فِي ٱلْبُومِ مِنَ ٱلْخَدِيعَهْ ... وَٱلْمَكْرِ وَٱلْخِسَّةِ وَٱلْوَقِيعَهْ
شَرُّ ٱلْمُلُوكِ ٱلزَّائِغُ ٱلْمُخَادِعُ ... تَضِيعُ فِي هِمَّتِهِ ٱلصَّنَائِعُ
مَنِ ٱبْتُلِي بِمَلِكٍ خَدَّاعِ ... أَصَابَهُ مِنْ حُكْمِهِ ٱلْمُطَاعِ
مَا حَلَّ بِٱلصِّفْرِدِ حِينَ حَاكَمَا ... ٱلْأَرْنَبَ ٱلْخَبَّ وَكَانَ ظَالِمَا
جَهْلًا إِلَى ٱلسِّنَّوْرِ وَهْوَ صَائِمُ ... قَالُوا وَمَا أَصَابَهُ يَا عَالِمُ
فَقَالَ لِي جَارٌ مِنَ ٱلصَّفَارِدِ ... حُلْوُ ٱللِّقَاءِ حَسَنُ ٱلتَّعَاهُدِ

وَكَانَ يَلْقَانِي لِقَآءً دَائِمَا   فَغَابَ عَنِّي فَبَقِيتُ وَاجِمَا
فَجَآءَ يَوْمًا أَرْنَبٌ لِيَسْكُنَا   فِي جُحْرِهِ لَمَّا ٱرْتَضَاهُ مَسْكَنَا
فَظَلَّ فِيهِ مُدَّةً مُقِيمَا   وَلَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ مُلِيمَا
وَرَجَعَ ٱلصِّفْرِدُ يَبْغِي ٱلْجُحْرَا   فَوَجَدَ ٱلْأَرْنَبَ مُسْتَقِرَّا
وَٱرْتَفَعَ ٱلنِّزَاعُ وَٱلْخِصَامُ   وَطَالَ مَا بَيْنَهُمَا ٱلْكَلَامُ
« فَصَرَخَ ٱلصِّفْرِدُ إِنَّ ٱلْقَاضِيَا   مِنَّا قَرِيبٌ لَا تَكُنْ مُجَافِيَا »
« أَجَابَهُ ٱلْأَرْنَبُ مَنْ ذَا ٱلْقَاضِي   قُلْ لِي إِنِّي بِقَضَاهُ رَاضِي »
« فَقَالَ سِنَّوْرٌ بِشَطِّ ٱلْبَحْرِ   يَحْكُمُ بِٱلْقِسْطِ بِكُلِّ أَمْرِ »
« إِحْتَقَرَ ٱلدُّنْيَا وَفِيهَا قَدْ زَهَدْ   وَطَلَبَ ٱلْعُلْيَا وَلِلّٰهِ عَبَدْ »
« نَهَارُهُ تَقَشُّفٌ وَصَوْمُ   وَلَيْلُهُ عِبَادَةٌ لَا نَوْمُ »
« وَلَيْسَ يُؤْذِي دَابَّةً وَلَا يُرِيقْ   دَمًا فَهُوَ بِكُلِّ إِكْرَامٍ حَقِيقْ »
« قَالَ بِهِ رَضِيتُ إِنْ كَانَ كَمَا   قُلْتَ فَسَارَا وَأَنَا خَلْفَهُمَا »
« فَدَنَوَا مِنْهُ مُعَظِّمِينْ   وَسَلَّمَا عَلَيْهِ هَائِبِينْ »
« وَسَأَلَاهُ أَنْ يَكُونَ حَكَمَا   عَدْلًا وَأَنْ يَقْضِيَ مَا بَيْنَهُمَا »
« فَقَالَ قُصَّا ٱلْأَمْرَ لِي مُفَصَّلَا   إِيَّاكُمَا أَنْ تَكْتُمَا فَفَعَلَا »[1]

---

(١) كان الاصل :

فاحتكما فيه إلى سنّورِ   فطلبا العدل من أهل الجورِ

قَالَ ادْنُوَا مِنِّي فَإِنِّي أُطْرُوشْ … قَوْلاً جَمِيلاً بِالْخِدَاعِ مَغْشُوشْ

حَتَّى إِذَا صَارَا قَرِيبًا مِنْهُ … قَالَ وَمَا لِلْقَوْلِ فِيهِ كُنْهُ

إِنْ تَقْبَلاَ يَا صَاحِبَيَّ نُصْحِي … فَاصْطَلِحَا إِنَّ الْهُدَى فِي الصُّلْحِ

لاَ تَنْطِقَا بِاللهِ إِلاَّ الْحَقَّا … وَلاَ تَقُولاَ الْيَوْمَ إِلاَّ الصِّدْقَا

فَطَالِبُ الْحَقِّ هُوَ السَّعِيدُ … وَإِنْ أَتَاهُ ضِدُّ مَا يُرِيدُ

وَطَالِبُ الْبَاطِلِ لَيْسَ يَفْلَحُ … لِأَنَّهُ فِي غَيْرِ مَرْخٍ يَقْدَحُ

وَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ مِنْ دُنْيَاهُ … إِلاَّ جَمِيلُ عَمَلٍ أَتَاهُ

لاَ يَجْهَدُ الإِنْسَانُ فِي مَا يَفْنَى … فَمَا يُسَاوِي ذَاكَ مَا تَعَنَّى

وَالْمَالُ عِنْدَ صَاحِبِ التَّحْقِيقِ … كَمَدَرٍ مُلْقًى عَلَى الطَّرِيقِ

وَهٰكَذَا النِّسَآءُ كَالأَفَاعِي … وَالصَّبْرُ مِنْ مَكَارِمِ الطِّبَاعِ

« يُعَامِلُ الْعَاقِلُ أَبْنَا جِنْسِهِ … فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ نَظِيرَ نَفْسِهِ »

« وَلَمْ يَزَلْ يَقُصُّ مِنْ هٰذَا الْكَلاَمْ … وَشِبْهِهِ عَلَيْهِمَا بِالاهْتِمَامْ »

« فَأَنِسَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَرُبَا … مِنْهُ وَلَمْ يَخْتَشِيَا أَنْ يَعْطَبَا »[1]

حَتَّى إِذَا مَا أَمْكَنَاهُ وَثَبَا … مُمَكِّنًا فِي كُلِّ جِيدٍ مِخْلَبَا

---

(١) كان الاصل :

فلم يزل يدنيهما ويجتهد … فانـا وقربا وقد اسد

«ثُمَّتَ قَالَ إِنَّ فِي ٱلْبُوْمِ سِوَى مَا قَدْ وَصَفْتُ ٱلشُّؤْمَ ايضاً وَٱلْغَوَى»

« فَلَا يَكُوْنَنَّ إِذًا مِنْ رَأْيِكُمْ أَنْ يَمْلِكَ ٱلْبُوْمُ عَلَى جَمِيعِكُمْ»

فَرَجَعَ ٱلطَّيْرُ لِذَا ٱلْمَقَالِ وَٱنْقَلَبَ ٱلْبُوْمُ بِسُوْءِ حَالِ

يَقُوْلُ لِلْغُرَابِ كَٱلْمُعَاتِبِ أَتَيْتَ فِي أَمْرِيَ غَيْرَ ٱلْوَاجِبِ

هَلْ كُنْتُ أَسْلَفْتُ إِلَيْكَ ذَنْبًا أَمْ كُنْتَ أَضْمَرْتَ عَلَيَّ عَتْبَا

وَإِنَّهُ قَدْ تَقْطَعُ ٱلْفُؤُسُ ٱلشَّجَرْ ثُمَّ تَعُوْدُ بَعْدَهَا ذَاتَ ثَمَرْ

وَٱلسَّيْفُ يَبْرِي ٱللَّحْمَ وَٱلْعِظَامَا وَرُبَّمَا يَلْتَحِمُ ٱلْتِحَامَا

وَيُنْزَعُ ٱلنَّصْلُ مِنَ ٱلْعِظَامِ وَيَذْهَبُ ٱلْكَلَامُ بِٱلْكَلَامِ

قَدْ تَدْمِلُ ٱلْأَيَّامُ جُرْحَ ٱلْمُوْسَى وَٱلْجُرْحُ بِٱللِّسَانِ لَيْسَ يُوْسَى

لِكُلِّ نَارٍ فَٱعْلَمَنْهُ مُطْفِي يُخْمِدُهَا بِشِدَّةٍ أَوْ ضَعْفِ

فَٱلْمَآءُ لِلنَّارِ وَلِلسُّمِّ دَوَا وَٱلصَّبْرُ لِلْحُزْنِ وَلِلْعِشْقِ ٱلنَّوَى

وَإِنَّ نَارَ ٱلْحِقْدِ لَيْسَتْ تَخْبُو وَٱلسِّلْمُ مِنْ غَيْرِ صَفَآءٍ حَرْبُ

وَقَدْ غَرَسْتَ بَيْنَنَا مِنَ ٱلْإِحَنْ غُرُوْسَ سُوْءٍ تَجْتَنِي مِنْهَا ٱلْمِحَنْ

ثُمَّ مَضَى وَنَدِمَ ٱلْغُرَابُ وَرُبَّ رَأْيٍ فَاتَهُ ٱلصَّوَابُ

وَقَالَ لِمْ قُلْتُ لَقَدْ خَرِفْتُ هَلْ نَافِعِي ٱلسَّاعَةَ أَنْ أَسِفْتُ

لَقَدْ غَرَسْتُ ٱلشَّرَّ وَٱلْعَدَاوَهْ يَا وَيْلَتِي مِنْ هٰذِهِ ٱلشَّقَاوَهْ

قَدْ كَانَ فِي الطَّيْرِ كَبِيرٌ يَعْلَمُ ... مِثْلَ الَّذِي عَلِمْتُهُ وَيَفْهَمُ

فَسَكَتُوا عَنْ ذِكْرِهِ إِشْفَاقَا ... لِنَظَرٍ فِي الْحَقِّ أَوْ نِفَاقَا

وَنَظَرُوا جَمِيعُهُمْ فِي الْعَاقِبَهْ ... فَإِنَّ حَيَّاتِ اللَّيَالِي وَاقِبَهْ

وَأَيُّ عُذْرٍ بَعْدَ مَا وَاجَهْتُهُ ... وَبِالَّذِي يَكْرَهُهُ جَبَهْتُهُ

وَكُلُّ قَوْلٍ لَمْ يَكُنْ مُوَاجَهَهْ ... قَوْلٌ فَأَمَّا إِنْ أَتَى مُشَافَهَهْ

فَإِنَّهُ سُمٌّ يُسَمَّى قَوْلَا ... قَدْ كَانَ بِي تَرْكُ الْفُضُولِ أَوْلَى

وَلَيْسَ مَنْ كَانَ لَهُ لِسَانُ ... وَشَأْنُهُ الْإِفْصَاحُ وَالْبَيَانُ

يَقُولُ مَا لَا يَنْبَغِي مَقَالَهْ ... فَقَوْلُهُ الْهُجْرُ عَلَيْهِ لَا لَهْ

هَلْ يُشْرَبُ السُّمُّ لِمُلْكِ التِّرْيَاقْ ... وَاخَجَلِي إِنَّ الْعُقُولَ أَرْزَاقْ

وَالْفَضْلُ لِلْفَاضِلِ فِي حُسْنِ الْعَمَلْ ... فَاعْرِفْهُ لَا حُسْنِ الْكَلَامِ الْمُقْتَبَلْ

أَلَيْسَ يَكْفِينِي مِنَ الضَّلَالَهْ ... أَنِّي قُلْتُ هٰذِهِ الْمَقَالَهْ

فِي مِثْلِ ذِي الْحَادِثَةِ الْكَبِيرَهْ ... مِنْ غَيْرِ مَا فِكْرٍ وَلَا بَصِيرَهْ

بَدِيهَةً مِنِّي بِلَا تَرَوِّي ... إِنَّ اللِّسَانَ لَقَرِينُ سَوِّ

كَسَبْتُ شَرَّ إِحْنَةٍ وَحَرْبِ ... مَا كَانَ أَغْنَانِي عَنْ ذَا الْكَسْبِ

قَالَ لَهُ فَهِمْتُ أَصْلَ حَرْبِهِمْ ... بِذَنْبِنَا نُؤْخَذُ لَا بِذَنْبِهِمْ

فَمَا الَّذِي يُجْدِي عَلَيْنَا الْآنَا ... أَشِرْ بِأَمْرٍ يَنْفَعُ الْإِخْوَانَا

قَدْ قُلْتَ فِي مَا ٱسْتَصْوَبَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِي ... سَمِعْتَهُ فَٱحْذُ ٱلصَّوَابَ وَٱحْتَذِ

قَالَ لَهُ ٱلْحِيلَةُ لَا سِوَاهَا ... فِي أَمْرِهِمْ هِيَ ٱلَّتِي أَرْضَاهَا

فَقَدْ يُنَالُ بِدَقِيقِ ٱلْحِيلَهْ ... مَا لَمْ يُنَلْ بِٱلْقُوَّةِ ٱلْجَلِيلَهْ

أَمَا سَمِعْتَ بِخِدَاعِ ٱلنَّفَرِ ... وَمَكْرِهِمْ بِٱلنَّاسِكِ ٱلْمُغَرَّرِ

قَالَ أَفِدْنِي قَالَ إِنَّ نَاسِكَا ... كَانَ مِنَ ٱلْمِعْزَى عَرِيضًا مَالِكَا

« يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَهُ قُرْبَانَا ... يَسْتَمْطِرُ ٱلرَّحْمَاتِ وَٱلْغُفْرَانَا »

قَدِ ٱشْتَرَاهُ حَسَنًا سَمِينَا ... وَلَمْ يَكُنْ بَائِعُهُ ظَنِينَا

فَجَاءَهُ مِنْ جَانِبِ ٱلنَّاسِ نَفَرْ ... إِصْطَلَحُوا عَلَى أَذَاهُ فَنَفَرْ

فَقَالَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ خِدَاعَا ... يَا شَيْخُ ذَا ٱلْكَلْبُ بِكَمْ فَٱرْتَاعَا

ثُمَّ أَتَاهُ آخَرٌ فَسَبَّا ... وَقَالَ لِمْ تَقُودُ هٰذَا ٱلْكَلْبَا

فَشَكَّ بَعْدَ عِلْمِهِ فِي أَمْرِهِ ... وَقَالَ قَدْ خُيِّلَ لِي بِسِحْرِهِ

وَحَلَّهُ مِنْ وَقْتِهِ وَأَرْسَلَهْ ... فَٱقْتَسَمُوهُ إِنَّ هٰذَا لَبَلَهْ

أَلرَّأْيُ أَنْ تَضْرِبَنِي عَلَانِيَهْ ... ضَرْبًا يَشِيعُ فِي ٱلْبِلَادِ ٱلنَّائِيَهْ

وَتَرْحَلُوا وَتَتْرُكُونِي مُلْقَى ... فِي مَوْضِعٍ سَمَّاهُ حَقًّا حَقًّا

فَرَحَلُوا وَتَرَكُوهُ مُفْرَدَا ... مُزَمَّلًا بِدَمِهِ مُقَيَّدَا

وَأَقْبَلَ ٱلْبُومُ الَى ٱلْمَكَانِ ... فَٱفْتَقَدُوا جَمَاعَةَ ٱلْغِرْبَانِ

فَأَنَّ كَيْمَا يُبْصِرُوهُ أَنَّهْ　　فَجِئْنَ إِذْ سَمِعْنَهُ وَأَنَّهْ

قَالَ لَهُ كَبِيرُهُمْ مَنْ أَنْتَا　　قَالَ أَنَا فُلَانُ إِنْ عَرَفْتَا

قَالَ وَزِيرُ مَلِكِ ٱلْغُرْبَانِ　　قَالَ نَعَمْ لَقَدْ عَرَفْتَ شَانِي

قَالَ وَمَا ذِي ٱلْحَالُ قَالَ إِنَّهْ　　أَسَاءَ إِذْ صَدَقْتُ فِيَّ ظَنَّهْ

قُلْتُ لَهُ صَالِحْ وَلَا تُقَاتِلِ　　وَوَادِعِ ٱلْقَوْمَ وَلَا تُخَاتِلِ

«فَإِنَّمَا عَدُوُّنَا شَدِيدُ　　وَبَأْسُهُ لَانَ لَهُ ٱلْحَدِيدُ»

«وَنَحْنُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ جُبَنَا　　عَاقِبَةُ ٱلْحَرْبِ تَزِيدُ كَرْبَنَا»

«وَلَا يَرُدُّ بَأْسَ خَصْمٍ قَادِرِ　　مِثْلُ ٱلْخُضُوعِ فَٱلْخِلَافَ حَاذِرِ»

«وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ　　مِنْ عَاصِفِ ٱلرِّيحِ ٱلَّذِي يُحَطِّمُ»

«لِلِينِهِ وَٱلشَّجَرُ ٱلْمُرْتَفِعُ　　يُصَادِمُ ٱلرِّيحَ لِذَاكَ يُقْلَعُ»

فَسَاءَهُ رَأْيِي وَقَالَ ٱلْحَرْبُ　　أَشْفَى لِقَلْبِي فَٱلْحَكِيمُ يَصْبُو

فَضَرَبُونِي ضَرْبَ مَوْتُورٍ حَنِقْ　　وَطَرَحُونِي بِٱلْهُمُومِ مُحْتَرِقْ

فَقَالَ لِلْوَزِيرِ مَا تَسْتَصْوِبُ　　فِي أَمْرِهِ قَالَ ٱلْخَبِيثُ يَكْذِبُ

فَٱقْتُلْهُ فَٱلْقَتْلُ لَهُ جَزَاءُ　　لِكُلِّ دَاءٍ مُعْضِلٍ دَوَاءُ

وَإِنَّ فِي قَتْلِ ٱلْعَدُوِّ رَاحَهْ　　وَلَيْسَ فِي ٱلْفَتْكِ بِهِ قَبَاحَهْ

وَهٰذِهِ مَكِيدَةٌ عَظِيمَهْ　　وَبَعْدَهَا ٱلْمَقْعَدَةُ ٱلْمُقِيمَهْ

مَنْ رَحِمَ ٱلْعَدُوَّ أَمْسَى نَادِمَا ... لَيْسَ لَنَا لَوِ ٱسْتَطَاعَ رَاحِمَا

فَقَالَ مَا عِنْدَ ٱلْوَزِيرِ ٱلْمُصْلِحِ ... قَالَ لَهُ مَلَكْتَهُ فَأَسْجِحِ

لَيْسَ ٱلتَّشَفِّي مِنْ ضَعِيفٍ بِحَسَنْ ... يَكْفِيهِ مَا يَلْقَاهُ مِنْ صَرْفِ ٱلزَّمَنْ

قَدْ تَعْطِفُ ٱلْإِنْسَانَ أَدْنَى خَلَّهْ ... وَيَقْطَعُ ٱلْحُبُّ لِأَدْنَى زَلَّهْ

لِمِثْلِ هٰذَا كَانَ عَطْفُ ٱلتَّاجِرِ ... عَنْ سَارِقِ ٱلْبَيْتِ ٱلْخَبِيثِ ٱلْفَاجِرِ

« قَدْ كَانَ ذُو مَالٍ لَهُ مَتَاجِرُ ... تَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهَا ٱلدَّفَاتِرُ »

« زَوْجَتُهُ وَاجِدَةٌ عَلَيْهِ ... تَنْظُرُ شَزْرًا دَائِمًا إِلَيْهِ »

« وَهَمُّهَا إِغْضَابُهُ وَهَمُّهُ ... إِرْضَاؤُهَا لِذَاكَ طَالَ غَمُّهُ »

« فَدَخَلَ ٱللُّصُوصُ يَوْمًا غُرْفَتَهْ ... لِيَنْهَبُوا وَيَسْرِقُوا أَمْتِعَتَهْ »

فَأَبْصَرَتْ لِصًّا فَوَلَّتْ مُشْفِقَهْ ... إِلَى سَرِيرِ زَوْجِهَا لَاعْتَنِقَهْ

وَٱلْتَزَمَتْهُ خِيفَةً لَا حُبًّا ... وَأَظْهَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ قُرْبَا

فَٱنْتَبَهَ ٱلشَّيْخُ وَقَدْ كَلَّمَهَا ... وَقَالَ مَا رَدَّ إِلَيَّ هَمَّهَا

ثُمَّ رَأَى ٱللِّصَّ فَقَالَ لَا تُرَعْ ... فَأَنْتَ فِي حِلٍّ وَنِعْمَ مَا صَنَعْ

فَقَالَ لِلثَّالِثِ مَاذَا عِنْدَكَا ... فَقَالَ أَنْ نَغْمُرَهُ بِرِفْدِكَا

فَٱلْحُرُّ يُسْتَعْطَفُ بِٱلْإِحْسَانِ ... مَا أَحْسَنَ ٱلْجَمِيلَ بِٱلْإِنْسَانِ

قَرِّبْهُ وَٱخْصُصْهُ بِبِرٍّ يَرْجِعِ ... إِلَيْكَ عَنْ إِخْوَانِهِ وَيَنْزِعِ

عَنْ طَبْعِهِ فَبِٱلْجَمِيلِ تُنْزَعُ   عَدَاوَةُ ٱلرِّجَالِ حِينَ تُقْلَعُ

فَإِنَّ مَنْ يَصْطَنِعُ ٱلْأَحْرَارَا   يَأْمَنُ فِي حَلْبَتِهِ ٱلْعِثَارَا

أَلْحُرُّ لَا يُصْلَحُ بِٱلْهَوَانِ   وَإِنَّمَا يُمْلَكُ بِٱلْإِحْسَانِ

وَرُبَّمَا كَانَتْ نَجَاةُ وَاحِدِ   فِي عَدْوِ خَصْمَيْهِ كَحَالِ ٱلزَّاهِدِ

أَعْطَاهُ إِنْسَانٌ لِبِرٍّ بَقَرَهْ   حَلُوْبَةً فَٱقْتَصَّ لِصٌّ أَثَرَهْ

وَجَاءَ شَيْطَانٌ فَقَالَ ٱللِّصُّ   مَا لِي أَرَاكَ إِثْرَهُ تَقْتَصُّ

قَالَ أُرِيدُ أَخْذَهُ إِنْ هَجَدَا   «وَأَنْتَ لِمْ تَتْبَعُهُ مُجْتَهِدَا»

«قَالَ ٱبْتِغَاءَ خَطْفِ هٰذِهِ ٱلْبَقَرَهْ   فَإِنَّهَا غَنِيمَةٌ مُعْتَبَرَهْ»

حَتَّى إِذَا جَنَّ ٱلدُّجَى وَرَقَدَا   «قَامَا لِأَغْرَاضِهِمَا فَعَرْبَدَا»

وَٱخْتَلَفَا كُلٌّ يَقُولُ أَبْتَدِي   فَزَعَقَ ٱللِّصُّ عَلَى تَعَمُّدِ

«قُمْ أَيُّهَا ٱلزَّاهِدُ هَا ٱلشَّيْطَانُ   أَخْذَكَ يَبْغِي فَٱصْحُ يَا غَفْلَانُ»

«وَهَتَفَ ٱلشَّيْطَانُ إِنَّ ٱلْبَقَرَهْ   فَازَ بِهَا بَعْضُ ٱللُّصُوصِ ٱلْمَكَرَهْ»

فَٱنْتَبَهَ ٱلْقَوْمُ وَوَلَّى ٱلشَّيْطَانْ   فَسَلِمُوا وَأَخْفَقَ ٱلْخَبِيثَانْ

فَعِنْدَهَا قَالَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْأَوَّلُ   تَرْكُ ٱلْعَدُوِّ خُطَّةٌ لَا تَجْمُلُ

وَقَتْلُهُ أَوْلَى فَعَجِّلْ قَتْلَهُ   فَلَيْسَ يَعْفُو عَنْهُ إِلَّا أَبْلَهُ

قَدْ غَرَّكُنَّ بِٱلْخِدَاعِ وَٱلْمَلَقْ   وَزُخْرُفٍ مِنَ ٱلْحَدِيثِ مُخْتَلَقْ

«فلا تكنْ مثلَ ٱلذي يكذبُ عيانَهُ لخبرٍ فيعطبُ

« قالَ وكيفَ ذاكَ قالَ قالوا إنَّ امرءًا في بيتهِ أحمالٌ»

«قصدهُ اللصوصُ يومًا انتدبوا ودخلوا منزلهُ لينهبوا »

«فجمعوا ما فيهِ من متاعِ لم يتركوا شيئًا للانتفاعِ »

«ثمَّ جاؤوا حيثُ كانَ الرجلُ فانتبهَ المرءُ وخافَ يقتلُ »

« وكانَ في حجرتهِ بابانِ إلى الطريقِ العامِّ يوصلانِ»

«فقالَ من رأيي أنْ لا يشعروا أني قدِ استيقظتُ كي لا يذعروا»

« قبيلَ نهبِ سائرِ الأموالِ والأوفقُ الأحسنُ في ذي الحالِ»

« تركهمْ ينتهبونَ ما ارتضوا حتى إذا ما احتملوهُ ومضوا»

«خرجتُ من ذا البابِ أدعو جيرتي مستنصرًا أسمعُ أهلَ الغيرةِ»

«ألا انجدوني يا ذوي الحميةِ… على الذينَ انتهبوا أمتعتي »

« حينئذٍ يسعفني بحاجتي كلُّ فتىً شهمٍ وذي حماسةٍ»

« فظلَّ في فراشهِ لا يحركُ وفرغَ اللصوصُ مما يملكُ »

« وعندَ ما قاموا لنقلِ النهبِ قامَ يرى والذعرُ ملءُ القلبِ»

« وحينَ همّوا بالقيامِ شعروا فهمسَ الرئيسُ أنْ لا تذعروا»

«قفوا ولا تخشوا وهيّوا نخدعهْ بكلمٍ ينكرهُ منْ يسمعهْ »

« فَهَا أَنَا أَرْفَعُ صَوْتِي خَاطِبَا فِيكُمْ بِرَأْيٍ فَاجْعَلُوهُ صَائِبَا»
« وَرَفَعَ ٱلصَّوْتَ وَنَادَى مُعْلِنَا فِي ٱلْقَوْمِ كُفُّوا وَٱرْجِعُوا عَنْ ذَا ٱلْعَنَا»
«لَسْتُ أَرَى قِيمَةً فِي ٱلْأَحْمَالِ كَافِيَةً لِأُجْرَةِ ٱلْحَمَّالِ »
«وَقَدْ بَدَا لِي أَنَّ هٰذَا ٱلْإِنْسَانْ فَقِيرُ حَالٍ يَسْتَحِقُّ ٱلْإِحْسَانْ»
« فَأَخَذَتْنِي رَحْمَةٌ وَشَفَقَهْ وَرَأْفَةٌ بِحَالِهِ بِلَا مِقَهْ »
«لِذَاكَ إِذْ رَاجَعْتُ رَأْيِي فِيهِ بَدَا لِي ٱلْحَقُّ بِلَا تَمْوِيهِ»
« فَوَاجِبٌ أَنْ نَدَعَ ٱلْأَحْمَالَا إِذْ لَيْسَ تَسْتَحِقُّ أَنْ نَحْتَالَا »
« بِضَاعَةٌ عَتِيقَةٌ وَكَاسِدَهْ فَمَا لَنَا مِنْهَا كَبِيرُ فَائِدَهْ »
«وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ مَشَاهِيرِ ٱللُّصُوصْ نَصًّا عَظِيمَ ٱلِاعْتِبَارِ فِي ٱلنُّصُوصْ»
«مَنْ عَفَّ عَنْ مَتَاعِ ذِي فَقْرٍ فَلَمْ يَسْرِقْهُ وَهْوَ قَادِرٌ نَالَ ٱلنِّعَمْ»
« وَغَفَرَ ٱللهُ لَهُ فِي ٱلْحَالِ سَرِقَانَ أَلْفِ رَجُلٍ ذِي مَالِ»
«إِنَّ أَحَلَّ ٱلسَّرِقَاتِ سَرِقَهْ مُقَتِّرٍ لَيْسَ يُجِيزُ ٱلنَّفَقَهْ »
«ذَاكَ ٱلَّذِي ٱلْبُيُوتُ وَٱلْخَزَائِنُ لِكُلِّ مَا يَجْمَعُهُ مَدَافِنُ »
« يَحْتَبِسُ ٱلْمَالَ فَلَيْسَ نَفْعُهُ لَهُ وَلَا لِغَيْرِهِ يَدَعُهُ »
«أَلَا ٱتْرُكُوا هٰذَا ٱلْحُطَامَ وَدَعُوا ثُمَّ إِلَى نَهْبِ بَخِيلٍ أَسْرِعُوا»
« قَالُوا لَهُ كُلُّهُمْ صَدَقْتَا وَفِي جَمِيعِ ٱلْقَوْلِ قَدْ أَحْسَنْتَا»

« وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَفُكُّونْ ... مَا رَبَطُوا بِالْقَوْلِ لَا يَشُكُّونْ »

« وَكَمَنُوا يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَنَامْ ... مِنْ بَعْدِ أَنْ سَمِعَ ذَيَّاكَ الْكَلَامْ »

« وَكَانَ أَنَّ الرَّجُلَ الْمِسْكِينَا ... ظَنَّ الَّذِي سَمِعَهُ يَقِينَا »

« فَنَامَ وَاللُّصُوصُ يَنْظُرُونَا ... إِلَيْهِ وَالْغَفْلَةَ يَرْقُبُونَا »

« حَتَّى إِذَا مَا أَيْقَنُوا أَنَّهُ قَدْ ... أَزَالَ عَنْهُ الِارْتِيَابَ وَرَقَدْ »

« ثَارُوا إِلَى مَا جَمَعُوا وَاحْتَمَلُوهْ ... إِلَى مَبِيتٍ لَهُمُ وَنَقَلُوهْ »

وَهٰكَذَا أَنْتُمْ إِذَا تَرَكْتُمُ ... عِيَانَكُمْ لِلُطْفِ مَا سَمِعْتُمُ

يَا قَوْمُ لَا تُصَدِّقُوا الْغُرَابَا ... وَوَافِقُونِي وَاقْتُلُوا الْكَذَّابَا

فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ عَدُوُّ ... لَكُمْ فَمَاذَا الرِّفْقُ وَالْحُنُوُّ

مَا خِفْتُمْ قَطُّ لِخَوْفِي السَّاعَهْ ... لَمَّا رَأَيْتُ بَيْنَكُمْ خِدَاعَهْ

فَخَالَفُوهُ وَالشَّقَاءُ الْخُلْفُ ... وَفِيهِ لِلْقَوْمِ رَدًى وَحَتْفُ

قَالَ أَمِيرُ الْقَوْمِ أَكْرِمُوهْ ... قَالَ لَهُ الْوَزِيرُ فَاحْبِسُوهْ

فَالرَّأْيُ أَنْ يَحْتَرِسَ الْإِنْسَانُ ... مِنَ الْعَدُوِّ إِنَّهُ يَقْظَانُ

وَإِنَّمَا جَاءَ لِكَيْدٍ خَافِي ... يَسْعَى إِلَيْهِ لَا لِوُدٍّ صَافِي

حَتَّى إِذَا لَمْ يَقْبَلِ الْأَمِيرُ ... لِلْحَيْنِ مَا دَبَّرَهُ الْوَزِيرُ

ظَلَّ الْغُرَابُ عِنْدَهُ مُكَرَّمَا ... مُصَدَّرًا مُوَقَّرًا مُعَظَّمَا

وَهُوَ لَطِيفٌ سَاحِرُ ٱلْبَيَانِ ... يَخْدَعُهُمْ بِرِقَّةِ ٱللِّسَانِ

وَكُلَّ يَوْمٍ عِنْدَهُ يُزَادُ ... قُرْبًا وَيَصْفُو ٱلْإِنْسُ وَٱلْوِدَادُ

فَقَالَ يَوْمًا وَٱلْوَزِيرُ حَاضِرُ ... مَكِيدَةً وَإِنَّهُ لَمَاكِرُ

قُولُوا جَمِيعًا لِلْأَمِيرِ عَنِّي ... جَمَاعَةُ ٱلْغِرْبَانِ نَالُوا مِنِّي

مَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ وَبَلَغُوا ... فِيَّ مِنَ ٱلشَّرِّ ٱلَّذِي لَا يَبْلُغُ

وَإِنَّ فِي قَلْبِي عَلَيْهِمْ حِقْدَا ... يَزِيدُهُ مَرُّ ٱلزَّمَانِ وَقْدَا

وَلَسْتُ مُسْتَطِيعًا لَهُمْ عِقَابَا ... مَا دُمْتُ مِثْلَ خَلْقِهِمْ غُرَابَا

وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ حَكِيمٍ عَالِمِ ... حِكَايَةً أَسْتُ لَهَا بِكَاتِمِ

إِنَّ ٱلَّذِي يَسْعَى لِهَدْمِ جِنْسِهِ ... حَتَّى تَطِيبُ نَفْسُهُ عَنْ نَفْسِهِ

فَيُحْرِقُ ٱلْجِسْمَ ٱلَّذِي قَدْ صَانَا ... كَمَنْ غَدَا مُقَرِّبًا قُرْبَانَا

«إِنْ يَدْعُ إِذْ ذَاكَ ٱلْإِلٰهَ يَسْتَجِبْ ... سُبْحَانَهُ دُعَاءَهُ فَلَمْ يَخِبْ»

وَلِلْعَبِيدِ دَعْوَةٌ مُجَابَهْ ... لَا سِيَّمَا ذِي ٱلْمُهْجَةِ ٱلْمُصَابَهْ

وَإِنَّنِي أَرْغَبُ أَنْ يَأْذَنَ لِي ... فَأُحْرِقَ ٱلْجِسْمَ بِلَا تَعَلُّلِ

وَأَسْأَلُ ٱللّٰهَ ٱلْقَدِيرَ إِنِّي ... أَعُودُ يَوْمًا إِنَّهُ ذُو مَنِّ

حِينَئِذٍ أَرْجُو ٱنْتِقَامًا مِنْهُمْ ... فَلَسْتُ أَسْلُو مَا حَيِيتُ عَنْهُمْ

قَالَ ٱلَّذِي بِقَتْلِهِ أَشَارَا ... إِنَّكَ قَدْ خَادَعْتَنَا مِرَارَا

وَأَنْتَ فِي حَلَاوَةِ ٱلْكَلَامِ ... وَقُبْحِ مَا تُضْمِرُ كَٱلْمُدَامِ
صَافِيَةٌ طَيِّبَةُ ٱلْأَنْفَاسِ ... لٰكِنَّهَا مَسْمُومَةٌ لِلْحَاسِي
إِنَّكَ إِنْ أَحْرَقْتَ فَٱلطَّبْعُ مَعَكْ ... يَدُورُ حَيْثُ دُرْتَهُ لَنْ يَدَعَكْ
جِسْمُكَ جِسْمُ بُومَةٍ كَرِيمَهْ ... لٰكِنْ فِيهِ نَفْسُكَ ٱللَّئِيمَهْ
كَٱلْفَارَةِ ٱلَّتِي سَمِعْتُ ذِكْرَهَا ... قَالُوا لَهُ ٱشْرَحْ ذَاكَ نَعْرِفْ أَمْرَهَا
فَقَالَ وَهْوَ لِلصَّوَابِ قَائِلُ ... وَلِلْأُمُورِ كُلِّهَا مُخَائِلُ
رَأَى وَلِيٌّ حِدَأَةً طَيَّارَهْ ... قَدْ وَقَعَتْ مِنْ مِنْسَرَيْهَا فَارَهْ
فَأَدْرَكَتْهُ رَحْمَةٌ وَرَافَهْ ... لَهَا وَقَدْ لَجَّتْ بِهَا ٱلْمَخَافَهْ
فَقَالَ إِنْ حَمَلْتُهَا إِلَى ٱلْوَطَنْ ... شَقَّتْ عَلَى أَهْلِي وَصَارَتْ لِي شَجَنْ
ثُمَّ دَعَا ٱللّٰهَ فَصَارَتْ جَارِيَهْ ... مَلِيحَةً مِثْلَ ٱلْمَهَاةِ ٱلْجَارِيَهْ
وَقَالَ يَا أَهْلِيَ هٰذِي ٱبْنَتِي ... فَأَحْسِنُوا فِي أَمْرِهَا مِنْ جِهَتِي
فَأَحْسَنُوا حَتَّى إِذَا مَا كَبِرَتْ ... وَبَلَغَتْ مَبْلَغَهَا وَأَدْرَكَتْ
قَالَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ زَوْجٍ لَكِ ... فَٱلْتَمِسِي مَا تَشْتَهِينَ تَمْلِكِي
قَالَتْ أُرِيدُ رَجُلًا قَوِيًّا ... «جَلْدًا يَكُونُ قَلْبُهُ صَخْرِيًّا»
قَالَ لَهَا فَذَلِكَ ٱلشَّمْسُ إِذَنْ ... وَأَخْبَرَ ٱلشَّمْسَ بِهَا فِيمَا عَلَنْ
قَالَتْ لَهُ ٱلسَّحَابُ أَقْوَى مِنِّي ... لِأَنَّهُ يَسْتُرُنِي بِٱلدَّجْنِ

فَجَآءَ فِي ذَاكَ إِلَى ٱلسَّحَابِ قَالَتْ لَهُ ٱلشَّمَالُ لَا أُحَابِي
أَقْوَى فَإِنَّ مَرَّهَا يَمْزِقُنِي حَتَّى أَعُودَ كَنَدِيفِ ٱلْقُطْنِ
فَقَالَ لِلشَّمَالِ ذَاكَ ٱلْقَوْلَا فَقَالَتِ ٱلْجِبَالُ مِنِّي أَوْلَى
لِأَنَّهَا ثَابِتَةٌ لَا تَنْزَعِجْ وَإِنْ عَصَفَتْ زَعْزَعًا لَا تَخْتَلِجْ
فَعِنْدَ ٱلْجِبَالَ قَالَتْ أَقْوَى مِنِّي ٱلَّذِي يَنْقُبُنِي فَأَخْوَى
فَعِنْدَهَا ٱخْتَارَ زَوْجًا جُرَذَا فَقَالَ إِذْ أَخْبَرَهُ يَا حَبَّذَا
لَكِنَّهَا كَبِيرَةٌ جَسِيمَهْ وَكُوَّتِي صَغِيرَةٌ ذَمِيمَهْ
فَكَيْفَ فِي جُحْرِيَ هٰذِي تَدْخُلُ فَهَاتِ خَبِّرْنِي بِهَا مَا أَفْعَلُ
قَالَ لَهَا ٱلنَّاسِكُ يَا طَرَّارَهْ تَرْضَيْنَ مِنِّي أَنْ تَعُودِي فَارَهْ
قَالَتْ نَعَمْ فَسَأَلَ ٱللهَ لَهَا فَتَبِعَتْ مِنْ بَعْدِ حِينٍ أَصْلَهَا
فَمَا أَقَرَّ ٱلْقَوْمُ بِٱلتَّصْدِيقِ وَكَذَّبُوا لِعَدَمِ ٱلتَّوْفِيقِ
وَلَمْ يَزِدْ إِلَّا عُلُوًّا عِنْدَهُمْ قَدْ مَحَضُوهُ بِرَّهُمْ وَوِدَّهُمْ
فَعِنْدَ مَا حَقَّقَ مَا أَرَادَا وَبَلَغَ ٱلْمَقْصُودَ وَٱلْمُرَادَا
وعَرَفَ ٱلْأَخْبَارَ وَٱلْأَسْرَارَا وَعَلِمَ ٱلْعَادَاتِ وَٱلدِّيَارَا
إِنْسَلَّ يَوْمًا مِنْهُمُ عَلَى حَذَرْ ثُمَّ أَتَى ٱلْغِرْبَانَ يَسْعَى بِٱلْخَبَرْ
قَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ سُكَارَى فِي سَرَبٍ فَأَضْرِمُوهُ نَارَا

فحملوا ما وجدوا من الحطب وجاء بالنفط إلى باب السرب

وأضرم النار به فمن مرق

«أُردي ومن رابط في الكهف اختنق» (١)

وعدن يسحبن الذيول بطرا وقد سكرن إذ رزقن الظفرا

ثمت قال ملك الغربان أحسنت عمري غاية الإحسان

كيف احتملت سوء أخلاق البوم وهم كما تعرفهم من اللوم

وليس مثل صحبة الأشرار بلية قط على الأخيار

« فإنه يقال لذع النار أهنا من الجوار للأشرار »

قال له إن الحكيم العاقلا من يقتدي لمثل فعلي فاعلا

فيحمل العبء الثقيل صابرا عساه أن يصبح يوما ظافرا

يحمل ثقل المحن الشديده لحسن ما يرجو من المكيده

لا يكره الخضوع والتذللا إذ يحمل الخطب المهم المعضلا

«حتى يسال السؤل من حاجته مغتبطا بحسن خاتمته »

قال له كيف عقول القوم قال جديرة كلهم باللوم

---

(١) كان الاصل :

. . . فمن صبر مات ومن فرّ الى الباب نحر

لَمْ أَرَ فِيهِمْ عَاقِلاً رَشِيدَا   إِلاَّ ٱلَّذِي أَلْفَيْتُهُ شَدِيدَا

لَوْ عَقَلُوا لَفَكَّرُوا فِي أَمْرِي   فَإِنَّنِي عِنْدَكَ عَالِي ٱلْقَدْرِ

ذُو رُتْبَةٍ مَحْسُودَةٍ مَغْبُوطَهْ   لَدَيْكَ وَٱلْأُمُورُ بِي مَنُوطَهْ

فَلاَ عَقَلْنَ كَٱللَّبِيبِ ٱلْعَاقِلِ   وَلاَ سَمِعْنَ كَٱلرَّقِيعِ ٱلْجَاهِلِ

وَلاَ كَتَمْنَ قَطُّ عَنِّي سِرَّا   كَأَنَّهُنَّ قَدْ أَمِنَّ ٱلْمَكْرَا

«يَجْهَلْنَ قَوْلَ ٱلْعُلَمَا ٱلْأَفَاضِلِ   ٱلْحُكَمَاءِ ٱلْأَتْقِيَا ٱلْأَمَاثِلِ»

«عَلَى ٱلْمَلِيكِ أَنْ يَصُونَ أَمْرَهُ   بِكَتْمِهِ عَنِ ٱلْجَمِيعِ سِرَّهُ»

وَقَوْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّبِيبَ مَنْ كَتَمْ   أَسْرَارَهُ عَنِ ٱلْحَكِيمِ ٱلْمُتَّهَمْ

وَصَانَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا   يَسْتَعْمِلُ ٱلْإِنْسَانُ حَتْماً جَزْمَا

فَعَادَ فِي مَجْلِسِهِ بَعِيدَا   مُنْفَرِدًا بِشَانِهِ وَحِيدَا

قَالَ لَهُ ٱلْأَمِيرُ إِنَّ مَنْ ظَفِرْ   بَغَى وَلَمْ يَخْشَ ٱلزَّمَانَ وَبَطِرْ

«عِنْدِي أَنَّ ٱلْبُومَ لَمَّا ٱنْتَصَرُوا   بَغَوْا لِذَاكَ هَلَكُوا وَٱنْدَثَرُوا»

«قَالَ نَعَمْ فَقَلَّ مَنْ نَالَ ٱلظَّفَرْ   وَمَا رَأَى فِي ٱلظُّلْمِ إِدْرَاكَ ٱلْوَطَرْ»

كَذَاكَ مَنْ يَحْرِصْ عَلَى ٱلنِّسَاءِ   «تَكْشِفُ مَسَاوِيهِ بِلاَ مِرَاءِ»

وَقَلَّ مَنْ أَسْرَفَ فِي ٱلطَّعَامِ   وَمَا ٱعْتَرَاهُ طَارِقُ ٱلْأَسْقَامِ

وَقَلَّ مَنْ لاَ يُرْتَضَى وَزِيرُهُ   إِلاَّ وَسَاءَ عَاجِلاً تَدْبِيرُهُ

لاَ يَطْمَعَنْ ذُو الْكِبْرِ فِي الثَّنَآءِ ... كَلاَّ وَلاَ الْخَوَّانُ فِي الْإِخَاءِ

وَلاَ الشَّحِيحُ فِي الْهَدَايَا وَالتُّحَفْ ... وَلاَ الْجَهُولُ فِي الْمَعَالِي وَالشَّرَفْ

وَلاَ الْحَرِيصُ الْمُشْتَهِي فِي النُّسْكِ ... وَلاَ الرَّكِيكُ فِي ثَبَاتِ الْمُلْكِ

قَالَ لَهُ لَقَدْ حَمَلْتَ ثِقْلاَ ... مِنْهُنَّ إِذْ أَظْهَرْتَ ذَاكَ الذُّلاَّ

قَالَ لَهُ مَنْ حَمَلَ الثَّقِيلاَ ... لِحَاجَةٍ كَانَ بِهَا كَفِيلاَ

« وَأَبْعَدَ النَّخْوَةَ وَالْحَمِيَّةْ ... عَنْ نَفْسِهِ لِيُدْرِكَ الْأُمْنِيَّةْ »

« يَكُونُ غِبُّ رَأْيِهِ مَحْمُودَا ... وَإِنْ غَدَا قَرِيبُهُ بَعِيدَا »

« حَمْلُ الْعَدُوِّ فَوْقَ أَعْلَى الرَّاسِ ... عِنْدِي أَمْرٌ هَيِّنُ الْمِرَاسِ »

« إِنْ كُنْتُ أَرْجُو رَاحَةً فِي ذَاكَا ... أَوْ أَنْ يُلاَقِي خَصْمِيَ الْهَلاَكَا »

وَذَاكَ كَالْأَسْوَدِ لَمَّا احْتَمَلاَ ... فِي ظَهْرِهِ الضِّفْدِعَ يَبْغِي الْأُكُلاَ

قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ قَالَ أَسْوَدُ ... شَاخَ إِلَى أَنْ عَادَ ضَعْفًا يُرْعَدُ

وَتَرَكَ الصَّيْدَ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ... قُوتٍ فَمَرَّ طَالِبًا تَحَمُّلاَ

فَجَآءَ يَوْمًا مَا إِلَى غَدِيرِ ... ضِفْدِعُهُ ذُو عَدَدٍ كَثِيرِ

قَدْ كَانَ يَأْتِيهِ قَدِيمًا صَائِدَا ... فَقَامَ بِالْقُرْبِ حَزِينًا مَائِدَا

قَالَ لَهُ مِنَ الْغَدِيرِ ضِفْدِعُ ... لِمْ قَدْ جَزِعْتَ وَالْفَتَى لاَ يَجْزَعُ

قَالَ لِأَنِّي كُنْتُ جَلْدًا رَاتِعَا ... وَكَانَ صَيْدِي كُلُّهُ الضَّفَادِعَا

ثُمَّ ٱبْتُلِيتُ وَٱلْكَرِيمُ يُبْتَلَى بِمِحْنَةٍ قَدْ صِرْتُ فِيهَا مَثَلَا
حُرِمْتُ أَكْلَ ٱلضِّفْدِعِ ٱلشَّهِيِّ عُقُوبَةً مِنْ رَبِّيَ ٱلْقَوِيِّ
فَٱنْصَرَفَتْ إِلَيْهِمِ مُبَشِّرَهْ بِقَوْلِهِ وَأَخْبَرَتْهُمْ خَبَرَهْ
فَجَاءَهُ كَبِيرُهُمْ فَقَالَ لَهْ وَأَظْهَرَ ٱلْإِلْحَاحَ فِي ٱلْمُسَاءَلَهْ
مَا كَانَ مِنْ أَمْرِكَ قَالَ ٱلْأَسْوَدُ إِنِّيَ فِي أَكْلِهِمِ لَا أَجْهَدُ
وَلَا أُطِيقُ صَيْدَهُمْ بِحِذْقِي وَلَا يَسُوغُ لَحْمُهُمْ فِي حَلْقِي
إِلَّا ٱلَّذِي بِهِ يَجُودُ ٱلْمَلِكُ عَلَيَّ فَهْوَ لِحَيَاتِي مُمْسِكُ
قَالَ وَلِمْ قَالَ تَبِعْتُ ضِفْدِعَا فَجَاءَ بَيْتَ نَاسِكٍ لِيَمْنَعَا
وَجِئْتُ أَسْعَى خَلْفَهُ فَلَاحَ لِي طِفْلٌ فَجِئْتُ نَحْوَهُ لَا آتَلِي
حَتَّى عَضَضْتُ كَفَّهُ فَمَاتَا فَٱجْتَمَعُوا وَرَفَعُوا ٱلْأَصْوَاتَا
فَقَامَ يَدْعُو ٱللّٰهَ أَنْ يُذِلَّنِي وَأَنْ يُطِيلَ فَاقَتِي وَحَزَنِي
وَأَنْ أَكُونَ كَٱلذَّلِيلِ ٱلْخَاضِعِ وَمَرْكَبًا لِمَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ
لَا أَسْتَطِيعُ أَكْلَهَا مَا لَمْ تَكُنْ بِأَمْرِهِ مِنْ بَيْنِ ٱلنَّاسَ يَمُنْ
فَجِئْتُ كَيْ تَرْكَبَنِي كَمَا دَعَا فَمَا تَرَانِي أَبَدًا مُمْتَنِعَا
فَظَنَّ فِي رُكُوبِهِ فَخْرًا لَهُ وَيْحٌ لَهُ ٱلْجَاهِلُ مَا أَغْفَلَهْ
وَصَارَ تَحْتَ سَرْجِهِ وَجُلِّهِ يَرْكَبُهُ فِي ظَعْنِهِ وَحِلِّهِ

قَالَ لَهُ لَا بُدَّ لِي مِنْ قُوتِ　　وَقَدْ سَكَتُّ لَوْ كَفَى سُكُوتِي

مَنْ حَبَسَ ٱلْعَبْدَ بِلَا قُوتٍ ظَلَمْ　　لَا يَقْتَضِي ذَاكَ ٱلنُّهَى وَلَا ٱلْكَرَمْ

كَيْفَ يَعِيشُ أَحَدٌ بِلَا قُوتْ　　أَلرِّزْقَ أَبْغِي مِنْكَ لَيْسَ يَاقُوتْ

إِمَّا تُقَرِّرْ لِي مَا يَكْفِينِي　　أَوْ خَلِّنِي إِنْ كُنْتَ تَجْتَوِينِي

فَكُلَّ يَوْمٍ أَشْتَكِي وَتَضْجَرُ　　وَحَالُنَا بِغَيْرِ هٰذَا أَجْدَرُ

قَالَ لَهُ قُلْتَ ٱلصَّوَابَ جِدًّا　　مَنْ طَلَبَ ٱلْقُوتَ فَمَا تَعَدَّى

أَبَعْدَ مَا خَدَمْتَنَا أَعْوَامَا　　مُتَّخِذًا جَنَابَنَا مَقَامَا

وَشَاعَ بَيْنَ ٱلْحَيَوَانِ أَنَّكَا　　مِنَّا وَأَنَّا قَدْ حَمَلْنَا ثِقْلَكَا

تَرْجِعُ عَنَّا فَيُقَالُ مَا وَجَدْ　　خَيْرًا فَعَادَ صَادِرًا كَمَا وَرَدْ

فَمَا ٱلَّذِي يَكْفِيكَ فَٱلْكِفَايَهْ　　أَدْنَى ٱلَّذِي عِنْدِي مِنَ ٱلرِّعَايَهْ

فَقَرَّرَا ٱلْأَمْرَ بِضِفْدِعَيْنِ　　فِي ٱلْيَوْمِ يُؤْتَى بِهِمَا كَٱلدَّيْنِ

وَعَاشَ فِي خِصْبٍ وَمَا أَخْزَاهُ　　خُضُوعُهُ إِذْ جَرَّ مَا أَجْزَاهُ

وَكَذَاكَ صَبْرِي كَانَ بَيْنَ ٱلْبُومِ　　لِمَا رَجَوْتُ لَيْسَ بِٱلْمَذْمُومِ

"وَقَدْ وَجَدْتُ صَرْعَةَ ٱلْمُمَاكَرَهْ　　أَقْتَلَ لِلضِّدِّ مِنَ ٱلْمُكَابَرَهْ"

كَٱلنَّارِ لَا تُحْرِقُ أَصْلَ ٱلشَّجَرَهْ　　كَلَّا وَلَا عُرُوقَهَا ٱلْمُسْتَتِرَهْ

وَٱلْمَاءُ بِٱللِّينِ وَبَرْدِ ٱلطَّبْعِ　　مُسْتَأْصِلٌ عُرُوقَهَا بِٱلْقَلْعِ

أَرْبَعَةٌ قَلِيلُهَا كَثِيرُ ‏ ‏ ‏ لَيْسَ لِمَا أَقُولُهُ نَكِيرُ

أَلنَّارُ وَالْعَدُوُّ وَالدَّيْنُ إِذَا ‏ ‏ ‏ جَآءَ الْغَرِيمُ يَقْتَضِيهِ وَالْأَذَى

قَالَ لَهُ لَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلَا ‏ ‏ ‏ عُدْتَ بِهِ أَوْفِي الْأَنَامِ فَضْلَا

قَالَ لَهُ ذَاكَ لِسَعْدِ جَدِّكَا ‏ ‏ ‏ مَتَّعَنَا اللّٰهُ بِعَالِي مَجْدِكَا

قَدْ قِيلَ إِنْ يَسْعَ لِأَمْرٍ إِثْنَانْ ‏ ‏ ‏ يَظْفَرْ بِهِ أَوْلَاهُمَا بِالْإِحْسَانْ

وَإِنْ هُمَا تَسَاوَيَا فِي الْمَجْدِ ‏ ‏ ‏ يَظْفَرْ بِهِ النَّدْبُ السَّعِيدُ الْجَدِّ

وَقِيلَ مَنْ عَادَى الْهُمَامَ الْحَازِمَا ‏ ‏ ‏ أَلْفَاضِلَ الْبَرَّ التَّقِيَّ الْعَازِمَا

أَلْمُقْبِلَ الْمُؤَيَّدَ السَّعِيدَا ‏ ‏ ‏ فَقَدْ غَدَا هَلَاكُهُ أَكِيدَا

لَا سِيَّمَا مِثْلُكَ فِي الْعَلَآءِ ‏ ‏ ‏ وَالْفَضْلِ وَالتَّدْبِيرِ وَالدَّهَآءِ

قَالَ لَهُ لَا بَلْ بِحُسْنِ رَايِكَا ‏ ‏ ‏ وَعَقْلِكَ الْمُخْبِرِ عَنْ دَهَائِكَا

فَالرَّجُلُ اللَّبِيبُ فِي الْأَعْدَآءِ ‏ ‏ ‏ أَبْلَغُ مِنْ أَلْفٍ ذَوِي عَنَآءِ

وَأَعْجَبُ الْأَشْيَآءِ أَنْ لَمْ تَغْلَطِ ‏ ‏ ‏ بِلَفْظَةٍ لَدَيْهِمِ وَتَفْرُطِ

قَالَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ تَأْدِيبِكَا ‏ ‏ ‏ يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى وَمِنْ تَهْذِيبِكَا

«أَصْحَبُ كُلَّ النَّاسِ بِالْمُلَايَنَهْ ‏ ‏ ‏ وَالرِّفْقِ وَالْوِفَاقِ وَالْمُهَادَنَهْ»

قَالَ لَهُ أَنْتَ وَزِيرُ الْعَمَلِ ‏ ‏ ‏ وَكُلُّهُمْ لِلْقَوْلِ ذُو تَعَمُّلِ

قَالَ الْغُرَابُ لَيْسَ لِلسَّقِيمِ ‏ ‏ ‏ رَوْحٌ بِمَشْرُوبٍ وَلَا مَطْعُومِ

وَلَا ٱلَّذِي أَطْمَعَهُ ٱلسُّلْطَانُ وَهُوَ أَكُولٌ شَرِهٌ خَوَّانُ

يَقْنَعُ حَتَّى يُنْجِزَ ٱلْمَوْعُودَا وَلَا عَدُوٌّ يَرْهَبُ ٱلْحَسُودَا

" يَرْتَاحُ قَبْلَ أَنْ يُبِيدَ خَصْمَهُ إِنْ مَاتَ أَضْحَى فِي رَخَاً وَنِعْمَهْ "

مَنْ أَقْلَعَتْ حُمَّاهُ زَالَ كَرْبُهُ مَنْ وَضَعَ ٱلثِّقْلَ ٱسْتَرَاحَ صُلْبُهُ

مَنْ أَمِنَ ٱلْعَدُوَّ طَابَ قَلْبُهُ مَنْ حَارَبَ ٱلرِّجَالَ طَالَ خَطْبُهُ

فَأَسْأَلُ ٱللّٰهَ ٱلَّذِي أَهْلَكَهُ أَنْ يُمْتِعَ ٱلْمَوْلَى بِمَا مَلَّكَهُ

وَأَنْ يُقِرَّ عَيْنَهُ بِذَلِكَا فَيَمْلِكُ ٱلرِّجَالَ وَٱلْمَمَالِكَا

" فَإِنَّمَا ٱلْمَلْكُ إِذَا لَمْ يَكُنِ قُرَّةَ عَيْنِ شَعْبِهِ وَٱلْوَطَنِ "

" مَثَلُهُ زَنَمَةُ ٱلْعَنْزِ ٱلَّتِي يَمُصُّهَا ٱلْجَدْيُ بِلَا مَنْفَعَةِ "[1]

قَالَ فَقُلْ لِي كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهْ قَالَ كَمَا سَارَتْ بِهِ عَشِيرَتُهْ

عَسْفٌ وَخُرْقٌ وَٱغْتِرَارٌ وَبَطَرْ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ فِي ٱلْأُمُورِ وَنَظَرْ

مَا كَانَ فِيهِمْ عَاقِلٌ نِحْرِيرُ إِلَّا ٱلَّذِي بِمُهْلِكِي يُشِيرُ

قَالَ فَصِفْ لِي خُلُقَ ٱلْوَزِيرِ ذَاكَ ٱلْمُشِيرِ ٱلْحَسَنِ ٱلتَّدْبِيرِ

---

(١) كان الأصل :

فانما الملك الذي لا يؤمن بـلاوه فهو ضعيف هيّن

كذنب العنز الذي يمصه الجدي قد طال عليه حرصه

قَالَ رَأَيْتُ فِيهِ مَعْ دَهَائِهِ ... لِينًا وَرِفْقًا مَعْ صَوَابِ رَايِهِ
مِنْ غَيْرِ مَا خُرْقٍ وَلَا مُكَابَرَهْ ... بَلْ حُجَّةٌ تَظْهَرُ فِي ٱلْمُشَاوَرَهْ
وَلَمْ يَكُنْ يَعْصِيهِ فِي مَقَالِهِ ... بَلْ يُحْسِنُ ٱلسَّمْعَ إِلَى مِثَالِهِ
إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعِيبَ فِعْلَهُ ... عَابَ سِوَاهُ وَٱسْتَزَلَّ عَقْلَهُ
فَعِنْدَهَا يَعْلَمُ أَنْ قَدْ قَصَدَهْ ... فَيَنْتَهِي طَوْعًا إِلَى مَا أَوْرَدَهْ
وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمِ ... «مَقَالَةً فِي نُصْحِ رَأْسِ ٱلْقَوْمِ»
«حَاوِيَةً كُلَّ صُنُوفِ ٱلْحِكْمَهْ ... مُظْهِرَةً لِلْعَاقِلِينَ فَهْمَهْ»
قَالَ لَهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ ... طُولَ ٱلْمَدَى إِغْفَالُ أَمْرِ ٱلْمُلْكِ
«فَإِنَّمَا ٱلْمُلْكُ عَظِيمُ ٱلْخَطَرِ ... يُدْرَكُ بِٱلْحَزْمِ وَحُسْنِ ٱلنَّظَرِ»
«مَنْ نَالَهُ فَلْيُحْسِنِ ٱلتَّحْصِينَا ... لَهُ يَكُنْ بِمُلْكِهِ مَكِينَا»
«فَإِنَّهُ فِي سُرْعَةِ ٱلْإِدْبَارِ ... كَٱلظِّلِّ لَيْسَ دَائِمَ ٱلْقَرَارِ»
«وَإِنَّهُ فِي قِلَّةِ ٱلثَّبَاتِ ... كَصُحْبَةِ ٱلْخَوُونِ لِلثِّقَاتِ»
«وَإِنَّهُ فِي سُرْعَةِ ٱلزَّوَالِ ... يَكُونُ كَٱلْحَبَابِ فِي ٱلْمِثَالِ» (١)

(١) كان في الأصل:

لقد سمعت منه ذات يوم ... مقالة تمنع طيب النوم
لا تغفلن حاله وامره ... فما أمنت كيده وشره

بَابُ

ٱلْقِرْدِ وَٱلْغَيْلَمِ

وَهُوَ بَابُ

ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ حَتَّى إِذَا ظَفِرَ بِهَا
أَضَاعَهَا

قَالَ لَهُ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَا ... فَٱضْرِبْ سِوَاهُ وَاضِحًا مُفَصَّلَا
فِي رَجُلٍ لَجَّ لِكَسْبِ أَمْرِ ... بِكَثْرَةِ ٱلْجِدِّ وَحُسْنِ ٱلصَّبْرِ
حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ مَا أَرَادَهُ ... أَضَاعَهُ وَأَبْطَلَ ٱجْتِهَادَهُ
فَكَانَ قَوْلُ ٱلْفَيْلَسُوفِ بَيْدَبَا ... وَهْوَ إِذَا مَا قَالَ قَوْلًا أَسْهَبَا
إِنَّ ٱكْتِسَابَ ٱلْحَاجَةِ ٱلْمَطْلُوبَهْ ... أَيْسَرُ مِنْ إِحْرَازِهَا مَكْسُوبَهْ
وَإِنَّ مَنْ أَضَاعَ مَا قَدْ وَجَدَهْ ... كَغَيْلَمٍ رَامَ قُلُوبَ ٱلْقِرَدَهْ

فان مـا جاء به جسيم ... لا يهتدي لمثله حكيم
وهو خفيف ليس ذا قرار ... كالقرد في الاقبال والادبار
والريح او كصحبة البغيض ... والخوف مثل الحية المهيض
يسرع في الأمر كصل الماء ... يرهب وقع مطر السماء

حَتَّى إِذَا فَازَ بِهَا أَضَاعَهَا | وَلَيْسَ يَرْجُو دَهْرَهُ ٱرْتِجَاعَهَا
قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ قَالَ زَعَمُوا | أَنَّ قُرُوْدًا لَهُمُ مُقَدَّمُ
شَابَ وَعَادَ هَرِمًا ضَعِيفًا | فَٱسْتَبْدَلُوا مِنْهُ فَتًى غِطْرِيفًا
وَأَخْرَجُوا ٱلشَّيْخَ فَجَآءَ ٱلسَّاحِلَا | يَرْعَى بِهِ هُنَاكَ تِينًا مَاثِلَا
فَسَقَطَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ يَدِهِ | فِي ٱلْمَآءِ لَمَّا لَجَّ فِي مَصْعَدِهِ
فَفَرِحَ ٱلْقِرْدُ لِصَوْتِ وَقْعِهَا | فَلَجَّ فِي إِلْقَائِهَا وَقَطْعِهَا
وَكَانَ فِي ٱلْمَآءِ قَرِيبًا غَيْلَمُ | يَأْكُلُهُ وَهْوَ بِهِ لَا يَعْلَمُ
فَظَنَّهُ يَطْرَحُهُ مُعْتَمِدَا | لِأَجْلِهِ مُرُوَّةً فَحَمِدَا
وَجَآءَهُ فَٱلْتَزَمَا وَٱعْتَنَقَا | وَٱتَّحَدَا مَوَدَّةً وَٱتَّفَقَا
فَلَمْ يَعُدْ إِلَى بَنِيـــهِ ٱلْغَيْلَمُ | وَعِرْسُهُ حَزِينَةٌ لَا تَعْلَمُ
ثُمَّ شَكَتْ إِلَى فَتَاةٍ عَاقِلَهْ | قَائِلَةً أَخْشَى ٱلْمَنَايَا ٱلْعَاقِلَهْ
قَالَتْ لَهَا سَمِعْتُ أَنْ قَدْ أَلِفَا | قِرْدًا فَظَلَّ عِنْدَهُ مُعْتَكِفَا
فَأَجْزِيهِ هَجْرًا وَصُدُوْدًا إِذْ هَجَرْ | وَٱسْتَبْدِلِي ثُمَّ ٱغْدِرِي كَمَا غَدَرْ
وَإِنْ عَمِلْتِ فِي هَلَاكِ ٱلْقِرْدِ | «أَصَبْتِ إِنْ وُفِّقْتِ عَيْنَ ٱلرُّشْدِ»
وَإِنَّهَـــا تَمَارَضَتْ أَيَّامَا | «مَعْ أَنَّهَا لَا تَشْتَكِي سَقَامَا»
وَقَدِمَ ٱلْغَيْلَمُ وَهْيَ شَاحِبَهْ | نَحِيلَةُ ٱلْجِسْمِ تُظَنُّ عَاطِبَهْ

فقالَ ما عرَاكِ وَهيَ مطرِقَهْ ثُمَّ أَعادَ مظهرًا فرْطَ ٱلمقَهْ
قالَتْ لهُ جارَتُها أَصابَها دَآءٌ أَطالَ مكثُهُ عذابَها
دَآءٌ دوِيٌّ ما لهُ دوَآءٌ وَلاَ لِمن خامرَهُ شفَآءٌ
قالَ وَما دوَاؤُهُ فأَطلُبُهْ «عليَّ لوْ كانَ عسيرًا جلبُهْ»(١)
قالَتْ لهُ ٱلدوَآءُ قلبُ قرْدِ فإِنَّهُ يشفِي عظيمَ ٱلجُهْدِ
فٱفتكرَ ٱلغيلَمُ ثُمَّ قالاَ ما كُنتُ قطُّ غادِرًا محتالاَ
إِمَّا أَخِي أَقتلُهُ أَوْ عرْسِي وَما تطيبُ بِٱلجميعِ نفسِي
وَقالَ منْ بعدُ إِذا ٱلحرُّ ٱبتلِي بمعضِلٍ منَ ٱلأُمورِ مشكلِ
إِحتمَلَ ٱلصِغارَ للكِبارِ وَليسَ أَخذِي قلبَهُ بعارِ
وَحقُّ قرْدٍ دونَ حقِّ ٱلأَهلِ فٱلرَّأْيُ أَنْ أَخصَّهُ بِٱلقتلِ
ثُمَّ أَتى ٱلساحِلَ وَهوَ قائِلُ غدرٌ قبيحٌ وَسفاهٌ عاجِلُ
أَبعدَ ما أَصفيتُهُ ودادِي وَصارَ مثلَ ٱلأَخِ وَٱلأَوْلادِ
وَشاعَ أَنِّي خدنُهُ وَخِلُّهُ يجوزُ فِي حقِّ صغيرٍ قتلُهُ
وَإِنَّنِي أَخافُ سوءَ ٱلعاقبَهْ وَمحنةً منَ ٱلسمآءِ نائبَهْ
حتَّى إِذا ما جاءَهُ وَسآءَهُ لِمَ ٱحتبَستَ أَظهرَ ٱلمعاتلَهْ

---

(١) كان الاصل : عليَّ ان ادركته لاجلبه

إني لأستحييك من تقصيري ... في شكر حسن برك الكثير
ان لم تكن تبغي جزاء البر ... فالحر لا يجهل قدر الحر
وإنني أعرف ما يلزمني ... بغير شك من جزاء المحسن
وإنما أنت من السخاء ... تفعل لا لطلب الجزاء
إن الكرام يبذلون الكرما ... طبعا ولا يبغون منه مغنما
«ان شئت أن تزورني في منزلي ... تكون قد بالغت في التفضل»
قال له القرد لك التفضل ... ومنك قد كان الصفاء الأول
فإنني جئتك كالطريد ... الهارب المحير الشريد
فكنت لي دون الأنام سكنا ... وصار لي هذا المكان وطنا
«وما يريد الحب من محبه ... جزاءه إلا ازدياد حبه»
«وأن يكون وده مبذولا ... وما سواه يغتدي فضولا»
قال له الغيلم ود الإخوان ... مذ كان يزداد بمر الأزمان
«وإنما اجتماعنا على الطعام ... وشربنا سوية كؤس المدام»
«يؤكد الوداد والمحبة ... ومثبت للدهر عقد الصحبة»(١)

---

(١) كان هنا بعض ابيات وقد حذفتها لعدم مطابقتها النثر ولتشتت معانيها

«أَلاَ تَرَى أَنَّ الدَّوَابَّ الْهَامِلَهْ إِذَا اغْتَدَتْ لِبَعْضِهَا مُؤَاكِلَهْ»
«تَآلَفَتْ مَعْ بَعْضِهَا وَلاَ نَسَبْ يَضُمُّهَا اجْتِمَاعُهَا كَانَ السَّبَبْ»[1]
وَمِنْ كَلاَمِ الْفَاضِلِ الصَّدُوقِ لاَ تُكْثِرِ الْحَمْلَ عَلَى الصَّدِيقِ
فَيُوجِبُ الْمَلاَلَ وَالتَّبَرُّمَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ مُحِبًّا مُكْرِمَا
فَالْعِجْلُ إِنْ أَكْثَرَ مَصَّ أُمِّهِ تَبَرَّمَتْ وَبَالَغَتْ فِي صَرْمِهِ
وَلَمْ أَقُلْ ذَاكَ سِوَى لِأَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَزُورَنِي فَزُرْنِي
فَإِنَّمَا بَيْتِيَ فِي جَزِيرَهْ مُعْشِبَةٍ أَشْجَارُهَا كَثِيرَهْ
فَامْنُنْ عَلَيَّ وَاتَّخِذْنِي مَرْكَبَا تَجِدْ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَمْرًا عَجَبَا
فَطَمِعَ الْقِرْدُ وَمَا زَالَ الطَّمَعْ يَقْتُلُ إِلاَّ ذَا الْعَفَافِ وَالْوَرَعْ
«أَرْكَبَهُ الْغَيْلَمُ فَوْقَ ظَهْرِهِ وَسَارَ وَالسُّرُورُ مِلْءُ صَدْرِهِ»
وَعَبَرَ الْبَحْرَ فَلَمَّا لَجَّجَا فَكَّرَ فِي الأَمْرِ فَظَلَّ مُحْرَجَا
يَقُولُ مَا أَقْبَحَ مَا فَعَلْتُهُ إِذَا أَنَا بَعْدَ الْوَلاَ قَتَلْتُهُ
مِنْ أَجْلِ أُنْثَى فِي الإِنَاثِ كَثْرَهْ إِنَّ النِّسَاءَ أَصْلُ كُلِّ عَثْرَهْ
«قَالَ حَكِيمٌ نَادِرُ النَّظِيرِ يُخْتَبَرُ الذَّهَبُ وَسْطَ الْكُورِ»

---

(١) كان الاصل :

ان البغال والحمير الهامله مدى الزمان بينهـا مؤاكله

« وَالنَّاسُ بِالأَخْذِ وَبِالعَطَاءِ ... تَبِينُ أَقْدَارُهُمْ لِلرَّائِي »

« وَتَظْهَرُ الدَّوَابُّ لِلْخَبِيرِ ... أَقْدَارُهَا بِالْحَمْلِ وَالْمَسِيرِ »

«وَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ امْرُؤٌ يُجَرِّبُ ... مَكْرَ النِّسَا بِكَيْدِهِنَّ يَغْلِبُ»

فَإِذْ رَأَى القِرْدُ احْتِبَاسَ الغَيْلَمِ ... «قَالَ لِمَ احْتَبَسْتَ يَاذَا الكَرَمِ »

« أَرَاكَ مُهْتَمًّا شَدِيدَ الغَمِّ ... تُقَلِّبُ الفِكْرَ فَقَالَ هَمِّي »

« لِأَنَّنِي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي ... مَرِيضَةٌ وَاقِعَةٌ فِي عِلَّةِ »

« تَمْنَعُهَا مِنْ فِعْلِ كُلِّ مَا يَجِبْ ... مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ لِمَنْ أُحِبّ»

« فَقَــالَ لَا تَهْتَمَّ لِي فَإِنَّمَا ... أَدْرِي وَيَدْرِي كُلُّ مَنْ تَحْتَ السَّمَا»

« أَنَّكَ سَمْحٌ تَبْذُلُ الآلافَا ... لِتُكْرِمَ الزُّوَّارَ وَالأَضْيَافَا »

« فَإِنْ يَعُقْكَ عَائِقٌ لَمْ تَكُنِ ... أَنْتَ المَلُومَ بَلْ صُرُوفُ الزَّمَنِ»

« فَسَبَحَ الغَيْلَمُ ثُمَّ وَقَفَا ... ثَانِيَةً مُحَيَّرًا مُرْتَجِفَا »

«فَسَاءَ ظَنُّ القِرْدِ فِي ذَا الأَمْرِ ... وَقَالَ قَدْ هَمَّ بِأَمْرٍ نُكْرِ »

لَعَلَّهُ قَدْ حَالَ عَنْ وِدَادِهِ ... وَارْتَدَّ فِي الصِّدْقِ عَنِ اعْتِقَادِهِ

فَالقَلْبُ كُلَّ سَاعَةٍ يَنْقَلِبُ ... كَيْفَ يَصِحُّ النَّاسُ وَالدَّهْرُ الأَبُ

لَا بُدَّ لِلْعَاقِلِ مِنْ تَأَمُّلِ ... مَا فِي قُلُوبِ قَوْمِهِ لِيَبْتَلِي

فَإِنَّهُ يَحْدُثُ كُلَّ سَاعَةْ ... أَشْيَاءُ مَــا بَيْنَهُمْ قَطَّاعَةْ

وَقَالَ لِلغَيْلَمِ لِمْ لَا تَسْبَحُ قَالَ لَهُمْ فِي فُؤَادِي يَجْرَحُ

إِنَّ أُمُورِي كُلَّهَا مُخْتَلَّهْ إِذْ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ مُعْتَلَّهْ

وَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ أَمْرَ بَيْتِي فَهَا أَنَا مِنْ خَجَلِي كَالْمَيْتِ

قَالَ وَمَا عِلَّتُهَا وَدَاؤُهَا وَأَيُّ شَيْءٍ ذَكَرُوا دَوَاؤُهَا

فَمِنْ كَلَامِ الْفَاضِلِ الْحَكِيمِ الْمُرْتَضَى مَقَالُهُ الْعَلِيمِ

ثَلَاثَةٌ يُبْذَلُ فِيهَا الْمَالُ وَلَا يَجُوزُ الْبُخْلُ وَالْمَطَالُ

«فِي خِدْمَةِ الْمَلْكِ كَذَا فِي الصَّدَقَهْ ثُمَّ عَلَى الْأَهْلِ تَكُونُ النَّفَقَهْ»

قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ قَلْبُ قِرْدِ دَوَاؤُهَا وَلَيْسَ ذَاكَ عِنْدِي

« فَفَكَّرَ الْقِرْدُ وَقَالَ وَيْلِي فَقَدْتُ حَزْمِي وَشَدِيدَ حَيْلِي»

«مَعْ كِبَرِي فِي السِّنِّ قَدْ طَمِعْتُ لِذَا بِشَرٍّ وَرْطَةٍ وَقَعْتُ»

« قَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ لَمَّا قَالَا يَحْيَى الْقَنُوعُ مُطْمَئِنًّا بَالَا »

«أَمَّا الْحَرِيصُ فَيَعِشُ تَعِبَا وَكَيْفَ مَا مَالَ يُلَاقِي نَصَبَا »

«وَالْآنَ أَحْتَاجُ لِفِكْرِي الصَّائِبْ فِي الْوَرْطَةِ الْجَالِبَةِ الْمَصَائِبْ»

ثُمَّتَ قَالَ الْقِرْدُ لِمْ لَمْ تَذْكُرِ هٰذَا وَلَمْ تُخْبِرْنِيَ قَبْلَ الْمَعْبَرِ

قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ أَيْنَ قَلْبُكَا فَقَالَ فِي التِّينَةِ ظَلَّ لِبُكَا

قَالَ وَلِمْ تَرَكْتَهُ هُنَاكَا قَالَ كَذَا الْعَادَةُ إِنْ زُرْنَاكَا

إِنَّا إِذَا زُرْنَا أَخَا لاَ نَحْمِلُ　　قُلُوبَنَا مِنْ خَوْفٍ مَا لاَ يُجْمَلُ

فَعُدْ لِكَيْ نَأْخُذَهُ لِأَنَّهْ　　فَرِيضَةٌ عِلاَجُهَا وَسُنَّهْ

فَفَرِحَ ٱلْغَيْلَمُ لَمَّا قَالاَ　　وَمَا دَرَى أَنَّ ٱللَّبِيبَ ٱحْتَالاَ

إِذْ سَمِعَ ٱلْمَكْرَ وَمَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ　　وَقَالَ قَدْ رُزِقْتُهُ بِلاَ عَذَلْ

إِنِّيَ قَدْ كُفِيتُ عَارَ ٱلْغَدْرِ　　وَزَالَ عَنِّي ٱلآنَ ضِيقُ ٱلصَّدْرِ

لِأَنَّهُ يَبْذُلُهُ مُخْتَارَا　　فَقَدْ كَفَانِي ٱلْعَارَ وَٱلشَّنَارَا

فَٱحْفَظُ ٱلزَّوْجَةَ وَٱلصَّدِيقَا　　وَأَجْمَعُ ٱلْحَقَّيْنِ قَوْلاً مُوثَقَا

فَرَدَّهُ مُجْتَهِدًا مِنْ سَاعَتِهْ　　وَبَذَلَ ٱلْمَجْهُودَ فِي سَبَاحَتِهْ

وَصَعِدَ ٱلْقِرْدُ فَطَالَ مَكْثُهُ　　وَٱلْغَيْلَمُ ٱلأَحْمَقُ يَسْتَحِثُّهُ

إِنْزِلْ لِكَيْ نَرْجِعَ يَا خَلِيلِي　　وَٱعْجَلْ فَإِنَّ ٱلْخَيْرَ فِي ٱلتَّعْجِيلِ

قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ تَظُنُّ أَنِّي　　مِثْلُ ٱلْحِمَارِ فَٱلَهُ عَنْ ذَا ٱلظَّنِّ

قَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ كَيْفَ كَانَا　　قَالَ سَمِعْتُ شَيْخَنَا فُلاَنَا

يَقُولُ كَانَ فِي مَكَانٍ أَسَدُ　　لَهُ ٱبْنُ آوَى تَابِعٌ مُجْتَهِدُ

يَأْكُلُ فَضْلَ صَيْدِهِ فَجَرِبَا　　وَعَادَ نِضْوًا قَلْبُهُ قَدْ نَخِبَا

قَالَ لَهُ خَادِمُهُ ٱبْنُ آوَى　　قَدْ كُنْتَ فِي ٱلْقُوَّةِ لاَ تُسَاوَى

فَلِمْ غَدَوْتَ نَاحِلاً ضَعِيفَا　　قَالَ جَرِبْتُ جَرَبًا عَنِيفَا

وَمَا لَهُ بِأَرْضِنَا دَوَاءُ   لِذَاكَ قَدْ أَعْضَلَ هٰذَا الدَّاءُ

دَوَاؤُهُ فِي زَعْمِهِمْ وَطِبِّهُ   أُذْنَا حِمَارٍ ذَكَرٍ وَقَلْبُهُ

قَالَ ابْنُ آوَى قَدْ رَأَيْتُ الْوَقْتَا   حِمَارَ قَصَّارٍ يَجُوزُ الْخَبْتَا

وَهَا أَنَا أَمْضِي وَآتِيكَ بِهِ   وَأَنْتَ أَدْرَى بَعْدَ ذَا بِقَلْبِهِ

قَالَ لَهُ أَسْرِعْ وَلَا تُؤَخِّرِ   وَاحْرِصْ عَلَى ذَاكَ وَلَا تُقَصِّرِ

فَسَارَ مِنْ سَاعَتِهِ مُهَرْوِلَا   حَتَّى رَآهُ فَدَنَا مُعَجِّلَا

« فَقَالَ لِلْحِمَارِ مَا هٰذَا الضَّعْفْ   هَزَالُكَ الشَّدِيدُ قَدْ فَاقَ الْوَصْفْ »

قَالَ لِفَرْطِ الْجُوعِ يَا مُعَنِّفِي   يَحْبِسُنِي هٰذَا بِغَيْرِ عَلَفِ

قَالَ وَلِمْ تَرْضَى بِهٰذِي الْحَالِ   قَالَ لَهُ الْحِمَارُ مَا احْتِيَالِي

قَالَ ابْنُ آوَى هٰهُنَا مَكَانُ   مُعْتَزَلٌ مَا دَاسَهُ إِنْسَانُ

وَهُوَ كَثِيرُ الْعُشْبِ عَذْبُ الْمَاءِ   « وَجَوُّهُ مُعْتَدِلُ الْهَوَاءِ »

« فِيهِ مِنَ الْحُمُرِ أَلْفُ وَاحِدِ   تَرْعَى وَتَرْوَى مِنْ زُلَالٍ بَارِدِ »

فَفَرِحَ الْحِمَارُ ثُمَّ قَالَا   فَاذْهَبْ بِنَا السَّاعَةَ وَاسْتَمَالَا

قَلْبَ ابْنِ آوَى بِكَلَامٍ طَيِّبِ   قَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي لَمْ أَرْغَبِ

مِنْ ذَاكَ إِلَّا فِي إِخَائِكَ الْحَسَنْ   لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكْ مَعَ الْجُوعِ الْوَطَنْ

فَانْطَلَقَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدْ   وَجَاءَهُ مُبَشِّرًا بِمَا وَجَدْ

فَطَفَرَ ٱللَّيْثُ عَلَيْهِ وَوَثَبْ وَلَمْ يُطِقْ ضَبْطَ ٱلْحِمَارِ فَهَرَبْ
قَالَ ٱبْنُ آوَى عَاذِلاً مُعَنِّفَا تَبًّا لِهٰذَا مَلِكًا مَا أَسْخَفَا
إِنْ كُنْتَ قَدْ آثَرْتَهُ بِهَرَبِهْ عَمْدًا فَلِمْ عَنَّيْتَنِي فِي طَلَبِهْ
وَإِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فَٱلْوَيْلُ لَنَا إِذْ كُنْتَ لَا تَضْبُطُ عَيْرًا زَمِنَا
فَقَالَ إِنْ قُلْتُ لَهُ تَرَكْتُهُ تَعَمُّدًا سَفَّهَ مَا فَعَلْتُهُ
أَوْ قُلْتُ مَا ضَبَطْتُهُ لِعَجْزِي هُنْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَاكَ ٱلْعِزِّ
فَقَالَ إِنْ رَدَدْتَهُ أَخْبَرْتُكَا بِخَبَرِي فِيهِ فَقَدْ أَرَبْتَكَا
فَقَالَ قَدْ جَرَّبَ مِنَّا ٱلْكَذِبَا شَرُّ ٱلْوَرَى مَنْ جَرَّبَ ٱلْمُجَرَّبَا
لٰكِنَّنِي أَلْطُفُ حَتَّى أَخْدَعَهْ فَرُبَّمَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُرْجِعَهْ
فَقَالَ لَمَّا جَآءَهُ ٱلْحِمَارُ إِنَّكَ يَا صَاحِبَنَا غَدَّارُ
« فَقَالَ إِنَّ أَحَدَ ٱلْحُمُرِ قَدْ رَآكَ إِبْنَ غُرْبَةٍ لَا ٱبْنَ ٱلْبَلَدْ»
«فَجَآءَ فِي ٱلْحَالِ لِكَيْ يُرَحِّبَا بِكَ فَكَانَ فِعْلُهُ مُسْتَصْوَبَا »
«وَلَوْ تَرَبَّصْتَ لَكَانَ لَاطَفَكْ وَكَانَ كُلُّ صَحْبِهِ قَدْ آلَفَكْ»
« فَصَدَّقَ ٱلْحِمَارُ مَا قَدْ سَمِعَا لِجَهْلِهِ لَمْ يَدْرِ أَنْ قَدْ خُدِعَا »
وَعَادَ لِلشُّؤْمِ ٱلَّذِي قَدْ حَبَسَهْ ثَانِيَةً فَدَقَّهُ وَٱفْتَرَسَهْ
وَقَالَ لَا أَسْتَعْمِلُ ٱلدَّوَآءَ إِلَّا إِذَا ٱسْتَعْمَلْتُ قَبْلُ ٱلْمَآءَ

إِحفَظهُ لِي يَا صَاحِ حَتَّى أَغتَسِلْ ثُمَّ أَعُودُ بِالدَّوَاءِ أَشتَغِلْ
فَآكُلُ الجَنَانَ وَالأُذنَينِ وَتَأكُلُ البَاقِيَ دُونَ مَينِ
وَمَرَّ يَبغِي المَاءَ قَصدًا فَأَكَلْ أُذنَيهِ وَالقَلبَ ابنُ آوَى وَاعتَزَلْ
فَقَالَ لَمَّا عَادَ أَينَ قَلبُهُ وَأُذنَاهُ وَاستَمَرَّ عَتبُهُ
قَالَ أَمَا شَعَرتَ أَن لَا قَلبَ لَهْ وَلَا لَهُ أُذنَانِ وَهيَ مُشكِلَهْ
لَو كَانَ ذَا قَلبٍ وَأُذنَينِ لَمَا عَادَ وَقَد جَرَّبنَا وَعَلِمَا
« ثُمَّتَ قَالَ قِردُنَا المُحتَالُ لِلغَيلَمِ البَلِيدِ يَا مُحتَالُ »
لَئِن تَكُن بِالدَّهرِ ذَا اعتِبَارِ عَلِمتَ أَنِّي لَستُ كَالحِمَارِ
خَدَعتَنِي غَدرًا فَقَد خَدَعتُكْ لَا تَجهَلِ القَولَ فَقَد أَسمَعتُكْ
« وَقَعتُ إِذ خَدَعتَنِي وَكِدتُ أَهلِكُ لَولَا أَنَّنِي استَدرَكتُ »
« فَإِنَّ مَا يُفسِدُهُ الحِلمُ لَقَد يُصلِحُهُ العِلمُ وَهٰذَا لَا يُرَدّ »
قَالَ لَهُ الغَيلَمُ قَد فَهِمتُ أَنِّيَ حَصَّلتُ وَمَا تَمَّمتُ
« وَإِنَّمَا العَاقِلُ مَن إِن أَذنَبَا فِي الحَالِ لَم يَستَحيِ أَن يُؤَدَّبَا »
« وَإِن هَوَى فِي وَرطَةٍ تَخَلَّصَا بِحِذقِهِ مِنهَا وَمَا تَرَبَّصَا »
« مِثلُ الَّذِي يَعثُرُ فَوقَ الأَرضِ يُلقِي عَلَيهَا يَدَهُ فِي النَّهضِ »
وَإِنَّمَا العَاقِلُ مَن لَم يَقبَلِ وَإِن يُرِد بِالنَّاسِ شَيئًا يَفعَلِ

ثُمَّ يُقِرُّ طَائِعًا وَيَعْتَرِفْ مُعْتَذِرًا مِنْ سُوءِ فِعْلٍ اقْتَرَفْ
ثُمَّ يَقِيسُ ٱلْأَمْرَ قَبْلَ ٱلْمَقْدَمِ وَيَسْتَقِيلُ عَثْرَةَ ٱلْمُذَمَّمِ

بَاب

ٱلنَّاسِكِ وَٱبْنِ عِرْسٍ

وَهُوَ بَابُ

مَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا تَثَبُّتٍ إِلَى مَ تَصِيرُ عَاقِبَتُهُ

قَالَ لَهُ مَا مَثَلُ ٱلْعَجُولِ عِنْدَ ذَوِي ٱلْأَفْهَامِ وَٱلْعُقُولِ
قَالَ ٱلْحَكِيمُ بَيْدَبَا إِذْ سَأَلَهْ لَأَضْرِبَنَّ إِذْ أَمَرْتَ مَثَلَهْ
مَنْ كَانَ فِي أُمُورِهِ مُسْتَعْجِلَا لَمْ يَرَهُ ٱلنَّاظِرُ إِلَّا خَجِلَا
لِأَنَّ فِي ٱلتَّثَبُّتِ ٱلسَّلَامَةْ حَقًّا وَفِي ٱلتَّهَوُّرِ ٱلنَّدَامَةْ
كَمَثَلِ ٱلنَّاسِكِ وَٱبْنِ عِرْسِ فَقَالَ بَيِّنْهُ فَدَتْكَ نَفْسِي
فَقَالَ كَانَ نَاسِكٌ بِجُرْجَانْ فِي بَيْتِهِ كَٱلنَّاسِ إِحْدَى ٱلنِّسْوَانْ
مَا حَمَلَتْ وَقَدْ أَقَامَتْ مُدَّهْ وَحَمَلَتْ فَجَلَّ ذَاكَ عِنْدَهْ
وَقَالَ إِذْ حَقَّقَ ذَاكَ أَبْشِرِي آمُلُ أَنْ تَطَرَّقِي بِذَكَرِ

يَكُونُ فِيهِ لِلعُيُونِ قُرَّهْ وَلِلنُفُوسِ كُلِّهَا مَسَرَّهْ

وَسَوْفَ أَخْتَارُ لَهُ ٱسْمًا حَسَنَا وَفَاضِلاً مِنَ ٱلْأَطِبَّا مُتْقِنَا

«يُلْقِي عَلَيْهِ مِنْ دُرُوسِ ٱلْأَدَبِ مَا يَرْتَقِي بِهِ لِأَعْلَى ٱلرُّتَبِ»

قَالَتْ لَهُ قَوْلُكَ فِي مَا يُجْهَلُ عَارٌ إِذَا حَقَّقْتَهُ لَوْ تَعْقِلُ

مِنْ أَيْنَ تَدْرِي مَا يَكُونُ مِنِّي يَمُوتُ مَنْ يَعِيشُ بِٱلتَّمَنِّي

وَإِنَّ مَنْ قَالَ بِغَيْرِ عِلْمِ لَجَاهِلٌ بَلْ ظَالِمٌ فِي ٱلْحُكْمِ

كَٱلنَّاسِكِ ٱلْمُهْرِيقِ فَوْقَ رَاسِهِ ٱلسَّمْنَ إِذْ أَسْرَفَ فِي ٱلتِّمَاسِهِ

فَقَالَ كَيْفَ ذَاكَ قَالَتْ ذَكَرُوا وَكُلُّ شَيْءٍ فِي ٱلزَّمَانِ يُؤْثَرُ

أَنَّ فَقِيرًا نَاسِكًا أَجْرَى لَهُ بَعْضُ ٱلتِّجَارِ مَا أَرَاحَ بَالَهُ

فِي ٱلْيَوْمِ سَمْنًا وَدَقِيقًا وَعَسَلْ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ فَفَضَلْ

عَنْ قُوتِهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ فَخَبَا ذَلِكَ فِي بَرْنِيَّةٍ ضِمْنَ ٱلْخِبَا

حَتَّى إِذَا مَا ٱلسِّعْرُ زَادَ وَغَلَا بَاتَ مِنَ ٱلْجَهْلِ يُنَاجِي ٱلْأَمَلَا

قَالَ بِدِينَارٍ غَدًا أَبِيعُهُ أَحْفَظُهُ جُهْدِي وَلَا أُضِيعُهُ

وَأَشْتَرِي بِهِ نِعَاجًا عَشَرَهْ تُنْتِجُ لِي أَضْعَافَهَا مُبَشِّرَهْ

وَحِينَ يَكْثُرْنَ أَبِيعُهُنَّهْ جَمْعًا وَأَشْرِي ٱلْبَقَرَ ٱلْمُسِنَّهْ

أَلْحَرْثُ مِنْ ذُكُورِهَا وَٱلزَّرْعُ وَٱلنَّسْلُ مِنْ إِنَاثِهَا وَٱلضَّرْعُ

إِذَا فَعَلْتُ هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالَا ... خَمْسَ سِنِينَ عَادَ ذَاكَ مَالَا

«فَٱبْتَنِي لِي مَسْكَنًا كَبِيرَا ... أَفْرُشُ فِيهِ ٱلْخَزَّ وَٱلْحَرِيرَا»

وَٱشْتَرِي ٱلْعَبِيدَ وَٱلْإِمَاءَ ... وَٱبْتَغِي قَرِينَةً عَذْرَاءَ

عَاقِلَةً ذَاتَ جَمَالٍ وَشَرَفْ ... حَتَّى إِذَا مَا وَضَعَتْ تَمَّ ٱلْخَلَفْ

رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا كَبِرَا ... عَلَّمْتُهُ فَإِنْ أَبَى وَضَجِرَا

ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْقَوِيَّهْ ... وَٱشْتَالَهَا فَكَسَرَ ٱلْبَرْنِيَّهْ

وَٱنْدَفَقَ ٱلسَّمْنُ ٱلْكَثِيرُ وَٱلْعَسَلْ ... وَمَرَّ مَا فَكَّرَ فِيهِ وَبَطَلْ

ضَرَبْتُ هٰذَا مَثَلًا لِتَنْتَهِي ... عَنْ قَوْلِ مَا تَجْهَلُ فِي مَا تَشْتَهِي

فَٱتَّعَظَ ٱلنَّاسِكُ لَمَّا سَمِعَا ... وَكَفَّ عَنْ آمَالِهِ وَٱرْتَدَعَا

وَوَضَعَتْ كَمَا رَجَا غُلَامَا ... حَتَّى إِذَا مَا مَكَثَتْ أَيَّامَا

قَالَتْ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ ٱلْغُسْلَا ... فَٱحْفَظْ بُنَيَّ ثُمَّ وَلَّتْ عَجْلَى

ثُمَّ دَعَاهُ صَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ ... فَمَرَّ فِي ٱلْحَالِ إِلَى ٱلدِّيوَانِ

وَكَانَ فِي مَنْزِلِهِ ٱبْنُ عِرْسِ ... قَدْ عَادَ ذَا إِلْفٍ بِهِمْ وَأُنْسِ

فَجَاءَ صِلٌّ تَحْتَهُ لِيَلْسَعَهْ ... عَضَّ ٱبْنُ عِرْسٍ ظَهْرَهُ فَقَطَعَهْ

وَرَجَعَ ٱلنَّاسِكُ فَٱسْتَقْبَلَهْ ... فِي بَابِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْخُلَهْ

لَمَّا رَآهُ بِٱلدِّمَا مُلَطَّخَا ... دَقَّ بِشَيْءٍ رَأْسَهُ فَشَدَخَا

إِذْ ظَنَّهُ دَمَ ٱبْنِهِ وَلَطَمَا خَدَيْهِ خَوْفًا وَسَعَى لِيَعْلَمَا
فَأَبْصَرَ ٱلصَّبِيَّ حَيًّا سَالِمَا وَٱلْأَسْوَدَ ٱلْمُلْقَى فَظَلَّ نَادِمَا
يَقُولُ لَوْ لَمْ يُولَدِ ٱلْغُلَامُ لَكَانَ خَيْرًا لِي فَذَا آثَامُ
وَجَاءَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلتَّأَمُّلِ «وَصَرَخَتْ هٰذَا عِقَابُ ٱلْمُعَجِّلِ»[1]

بَاب

هِيلَارَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ وَوَزِيرِهِ بِيلَارَ

وَهُوَ بَابُ
ٱلْحِلْمِ وَٱلْكَرَمِ

قَالَ فَبَيِّنْ سِيرَةً مَهْدِيَّهْ بِهَا يُحِبُّ ٱلْمَلِكُ ٱلرَّعِيَّهْ
فَيَحْفَظُ ٱلْأَرْضَ وَيَحْمِي ٱلْمُلْكَا وَلَا يَخَافُ مِنْ عَدُوٍّ فَتْكَا
«قُلْ لِي بِمَا يَلْزَمُ أَنْ يَتَّصِفَا ٱلْمَلِكُ حَتَّى يَغْتَدِي مُشَرَّفَا»
بِٱلْحِلْمِ وَٱلْعَقْلِ أَمِ ٱلْمُرُوَّهْ أَمْ شِدَّةِ ٱلْبَطْشِ أَمِ ٱلْفُتُوَّهْ
قَالَ لَهُ يُدْرِكُ مَا يُرِيدُ بِٱلْحِلْمِ وَٱلْعَقْلِ وَهَلْ مَزِيدُ

---

(١) كان الاصل : فقال لي عقوبة المستعجل

إِنَّهُمَا رَأْسُ ٱلْأُمُورِ كُلِّهَا ... وَعُدَّةٌ فِي دِقِّهَا وَجِلِّهَا

لٰكِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُشِيرِ ... طَبٍّ خَبِيرٍ حَسَنِ ٱلتَّدْبِيرِ

وَٱلْحِلْمُ مِنْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ أَنْفَعُ ... وَفِيهِ مِنْ كُلِّ ٱلْوَرَى مُسْتَمْتَعُ

لَا عَوْنَ كَٱلْحِلْمِ ٱلْكَثِيرِ ٱلْفَائِدَهْ ... يَسُلُّ أَحْقَادَ ٱلْقُلُوبِ ٱلْفَاسِدَهْ

مَنْ شَاوَرَ ٱلْجَهُولَ فَهُوَ أَجْهَلُ ... مِنْهُ وَلَا يُفْلِحُ فِيمَا يَفْعَلُ

وَإِنْ أَصَابَ ظَفَرًا مِنَ ٱلْقَدَرْ ... آلَ إِلَى نَدَامَةٍ لَمْ تُنْتَظَرْ

وَإِنَّهُ إِنْ شَاوَرَ ٱللَّبِيبَا ... رَأَى ٱلنَّجَاحَ حَاضِرًا قَرِيبَا

كَمِثْلِ هَيْلَارَ كَبِيرِ ٱلْهِنْدِ ... وَعِرْسِهِ وَهُوَ بِهَا ذُو وَجْدِ

وَصَاحِبِ ٱلسِّرِّ ٱلْأَمِينِ بِيلَارْ ... لَا يَكْتُمُ ٱلْأَسْرَارَ إِلَّا ٱلْأَحْرَارْ

فَقَالَ فَٱشْرَحْ لِي جَمِيعَ أَمْرِهِ ... فَقَدْ شَغَلْتَ خَاطِرِي بِذِكْرِهِ

فَقَالَ هَيْلَارُ عَلَى مَا وَرَدَا ... كَانَ عَفِيفًا نَاصِحًا مُجْتَهِدَا

فِيهِ خِصَالُ ٱلْخَيْرِ وَٱلصَّلَاحِ ... لَيْسَ بِذِي لَهْوٍ وَلَا مُزَاحِ

« فَنَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَامَا ... مُبَلْبَلًا إِذْ قَدْ رَأَى أَحْلَامَا »(١)

أَبْصَرَهَا وَعَدُّهَا ثَمَانِيَهْ ... لَمْ تَرَ مِثْلَهَا ٱلْعُيُونُ ٱلرَّائِيَهْ

---

(١) وفي الأصل :

فأبصر الهيلار في منامه ... فيما يرى النائم في أحلامه

عَقِيبَ كُلِّ وَاحِدٍ يَنْتَبِهُ ... فَلَمْ يَكَدْ فِي فَهْمِهِ يَشْتَبِهُ

وَبِالْغَدَاةِ جَمَعَ الْبَرَاهِمَةْ ... وَقَصَّ رُؤْيَاهُ فَكَانَتْ قَاتِمَةْ

قَالُوا رَأَيْتَ مُنْكَرًا عَجِيبَا ... يُحَيِّرُ الْمُعَلِّمَ اللَّبِيبَا

فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّنَا نُفَكِّرُ ... سِتَّةَ أَيَّامٍ فَذَاكَ أَجْدَرُ

ثُمَّ نُوَافِي فِي غَدَاةِ السَّابِعِ ... بِعِلْمِ تِلْكَ الطُّرَفِ الرَّوَائِعِ

قَالَ يَجُوزُ فَمَضَوْا وَاجْتَمَعُوا ... لِيَخْدَعُوهُ وَالْكَرِيمُ يُخْدَعُ

قَالُوا أُنْصِحَا وَهُوَ بِالْأَمْسِ قَتَلْ ... مِنَّا أُلُوفًا مِثْلُ هَذَا لَا يُطَلْ

وَالْآنَ هَذِي فُرْصَةٌ قَدْ أَمْكَنَتْ ... بِمِثْلِهَا أَيَّامُنَا مَا أَحْسَنَتْ

إِذْ قَدْ عَلِمْنَا حَالَهُ وَأَمْرَهْ ... أَخْطَأَ مَنْ آتَى عَدُوًّا سِرَّهْ

وَإِنَّهُ يَخَافُ مِمَّا نَظَرَا ... خَوْفًا عَظِيمًا قَدْ نَفَى عَنْهُ الْكَرَى

وَالرَّأْيُ أَنْ نَقْتَصَّ مِنْهُ بِالْفُرَصْ ... إِنْ لَمْ نُبَادِرْ ذَهَبَتْ وَفِي غُصَصْ

نَمْلَأُهُ مِمَّا رَآهُ رُعْبَا ... وَإِنَّمَا لِلصَّابِرِينَ الْعُقْبَى

نَقُولُ لَا يَدْفَعُ هَذَا الشَّرَّا ... إِلَّا أُمُورٌ إِنْ مَلَكْتَ صَبْرَا

«مِنْ قَتْلِ إِيرَخْتَ وَنَجْلِهَا جُوِيرْ ... وَالشَّهْمِ بِيلَارَ النَّجِيبِ كُلِّ خَيْرْ»(١)

---

(١) كان الاصل :

من قتل ايرخت العروس وابنها ... منك وبيلار وان لم يجنها

وَكَالَ وَٱلْفِيلِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْأَبْيَضِ ... وَٱلْآخَرِينَ وَٱلنَّجِيبِ ٱلْمُعْرِضِ
وَٱلسَّيْفِ وَٱلْبُخْتِيِّ وَٱلسَّرِيِّ ... كِبَارًا فَٱعْجَلْ بِٱلرَّدَى ٱلْوَحِيِّ
إِجْمَعْ لَنَا دِمَاءَهُمْ فِي أَبْزَنِ ... فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ عَيْنَ ٱلْمُحْسِنِ
تَجْلِسُ فِي تِلْكَ ٱلدِّمَاءِ سَاعَةْ ... طَوِيلَةً بِرُقْيَـةِ ٱلْجَمَاعَهْ
وَتَجْمَعُ ٱلْأَحْبَارَ لِلْإِتِّفَاقِ ... جَمْعًا مِنَ ٱلْأَرْبَعَةِ ٱلْآفَاقِ
فَيَمْسَحُونَ ٱلدَّمَ عَنْكَ مَسْحَا ... فَلَسْتَ مِنْ مُلْكِكَ هٰذَا تَطْحَى
وَٱلدُّهْنُ وَٱلطِّيبُ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةْ ... وَلَا تَخَافُ إِنْ فَعَلْتَ لَائِمَهْ
«فَإِنْ فَعَلْتَ ذَاكَ عِشْتَ دَائِمَا ... فِي رَغَدٍ مِنْ كُلِّ سُوءٍ سَالِمَا»
وَإِنْ أَبَيْتَ فَٱرْتَقِبْ أَهْوَالَا ... «شَدِيدَةً تُلْقِي بِكَ ٱلْبَلْبَالَا»
«حِينَئِذٍ نَسْقِيهِ كَاسَاتِ ٱلْمُنَى ... وَنَنْثَنِي نِلْنَا ٱلْمُنَى بِلَا عَنَا»
«ثُمَّ أَتَوْهُ قَالَ مَا عَلِمْتُمُ ... وَأَيَّ شَيْءٍ نَافِعٍ عَمِلْتُمُ»
فَخَيَّبَ قَالُوا ذَاكَ قَالَ كَلَّا ... لَسْتُ لِمَا تَبْغُونَ مُسْتَحِلَّا
فَلَسْتُ بِٱلْخَالِدِ فِي سُلْطَانِي ... فَكَيْفَ أَبْغِي كُلَّ شَيْءٍ فَانِي
لَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ يُزِيلُ مُلْكِي ... فَلِمْ أُخِيفُ إِخْوَتِي بِٱلْفَتْكِ
أَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنْ فِرَاقِهِمْ ... فَلَسْتُ بِٱلْمُنْحِي عَلَى أَعْنَاقِهِمْ
صَبَّرْتُ نَفْسِي حَامِلًا أَهْوَالَهَا ... فَلْتَصْنَعِ ٱلْأَيَّامُ مَا بَدَا لَهَا

قَالُوا لَهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْتَمِلِ ... مَكْرُوهَ هٰذَا ٱلْأَمْرِ لَمْ تُمْهَلِ
وَتَنْقَضِي أَيَّامُكَ ٱلنَّضِيرَهْ ... وَلَيْسَ فِي ٱلْمَوْتِ لِخَلْقٍ خِيرَهْ
نَفْسُكَ خَلِّصْهَا فَمَا مِنْهَا خَلَفْ ... وَلَيْسَ فِي ذَاكَ مِنَ ٱلْحُكْمِ جَنَفْ
أَلنَّفْسُ خَيْرُ مَا فَدَاهُ ٱلْعَاقِلُ ... إِذْ لَيْسَ مِنْهَا بَدَلٌ يُعَادِلُ
فَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَزِينَا ... وَظَلَّ فِي فِكْرَتِهِ رَهِينَا
مُفَكِّرًا فِي أَمْرِهِمْ هَلْ نَفْعَلُ ... أَوْ نَبْذُلُ ٱلنَّفْسَ وَذَاكَ أَجْمَلُ
فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا أَيَّامَا ... وَهَجَرَ ٱلشَّرَابَ وَٱلطَّعَامَا
وَشَاعَ أَنَّ أَمْرَهُ قَدِ ٱنْتَقَضْ ... وَأَنَّهُ حِلْفُ ٱلْفِرَاشِ ذُو مَرَضْ
فَهَمَّ بِيلَارَ ٱلَّذِي رَآهُ ... مِنْهُ وَقَالَ مَا ٱلَّذِي دَهَاهُ
«لِأَنَّهُ عَلَى ٱلرُّؤَى لَمْ يَطَّلِعْ ... وَكُلُّ مَا كَانَ جَرَى لَمْ يَسْتَمِعْ»(١)
فَقَالَ بِيلَارُ وَكَانَ عَاقِلَا ... لَسْتُ لَهُ عَنْ حَالِهِ مُسَائِلَا
لٰكِنَّنِي أَسْأَلُ عَنْهُ ٱلْحُرَّهْ ... فَرُبَّمَا كَانَتْ لَدَيْهَا خَبْرَهْ
فَقَالَ إِنِّي مُذْ خَدَمْتُ ٱلْمَلِكَا ... كَانَ عَلَيَّ مُقْبِلًا مُنْهَمِكَا
يُطْلِعُنِي عَلَى ٱلْأُمُورِ كُلِّهَا ... مُسْتَنْصِحًا فِي عَقْدِهَا وَحَلِّهَا

---

(١) كان الاصل :

لانه لما جرى لم يستمع ... ولم على رؤيا الهمام يطّلع

ثُمَّ إِذَا أَلَمَّهُ مُلِمٌّ سَكَّنْتُهُ عَنْهُ فَزَالَ ٱلْهَمُّ
مِمَّ أَرَاهُ مُذْ لَيَالٍ خَالِيَا بِٱلْبَرْهَمِيِّينَ لَهُمْ مُصَافِيَا
وَلَسْتُ مِنْ مَكْرِهِمِ بِآمِنِ فِي ظَاهِرٍ مِنْ أَمْرِهِ وَبَاطِنِ
لِأَنَّهُ أَحْفَظَهُمْ بِقَتْلِ مَنْ عَاجَلَهُ بِٱلْقَتْلِ فِي تِلْكَ ٱلْفِتَنْ
وَرُبَّمَا أَغْرَوْهُ بِٱلْقَبِيحِ لِلْكَيْدِ أَوْ نَهَوْهُ عَنْ مَلِيحِ
وَلَمْ أَكُنْ بِٱلْقَوْلِ مُسْتَقْبِلَهُ خَوْفًا وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَسْأَلَهُ
فَلَيْسَ بِٱلْجَائِزِ فِي شَرْعِ ٱلْأَدَبْ أَنْ يَسْأَلَ ٱلْمَخْدُومُ فِي أَمْرٍ حَرَبْ
وَأَنْتِ أَنْتِ جَائِزٌ أَنْ تَسْأَلِي إِنَّكِ إِنْ فَعَلْتِ لَمْ تُجْهَلِي
لَا يَسْأَلُ ٱلْمُلُوكَ عَنْ أَسْرَارِهَا إِلَّا ٱلَّذِي يَأْمَنُ مِنْ إِنْكَارِهَا
فَسَائِلِيهِ فَهُوَ غَيْرُ كَاتِمِ عَنْكِ وَقُولِي لِيَ قَوْلَ عَالِمِ
حَتَّى أُطِبَّ هٰذِهِ ٱلْأُمُورَا بِحِيلَتِي وَأَدْفَعَ ٱلْمَحْذُورَا
قَالَتْ لَهُ إِنِّي عَلَيْهِ وَاجِدَهْ فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ لَهُ مُعَاوِدَهْ
قَالَ لَهَا يِلَارُ قَوْلَ رَاشِدِ أَلْحِقْدُ لَا يَحْسُنُ فِي ٱلشَّدَائِدِ
وَلَيْسَ مَنْ يَسْطِيعُ هٰذَا غَيْرُكِ فَرَاجِعِي حِلْمَكِ دَامَ خَيْرُكِ
فَإِنَّنِي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُهْ بِقَوْلُ كُلُّ نَازِلٍ أَسْتَفْظِعُهْ
يَكْثُرُ فِيهِ حِيرَتِي وَغَمِّي ثُمَّ أَرَى إِيرَخْتَ يَسْرِي هَمِّي

فَانْطَلَقَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعْ ... فَسَاءَلَتْهُ وَهُوَ حَيْرَانُ فَزِعْ
إِنْ كُنْتَ غَضْبَانَ عَلَيْنَا وَاجِدَا ... نُرْضِيكَ إِنْ كُنْتَ لِقَتْلٍ عَامِدَا
فَافْعَلْ فَهٰذَا الْحُزْنُ قَدْ أَضْنَاكَا ... وَقَدْ عَنَى جُنْدَكَ مَا عَنَاكَا
قَالَ لَهَا كُفِّي فَلَسْتُ أُخْبِرُ ... إِنَّ الَّذِي أَلْقَى عَظِيمٌ مُنْكَرُ
«قَالَتْ لَهُ وَهَلْ نَزَلْتُ عِنْدَكَا ... مَنْزِلَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ رَدَّكَا»
قَدْ قِيلَ إِنَّ أَحَدًا لَا نَامَ مَنْ ... إِذَا دَهَتْهُ مِحْنَةٌ مِنَ الْمِحَنْ»
«كَانَ سَمِيعَ النُّصْحِ وَالْآرَاءِ ... مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْوِدِّ وَالصَّفَاءِ»
«حَتَّى يَفُوزَ نَاجِيًا بِالْحِيلَهْ ... وَالْعَقْلِ مِنْ مِحْنَتِهِ الْوَبِيلَهْ»(١)
لَا يَقْنَطُ الْمُذْنِبُ بَلْ يَتُوبُ ... وَبِالْهُمُومِ تُصْدَعُ الْقُلُوبُ
لَيْسَ يَرُدُّ الْحُزْنُ قَطُّ ذَاهِبَا ... لَكِنْ يَزِيدُ الْمَرْءَ هَمًّا وَاصِبَا
وَيُشْمِتُ الْأَعْدَاءَ إِنْ تَحَقَّقُوا ... وَالصَّبْرُ بِالْحُرِّ الْكَرِيمِ أَخْلَقُ
«وَالصَّبْرُ فِي وَقْعِ الْبَلَا عِبَادَهْ ... فَكُنْ صَبُورًا تَجِدِ الْإِفَادَهْ»
«وَسَوْفَ تَلْقَى الْخَيْرَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي ... عَنْ فَادِحِ الْخَطْبِ وَمَا كَتَمْتَنِي»
قَالَ لَهَا مِحْنَتُنَا كَبِيرَهْ ... تَكُونُ فِيهَا الصَّيْلَمُ الْمُبِيرَهْ

---

(١) كان الأصل :

قالت له قد قيل خير الرآء ... ما كان من قول ذوي الصفاء

هَلاَكُ أَهلِ ٱلودِّ وَٱلأَوْلاَدِ ... وَلَيسَ قتلُ ٱلقَوْمِ مِنْ مرَادِي
كذَاكَ قَالَ ٱلبرْهَمِيُّ وَزعَمْ ... تأْوِيلِ رُؤْيَايَ وَكَانَ قَدْ حكَمْ
وَلَيْسَ لِي رَوْحٌ وَلاَ سُرُورُ ... بَعْدَكُمُ وَكُلُّ عَيْشٍ زُورُ
قَالَتْ لَهُ نَحْنُ لكَ ٱلفِدَاءُ ... ٱلقَوْمُ وَٱلأَوْلاَدُ وَٱلنِّسَاءُ
لَكِنَّنِي أَسْأَلُ أَنْ لاَ تَقْبَلاَ ... مَقَالَهُمْ بَعْدُ وَأَنْ لاَ تَعْجَلاَ
فَتَقْتُلَ ٱلنَّاسَ بِلاَ تَأَمُّلِ ... وَٱلأَمْرُ فِي يَدَيْكَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
تَقْدِرُ أَنْ تَقْتُلَ كُلَّ حَيِّ ... وَلَيْسَ تُحْيِي مَيِّتاً بِشَيِّ
قَالَ ٱلحَكِيمُ إِنْ وَجَدْتَ جَوْهَرَا ... ثُمَّ ظَنَنْتَ فِيهِ ظَنًّا مُنْكَرَا
فَخَلِّهِ وَسَلْ بِهِ بَصِيرَا ... لاَ تُلْقِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ خَبِيرَا
كَيفَ عَدَوْتَ وَٱتَّقَا ٱلوَفَا ... لِمَنْ قَتَلْتَ مِنْهُمُ أُلُوفَا
قَدْ ضَلَّ رَأْيُ كُلِّ مُسْتَشِيرِ ... يَطْمَعُ فِي نَصِيحَةِ ٱلمَوْتُورِ
وَلَمْ يَكُنْ حَزْماً وَإِنْ عَنَا كَا ... إِطْلاَعُكَ ٱلقَوْمَ عَلَى رُؤْيَاكَا
حَتَّى يُخِيفُوكَ وَيُرْعِبُوكَا ... أُقْسِمُ بِٱللهِ لَقَدْ غَرُّوكَا
«إِنَّهُمُ لَمْ يَبْتَغُوا أَنْ تَقْتُلاَ ... مَنْ عَيَّنُوا إِلاَّ لِكَي تَلْقَى ٱلبَلاَ»
«وَإِنَّنِي أَظُنُّ لَوْ قَبِلْتَا ... آرَاءَهُمْ كُنْتَ إِذَا قُتِلْتَا»
«وَأَصْبَحُوا وَهُمْ وُلاَةُ ٱلأَمْرِ ... كَمِثْلِ مَا كَانُوا قَدِيمَ ٱلدَّهْرِ»

«فَإِنَّ مَنْ يَبْغِي ٱقْتِلَاعَ شَجَرَهْ   عَالِيَةٍ جَسِيمَةٍ مُعَمَّرَهْ»

«يَبْدَأُ فِي أُصُولِهَا إِنْ قُطِعَتْ   قُطِعَتِ ٱلدَّوْحَةُ ثُمَّ ٱقْتُلِعَتْ»

«فَٱذْهَبْ إِلَى كِبَارِ يُونَ وَٱسْأَلِ   وَغَيْرَ تَأْوِيلَاتِهِ لَا تَقْبَلِ[1]»

فَهْوَ لَبِيبٌ فَاضِلٌ أَمِينُ   كُلُّ مُشِيرٍ غَيْرُهُ ظَنِينُ

وَإِنْ يَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْبَرَاهِمَهْ   فَنَفْسُهُ لَيْسَتْ لَهُمْ مُلَائِمَهْ

فَإِنْ أَشَارَ مِثْلَمَا أَشَارُوا   فَٱفْعَلْ وَإِلَّا فَهُمُ فُجَّارُ

فَمَرَّ فِي ٱلْوَقْتِ إِلَى كِبَارِ   وَقَالَ قَدْ جِئْتُ لِأَمْرٍ طَارِ

مِنْ بَعْدِ مَا حَيَّى كِبَارَ وَسَجَدْ   مَنْ عَبَدَ ٱللّٰهَ بِإِخْلَاصٍ مَجَدْ

وَذَكَرَ ٱلْحَالَ لَهُ جَمِيعَهَا   وَلَمْ يَكُنْ يَجْسُرُ أَنْ يُذِيعَهَا

قَالَ لَهُ فَٱقْصُصْ عَلَيَّ رُؤْيَاكْ   فَقَصَّهَا قَالَ تَقَرُّ عَيْنَاكْ

فَإِنَّمَا ٱلْحُوتَانِ حِينَ قَامَا   لَدَيْكَ بَعْدَ ضَجْعَةٍ وَدَامَا

هَدِيَّةٌ تَأْتِيكَ مِنْ هَيْمُونِ   تَحْسُنُ فِي ٱلنُّفُوسِ وَٱلْعُيُونِ

عِقْدَانِ قَدْ تَكَلَّلَا بِٱلْجَوْهَرِ   كِلَاهُمَا مُسْتَحْسَنٌ بِٱلْمَنْظَرِ

وَٱلْبَطَّتَانِ طَارَتَا مِنْ خَلْفِكَا   بَيْنَ يَدَيْكَ عِنْدَ مَرْمَى طَرْفِكَا

---

(١) كان الأصل :

كنار ايرون احق من سئل   عنها ومن يستنصح المولى يسل

يأْتيكَ مِنْ بَلْخَ حِصَانَانِ هُمَا — أَحْسَنُ مَا رَأَيْتَ مِمَّا أُلْجِمَا
وَحَيَّةٌ أَبْصَرْتَهَا كَأَنَّهَا — دَبَّتْ عَلَى رِجْلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا
سَيْفٌ كَمَا تَخْتَارُهُ صَقِيلُ — يَأْتِي بِهِ مِنْ صَنْجَنٍ رَسُولُ
وَخَضْبُكَ ٱلْجِسْمَ جِهَارًا بِالدَّمِ — نَفَائِسٌ مِنَ ٱللِّبَاسِ ٱلْمُعْلَمِ
تَأْتِيكَ مِنْ أَقْطَارِ كَازَرُونِ — تُضِيءُ فِي ٱلظُّلْمَةِ لِلْعُيُونِ
وَغَسْلُكَ ٱلْجِسْمَ بِمَاءٍ صَافِ — ثِيَابُ كَتَّانٍ بِهَا يُوَافِي
رَسُولُ رِهْزِنْ مِنْ ثِيَابِ ٱلْمَلِكِ — وَهُوَ مَصُونٌ لَيْسَ بِٱلْمُشْتَرَكِ
وَٱلْجَبَلُ ٱلْأَبْيَضُ فِيلٌ أَبْيَضُ — يَفُوتُ جَرْيَ ٱلْخَيْلِ حِينَ تَرْكُضُ
«يَأْتِيكَ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِيكِ ٱلْأَعْظَمِ — مَلِيكِ كَيْذُوَرَ ٱلسَّرِيِّ ٱلْأَكْرَمِ»
وَٱلنَّارُ فَاعْلَمْ ذَاكَ إِكْلِيلُ ذَهَبْ — «فِيهِ مِنَ ٱلْجَوْهَرِ دُرٌّ مُنْتَخَبْ»
«مِنْ مَلِكِ ٱلْأَرْزَنِ يَأْتِيكَ بِهِ — مُعْتَمَدٌ لَا تَكُ بِٱلْمُشْتَبِهِ»
«فِي بَيْعَةٍ لَيْسَ بِهَا مَا لَا يُحَبُّ» — وَٱلطَّائِرُ ٱلْأَبْيَضُ لَمَّا إِنْ ضَرَبْ
رَأْسَكَ بِٱلْمِنْقَارِ لَا أُفَسِّرُهْ — وَلَيْسَ فِي تَفْسِيرِهِ مَا تَحْذَرُهْ
لَكِنَّ فِيهِ جَفْوَةً لِمَنْ تُحِبْ — وَٱلْكَيْدُ كَٱلْعَقْرَبِ فِي ٱلشَّرِّ يَدِبّْ
يَأْتِيكَ هٰذَا بَعْدَ أُسْبُوعٍ فَلَا — تَسْمَعْ لِقَوْلِ ٱلْبَرْهَمِيِّ ٱلْمَثَلَا
فَسَجَدَ ٱلْهُمَامُ ثُمَّ وَدَّعَهْ — وَجَاءَهُ مِنْ ذَاكَ مَا تَوَقَّعَهْ

وَسرَّهُ ذَاكَ فقَالَ لَمْ أُصِبْ ... فِي ثِقَتِي بِالْبَرْهَمِيِّ ذِي الْكَذِبْ

قَدْ كِدْتُ أَنْ أَهْلِكَ لَوْ صَدَّقْتُهُمْ ... « فَمِنْ فُرُوضِي هَجْرُهُمْ وَمَقْتُهُمْ »

« يَا لَلْوَرَى كَيْفَ نَسِيتُ قَوْلَ مَنْ ... قَالَ قَدِيمًا وَهْوَ تَعْلِيمٌ حَسَنْ »

فَشَاوِرِ الْإِخْوَانَ وَالْأَحْبَابَا ... فَكُلُّ مَنْ شَاوَرَهُمْ أَصَابَا

وَاسْمَعْ لَهُمْ وَاقْبَلْ بِمَا قَدْ قَالُوا ... فَشَرُّ مَنْ شَاوَرْتَهُ الْأَقْتَالُ

« وَكَانَ لِلْمَلِيكِ مَرْأَتَانِ ... إِيرَخْتُ ذَاتُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ »

« كَذَاكَ حُوْرَقْنَاهُ اسْمُ الثَّانِيَهْ ... وَذِكْرُهَا عَمَّ الْبِلَادَ الْقَاصِيَهْ »

« وَقَالَ هِيلَارُ لِبِيلَارَ احْمِلِ ... هٰذِي الْهَدَايَا كُلَّهَا وَعَجِّلِ »

« خُذْهَا لِإِيرَخْتَ لِكَيْ تَنْتَخِبَا ... مِنْهَا النَّفِيسَ وَالثَّمِينَ الْمُعْجِبَا »

« فَإِنَّنِي بِرَأْيِهَا عَمِلْتُ ... وَكُنْتُ لَوْلَا ذَاكَ قَدْ قُتِلْتُ »

فَحَمَّلَ الْإِكْلِيلَ وَالثِّيَابَا ... بِيلَارَ وَاسْتَفْتَحَ بَابًا بَابَا

حَتَّى إِذَا وَافَى مَكَانَ إِيرَخْتْ ... أَمْرَهُ فَحَطَّهَا فَوْقَ التَّخْتْ

قَالَ لَهَا خُذِي الَّذِي تَبْغِينَهْ ... « وَبِالصَّفَا وَالْأُنْسِ تَلْبَسِينَهْ »

« فَاخْتَارَتِ الْإِكْلِيلَ لَا الثِّيَابَا ... وَلَمْ تَكُنْ خِيرَتُهَا صَوَابَا »

« فَوَهَبَ الثِّيَابَ حُوْرَقْنَاهَا ... فَجَعَلَتْ بِلُبْسِهَا تَبَاهَى »

ثُمَّ أَتَتْهُ عِرْسُهُ بِصَحْفَهْ ... فِيهَا أُرُزٌّ طَيِّبٌ كَالتُّحْفَهْ

وَوَقَفَتْ قَائِمَةً تَلْقِمُهْ	فِي رَأْسِهَا ٱلْإِكْلِيلُ وَهِيَ تُكْرِمُهْ
إِذَا بِجُوزَقْنَاهُ فِي ٱلثِّيَابِ	مَرَّتْ شَبِيهَ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلسَّحَابِ
فَقَالَ لِلزَّوْجَةِ يَا سَفِيهَهْ	مَا لِلثِّيَابِ فَأَعْلِمِي شَبِيهَهْ
لَمْ تَأْخُذِيهَا سَفَهًا فَغَارَتْ	وَأَلْقَتِ ٱلصَّحْفَةَ لَمَّا فَارَتْ
فَوَقَعَتْ فِي رَأْسِهِ فَٱسْتَدْعَى	بِيلَارَ ذَا ٱلْحَزْمِ فَجَآءَ يَسْعَى
فَقَالَ يَا بِيلَارُ هٰذَا فِعْلُهَا	وَإِنَّمَا ٱلْجَزَآءُ عَنْهُ قَتْلُهَا
أَلسَّاعَةَ ٱلسَّاعَةَ يَا بِيلَارُ	بِحَقِّيَ ٱقْتُلْهَا كَمَا أَخْتَارُ
فَمَرَّ بِيلَارُ بِهَا عَلَى عَجَلْ	وَصَانَهَا فِي مَوْضِعٍ وَمَا قَتَلْ
وَقَالَ هٰذِي أَفْضَلُ ٱلنِّسَآءِ	فِي ٱلْعَقْلِ وَٱلْعِفَّةِ وَٱلذَّكَآءِ
قَدْ خَلَّصَ ٱللّٰهُ بِهَا مِنَ ٱلْعَطَبْ	جَمَاعَةً ذَوِي عُلُومٍ وَأَدَبْ
أَصْبِرُ حَتَّى يَسْتَبِينَ عَزْمُهُ	فِيهَا إِذَا ثَابَ إِلَيْهِ حِلْمُهُ
فَإِنْ غَدَا مُكْتَئِبًا حَزِينَا	يَنْشُرُ ذِكْرَ ٱلْوَاجِدِ ٱلدَّفِينَا
أَظْهَرْتُهَا مُخَفِّفًا عَنْ قَلْبِهِ	بَعْضَ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ مِنْ كَرْبِهِ
وَإِنْ سَلَا عَنْهَا وَلَمْ يَذْكُرْهَا	قَتَلْتُهَا كَمَا أَشَارَ كُرْهَا
سَلَّمَهَا إِلَى أَمِينٍ نَاصِحِ	مِمَّنْ يَقُومُ بِٱلنِّسَآءِ صَالِحِ
وَجَاءَهُ قَدْ خَضَبَ ٱلسَّيْفَ دَمَا	وَقَالَ قَدْ قَتَلْتُهَا فَوَجَمَا

يَذْكُرُ مِنْ جَمالِهَا وَفَضْلِهَا وَرَأْيِهَا وَحَزْمِهَا وَعَقْلِهَا

وَزَالَ عَنْهُ ٱلْغَيْظُ مِنْهَا وَسَكَنْ وَٱشْتَعَلَتْ نَارُ ٱلْهُمُومِ وَٱلْحَزَنْ

لٰكِنَّهُ أَظْهَرَ لِلْقَوْمِ ٱلْجَلَدْ وَلَمْ يَبُحْ إِلَيْهِمِ بِمَا وَجَدْ

وَشَكَ إِذْ يَعْرِفُ عَقْلَ بَيْلَارْ فِي قَتْلِهَا وَفِي حَشَاهُ كَٱلنَّارْ

قَالَ لَهُ بَيْلَارُ إِنَّ ٱلْحَزَنَا يُظْهِرُ فِي قَلْبِ ٱلْجَلِيدِ وَهَنَا

وَيُشْمِتُ ٱلْأَعْدَآءَ وَٱلْحُسَّادَا وَيُحْزِنُ ٱلْأَهْلِينَ وَٱلْأَوْلَادَا

وَلَيْسَ يُدْعَى حَازِمًا مَنْ حَزِنَا وَلَا يُسَمَّى عَازِمًا مَنْ وَهَنَا

فَسَلِّ عَنْهَا ٱلنَّفْسَ حَقًّا وَٱصْبِرِ وَٱسْمَعْ لِمَا أَبُثُّهُ مِنْ خَبَرِ

أُخْبِرْتُ عَنْ زَوْجَيْ حَمَامٍ خَبَرَا مَا زِلْتُ فِيهِ مُفْكِرًا مُعْتَبِرَا

إِذْ مَلَآ عُشَّهُمَا طَعَامَا وَفَضَّلَا بِذٰلِكَ ٱلْحَمَامَا

فَقَالَ فِي بَعْضِ ٱللَّيَالِي ٱلذَّكَرُ إِيَّاكِ مَا دُمْنَا بِقُوتٍ نَظْفَرُ

فِي ٱلْبَرِّ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْهُ حَبَّهْ فَأَظْهَرَتْ فِي مَا أَشَارَ رَغْبَهْ

وَكَانَ مِلْءَ ٱلْعُشِّ وَهْوَ رَطْبُ فَحِينَ جَآءَ ٱلصَّيْفُ جَفَّ ٱلْحَبُّ

وَنَقَصَ ٱلْبَيْتُ فَظَنَّ أَنَّهَا قَدْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَأَبْدَى لَعْنَهَا

وَحَلَفَتْ فَلَمْ يُصَدِّقْ فَغَدَا يَنْقُرُهَا فَوَرَدَتْ حَوْضَ ٱلرَّدَى

ثُمَّ أَتَى ٱلشِّتَآءُ فِي أَمْطَارِهِ وَزَادَ ذَاكَ ٱلْحَبُّ عَنْ مِقْدَارِهِ

وَٱمْتَلَأَ ٱلْبَيْتُ عَلَيْهِ فَنَدِمْ ... لِقَتْلِهَا بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَسَدِمْ

فَمَنْ يَكُنْ مُسْتَمْسِكًا بِحَزْمِ ... يَرْفُقْ وَلَا يَعْجَلْ بِرَمْيِ سَهْمِ

فَإِنَّهُ يُعْقِبُهُ ٱلنَّدَامَهْ ... كَمَا أَتَى فِي خَبَرِ ٱلْحَمَامَهْ

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ إِنْسَانًا غَدَا ... يَحْمِلُ وِقْرَ عَدَسٍ فَقَعَدَا

مَا بَيْنَ أَشْجَارٍ فَنَامَ وَنَزَلْ ... قِرْدٌ إِلَى كَارَتِهِ فَمَا أَكَلْ

بَلْ طَرَّ مِنْهَا قَبْضَةً فِي كَفِّهِ ... فَسَقَطَتْ وَاحِدَةٌ لِضُعْفِهِ

فَلَجَّ فِي طِلَابِهَا حَتَّى رَمَى ... جَمِيعَ ذَاكَ ثُمَّ عَادَ مُغْرَمَا

كَذَاكَ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلسُّلْطَانُ ... فِي دَارِكَ ٱلْأَحْبَابُ وَٱلْخُلَّانُ

تَتْرُكُهُمْ جَمْعًا وَتَبْغِي مَا مَضَى ... مَهْلًا فَهٰذَا خُلُقٌ لَا يُرْتَضَى

«فَخَشِيَ ٱلْمَلِكُ أَنْ تَكُونَا ... إِيرَخْتُ قَدْ أُورِدَتِ ٱلْمَنُونَا»

فَقَالَ يَا بِيلَارُ هَلْ مِنْ كَلِمَهْ ... قَتَلْتَهَا لَقَدْ جَنَيْتَ مُؤْلِمَهْ

هَلَّا تَثَبَّتَّ وَلَمْ تَسْتَعْجِلِ ... فَٱلْخَيْرُ فِي ٱلرِّفْقِ وَفِي ٱلتَّمَهُّلِ

قَالَ لَهُ إِنَّ ٱلَّذِي لَا يَخْتَلِفْ ... مِنْهُ ٱلْكَلَامُ وَاحِدٌ إِذْ تَعْتَرِفْ

فَقَالَ مَنْ ذَاكَ فَقَالَ ٱللهُ ... لِغَيْرِهِ ٱلْأَضْدَادُ وَٱلْأَشْبَاهُ

قَالَ لَقَدْ أَحْزَنْتَنِي بِقَتْلِهَا ... وَلَسْتُ قَطُّ ظَافِرًا بِمِثْلِهَا

قَالَ لَهُ بِيلَارُ إِثْنَانِ هُمَا ... يَطُولُ فِي مَا فَعَلَا حُزْنُهُمَا

لَا يُمتعَانِ الدَّهرَ بِالْأَفْرَاحِ ... وَلَا يُرَاحَانِ مِنَ الْأَتْرَاحِ

مَنْ يَجْحَدُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَا ... وَجَاهِلٌ مَا فَعَلَ الصَّوَابَا [1]

« فَإِنَّمَا حَظُّهُمَا قَلِيلُ ... مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا الَّتِي تَزُولُ »

« ثُمَّ إِذَا مَا عَايَنَا الْجَزَاءَ ... يَوْمَ الْمَعَادِ أَكْثَرَا الْبُكَاءَ »

قَالَ لَئِنْ رَأَيْتُهَا لَمْ أَحزَنِ ... بِمُؤْلِمٍ مِنْ طَارِقَاتِ الزَّمَنِ

قَالَ لَهُ قَدْ سُرَّ دُونَ الْعَالِمِ ... مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ وَمَنْ لَمْ يَأْثَمِ

قَالَ أَمَا أَنْظُرُهَا مِنْ بَعْدُ ... قَالَ لَهُ بِلَا رَ وَهُوَ جَلْدُ

إِثْنَانِ لَيْسَ يَنْظُرَانِ أَبَدَا ... أَعْمَى وَمَجْنُونٌ فَخَلِّ الْفَنَدَا

لَا فَرْقَ فَالْأَعْمَى الَّذِي لَا يَنْظُرُ ... كَذَلِكَ الْمَجْنُونُ مَنْ لَا يُبْصِرُ

« أَلْفَرْقُ بَيْنَ الْحَسَنِ الْمَلِيحِ ... وَبَيْنَ ذِي الْإِسَاءَةِ الْقَبِيحِ »

قَالَ لَئِنْ رَأَيْتُهَا فَرِحْتُ ... فَإِنَّنِي السَّاعَةَ قَدْ تَرِحْتُ

قَالَ لَهُ الْفَرِحُ حَقًّا إِثْنَانْ ... ذُو الْعِلْمِ وَالْبَصَرِ دُونَ الْعُمْيَانْ

كَمَا يَرَى ذَا الضَّوْءَ وَالظَّلَامَا ... يُبْصِرُ ذَاكَ الْبِرَّ وَالْآثَامَا

فَقَالَ إِنِّي مَا اكْتَفَيْتُ مِنْهَا ... قَطُّ وَلَا أَقْصَرَ حِرْصِي عَنْهَا

---

(١) وفي النثر ما نظمه

مرتكبٌ فِعلَ الخطا والشرّ ... ومُهمِلٌ صنعَ التقى والبرّ

قَالَ لَهُ وَزِيرُهُ إِثْنَانِ لَا يَكْفِيَانِ ٱلدَّهْرَ جَائِعَانِ
فَجَامِعُ ٱلْمَالِ وَذُو ٱلسُّؤَالِ فَقَالَ لَمَّا لَجَّ فِي ٱلْجِدَالِ
أَبْعَدُ عَنْكَ لِلْقُلُوبِ أَرْوَحُ فَقَدْ نَهَانَا عَنْكَ حَبْرٌ يَنْصَحُ
اذْ قَالَ لَا تُقَارِبُوا ٱلْفُسَّاقَا وَلَا ٱلْأَشِدَّآءَ وَلَا ٱلْحِقَاقَا
قَالَ لَهُ إِثْنَانِ يُطْرَدَانِ «مِنَ ٱلْمَلَا طُرًّا وَيُبْعَدَانِ»
«مَنْ قَالَ لَا بِرٌّ وَلَا إِثْمَ وَلَا عِقَابَ لَا ثَوَابَ لَا رَبَّ وَلَا»
«وَمَنْ تَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَى مَا لَيْسَ حَلَالًا لَهُ بَلْ حَرَامَا»
«فَلَا يَكَادُ يَصْرِفُ ٱلنَّفْسَ إِلَى شَيْءٍ يَكُونُ فِي ٱلْوَرَى مُحَلَّلَا»[1]
قَالَ لَهُ لَقَدْ غَدَوْتَ صِفْرَا مِنْ رَأْيِهَا ٱلصَّافِي وَكَانَ ذُخْرَا
قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ[2] أَصْغَارُ فِيهَا لِمَنْ يَنْظُرُهَا ٱعْتِبَارُ
فَأَيِّمٌ لَيْسَ لَهَا أَعْوَانُ وَبَلَدٌ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانُ
«وَجَاهِلٌ لَا يَعْرِفُ ٱلْأُمُورَا بَلْ يَخْلِطُ ٱلْأَخْيَارَ وَٱلشُّرُورَا»
وَنَهْرٌ لَمْ يَجْرِ فِيهِ مَآءُ فَهٰذِهِ جَمِيعُهَا سَوَآءُ

---

(١) كان الأصل: من لم يدن بالبرّ والعدوان
وعاجز لا يستطيع مذهبا عن الخنا قد ارتضاه مركبا

(٢) وفي الاصل: ثلثة فالرابع مأخوذ من النثر

قَالَ لَهُ إِنَّكَ كَالْمُلَقِّنِ ... إِذْ أَنْتَ فِي قَوْلِكَ جِدُّ مُحْسِنِ

قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ قَدْ لُقِّنُوا ... أَلْمَلِكُ الْبَرُّ الْجَوَادُ الْمُحْسِنُ

وَالرَّجُلُ الْعَالِمُ وَالْإِمْرَأَةُ ... يَصُونُهَا الْعَفَافُ لَا الْوُلَاةُ

قَالَ لَهُ أَهْلَكْتَهَا فِي غَيْرِ حَقّ ... أَبْلَغَ هٰذَا الْفِعْلُ مِنْ قَلْبِي وَشَقّ

« قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ يَرُوغُونْ ... هُمُ الْمُدَى عَنِ الْهُدَى يَزِيغُونْ »(١)

أَلْخُفُّ إِذْ يَلْبَسُهُ الْقَصَّارُ ... وَرِجْلُهُ مِنْ تَحْتِهَا التَّيَّارُ

«وَالْفَرَسُ السَّابِقُ وَقْتَ جَرْيِهِ ... يُهْمِلُهُ صَاحِبُهُ وَيَلْتَهِي»

وَالْبُرْدَةُ الْبَيْضَا عَلَى حَدَّادِ ... أَوْ جَالِسٍ فِي مَوْضِعِ الْوَقَّادِ

قَالَ لَهُ يَا لَيْتَنِي أَرَاهَا ... فَالْآنَ قَلْبِي لَقَدِ اشْتَهَاهَا

قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ تَمَنِّي ... مَا لَا يَكُونُ فَتَمُوتُ حُزْنَا

فَعَاجِزٌ يَرْجُو مَكَانَ بِرِّ ... سَفَاهَةً فِي ذِكْرِهِ وَالْأَجْرِ

وَبَاخِلٌ يَدْخَرُ فَضْلَ الزَّادِ ... إِذَا رَجَا مَنْزِلَةَ الْجَوَادِ

وَقَاتِلُ النُّفُوسِ يَرْجُو أَنَّهُ ... مَعَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى فِي الْجَنَّهْ

« قَالَ لَهُ أَنَا الَّذِي أَذْنَبْتُ ... جَرَرْتُ هٰذَا الْخَطْبَ إِذْ غَضِبْتُ»

---

(١) وفي الأصل:

قال له ثلثة بضيعون ... فما إلى فائدة يربعون

« قَالَ لَهُ يَلَارُ إِنَّ خَمْسَهْ كُلُّهُمْ أَهْدَى ٱلْبَلَآءَ نَفْسَهْ »
« فَخَائِضٌ غُبَارَ نَقْعٍ أَعْزَلَا خَاطَرَ لَا بِدْعَ إِذًا إِنْ قُتِلَا »
« وَخَازِنٌ فِي بَيْتِهِ كَالْبُخَلَا أَمْوَالَهُ لِنَفْسِهِ جَرَّ ٱلْبَلَا »
« يَقْصِدُهُ ٱللُّصُوصُ يَقْتُلُونَهُ وَكُلَّ مَا جَمَّعَ يَنْهَبُونَهُ »
« وَٱلْكَرِهُ ٱلْمَنْظَرِ حِينَ يَخْطُبُ جَمِيلَةً فَائِقَةً فَيَتْعَبُ »
« كَذَا ٱلْمُسِنُّ يَخْطُبُ ٱلصَّغِيرَهْ يَقْضِي ٱلْحَيَاةَ كُلَّهَا فِي حِيرَهْ »
« وَٱلْأُمُّ إِذْ تُحِبُّ أَنْ يَكُونَا وَلَدُهَا مُكَرَّمًا مَصُونَا »
« وَهُوَ خَبِيثٌ شَرِسُ ٱلْأَخْلَاقِ يَتْجُرُ بِٱلْخِدَاعِ وَٱلنِّفَاقِ »
« فَيَغْتَدِي وَلَدُهَا لِحُبِّهَا لَهُ بَلَاءً مُتْعِبًا لِقَلْبِهَا »
« قَالَ لَهُ قَتْلِي لَهَا لَمْ يَكُنِ مَوْضِعَهُ فَعَلْتُ فِعْلَ أَرْعَنِ »
« قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ فِعْلُهُمْ كَذَاكَ وَٱلنَّاسُ تَرَى جَهْلَهُمْ »(١)
فَطَائِرٌ يَرْفَعُ جَهْلًا رِجْلَهُ "خِيفَةَ أَنْ تَهْوِي ٱلسَّمَآءُ حَوْلَهُ"(٢)
يَقُولُ إِنْ خَرَّتْ فَإِنَّ رِجْلِي تَعْمِدُهَا بِحُمْقِهِ وَٱلْجَهْلِ

---

(١) كان اصل البيتين :

قال له حتفك يا بيلار لما يخاف الفاتك المغيار
قال له اربعة يخافون وهم الى اخلافهم يضافون

(٢) كان الأصل : خوف السمآء ان تخرّ حوله

كَذَلِكَ ٱلْكُرْكِيُّ إِذْ يَقُومُ ... بِغَيْرِ رِجْلٍ إِنَّهُ مَلُومُ
يَقُولُ إِنِّي خَائِفٌ أَنْ تَخْرِقَا ... مِنْ تَحْتِيَ ٱلْأَرْضَ فَيَبْدُو مُشْفِقَا
«وَصَاحِبُ ٱلْمَالِ ٱللَّئِيمُ ٱلطَّمِعُ ... يَبْخَلُ بِٱلْقُوتِ فَلَيْسَ يَشْبَعُ»
«يَأْكُلُ لَكِنْ لَا يَسُدُّ جُوعَهُ ... خَشْيَةَ أَنْ يَنْفَدَ مَا جَمَّعَهُ»
«كَدُودَةٍ تُشْفِقُ مِنْ أَنَّ ٱلثَّرَى ... يَفْنَى وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ أَكْثَرَا»
«تَقُولُ إِنْ أَكَلْتُ مَا يَقِيتُنِي ... أَخَافُ قُوتِي فِي غَدٍ يَفُوتُنِي»[1]
وَٱلرَّابِعُ ٱلْخُفَّاشُ لَا يَطِيرُ ... فِي ٱلْجَوِّ وَهُوَ عَاجِزٌ ضَرِيرُ
يَخَافُ أَنَّ ٱلنَّاسَ يَصْطَادُونَهُ ... لِحُسْنِهِ وَكُلُّ قُبْحٍ دُونَهُ
فَقَالَ لَمْ أَحْزَنْ لِشَيْءٍ حُزْنِي ... عَلَى كَمَالِ عَقْلِهَا وَٱلْحُسْنِ
قَالَ لَهُ خَمْسٌ عَلَيْهِنَّ ٱلْحَزَنْ ... وَٱلصَّبْرُ بَعْدَهُنَّ لَيْسَ بِٱلْحَسَنْ
أَلْمَرْأَةُ ٱلْكَرِيمَةُ ٱلنَّسِيبَهْ ... وَٱلْحُرَّةُ ٱلْعَاقِلَةُ ٱلْحَسِيبَهْ
وَذَاتُ حُسْنٍ فَائِقٍ وَٱلرَّاضِيَهْ ... رَجُلَهَا وَٱلْغَادَةُ ٱلْمُوَاتِيَهْ
«قَالَ لَهُ إِنَّ شَدِيدَ حُزْنِي ... حَرَّمَ عَيْنَيَّ لَذِيذَ ٱلْوَسَنِ»
«قَالَ لَهُ إِثْنَانِ لَنْ يَنَامَا ... غَدَا ٱلْكَرَى عَلَيْهِمَا حَرَامَا»

---

(١) كان الاصل :

ودودة تشفق وهي عنّا ... من تحتها أنّ التراب يفني

«صَاحِبُ مَالٍ كُلَّ يَوْمٍ يَكْثُرُ وَمَـالُهُ لِمَالِهِ مُدَبِّرُ»
«كَذَا عَلِيلٌ مَا لَهُ طَبِيبُ وَهُوَ فَطِينٌ عَاقِلٌ لَبِيبُ» (١)
قَالَ لَهُ أَحْزَنْتَنِي فَقَـالاَ ثَلْثَـةٌ أَحْزَانُهُم تَوَالَى
فَفَارِسٌ حِصَانُهُ فِي عَسْكَرِهْ مَنْظَرُهُ فِي ٱلْحُسْنِ ضِدُّ مَخْبَرِهْ
وَصَاحِبُ ٱلطَّبِيخِ قَلَّ لَحْمُهُ وَكَثُرَ ٱلْمَآءُ فَمَرَّ طَعْمُهُ
وَخَاطِبٌ جَارِيَةً جَمِيلَهْ شَرِيفَةً فَاضِلَةَ ٱلْقَبِيلَهْ
يَعْجِزُ عَنْ إِكْرَامِهَا فَتَشْتِمُهْ وَٱلْحُرُّ لاَ يُكْرِمُ مَنْ لاَ يُكْرِمُهْ
قَالَ لَهُ حَقُّكَ أَنْ تُعَذَّبَا مُقْتَ وَكُنْتَ ٱلْكَامِلَ ٱلْمُهَذَّبَا
قَالَ لَهُ ثَلْثَـةٌ عَذَابُهُمْ فَرْضٌ وَحَقٌّ وَاجِبٌ عِقَابُهُمْ
فَمُجْرِمٌ عَاقَبَ مَنْ لاَ ذَنْبَ لَهْ وَآكِلٌ وَمَا دَعَاهُ ٱلْآكِلَهْ
وَسَائِلٌ يَطْلُبُ مَا لاَ يُوجَدُ وَهُوَ إِذَا مَا صَدَّقُوهُ يَجْحَدُ
قَالَ لَهُ لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبْ سَكَتَّ حَتَّى يَنْجَلِي عَنِّي ٱلْغَضَبْ
قَالَ لَهُ ثَلْثَةٌ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَسْكُتُوا فِي غَرْبِهِمْ وَشَرْقِهِمْ

(١) الى هنا انتهت مداولتهما على ما في النثر وما يأتي بعد ذلك فلا وجود له الاَّ في الشعر ولعله مأخوذ عن نسخ الكتاب الفارسية والبهلوية .

مَنِ ٱرْتَقَى إِلَى ٱلْجِبَالِ صَاعِدَا ... وَمَنْ غَدَا يَوْمًا لِحُوتٍ صَائِدَا

وَرَجُلٌ هَمٌّ بِأَمْرٍ عَالِي ... فَمَا يَزَالُ ٱلدَّهْرَ ذَا ٱحْتِيَالِ

قَالَ لَهُ إِنِّي حَقِيرٌ عِنْدَكَا ... لِذَاكَ قَدْ جَبَهْتَنِي بِرَدِّكَا

قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ قَدْ حَقَرُوا ... أَرْبَابَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِمْ مُنْكَرُ

مَنْ أَكْثَرَ ٱلْقَوْلَ بِغَيْرِ عِلْمِ ... وَلَا تَرَوٍّ صَادِقٍ وَفَهْمِ

وَٱلْعَبْدُ قَدْ أَثْرَى وَقَدْ طَالَتْ يَدُهْ ... فَتَاهَ إِذْ عَادَ فَقِيرًا سَيِّدُهْ

وَٱلْعَبْدُ قَدْ خَاصَمَ مَوْلَاهُ فَلَمْ ... يُبْقِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلَا ٱحْتَشَمْ

قَالَ لَهُ إِنَّكَ بِي لَتَسْخَرُ ... لَوْ لَمْ تُعَاجِلْهَا لَكُنْتَ تُشْكَرُ

قَالَ لَهُ يُسْخَرُ مِنْ ثَلَاثَهْ ... قَدْ أَسْرَفُوا فِي ٱلْجَهْلِ وَٱلْغَثَاثَهْ

مَنْ قَالَ إِنِّي فَارِسٌ مِغْوَارُ ... وَلَيْسَ فِيهِ لِلظُّبَى آثَارُ

وَمُدَّعِي ٱلنُّسْكِ ٱلسَّمِينِ ٱلْعَبْلِ ... وَٱمْرَأَةٍ سَاخِرَةٍ بِٱلْبَعْلِ

قَالَ لَهُ فَتِلْكَهَا يَدُلُّ ... أَنَّكَ صِفْرٌ لَيْسَ فِيكَ عَقْلُ

قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ أَخْلَاقُهُمْ ... تَبِينُ فِي أَقْدَارِهَا أَفْعَالُهُمْ

مُسْتَوْدِعُ ٱلْمَالِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ ... وَقَائِلٌ إِنِّي بِنَفْسِي أَشْغَفُ

أَعْمَلُ فِي صَلَاحِهَا وَأَجْهَدُ ... وَلَيْسَ لِي بِٱلْجِسْمِ هَمٌّ يُقْصَدُ

وَلَمْ يَزَلْ مُتَّبِعًا هَوَاهُ ... فِي ٱلتُّرَّهَاتِ عَاصِيًا مَوْلَاهُ

وَقَائِلٌ إِنِّي شُجَاعٌ مُجَرِّبٌ   وَحَوَلٌ فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ قُلَّبُ

وَهُوَ كَذُوبٌ قِيلُهُ لَا يَصْدُقُ   قَالَ لَهُ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي تَرْفُقُ

لَمَا قَتَلْتَ ٱلْغَادَةَ ٱلْحَسْنَآءَ   لٰكِنْ تَرَكْتَ سُنَّتِي وَرَآءَ

قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ مُسْتَنُّونْ   بِسُنَّةِ ٱلْحَقِّ فَمَا يُلَامُونْ

أَلْعَبْدُ إِذْ يَفْرُغُ مِنْ طَعَامِهِ   عِنْدَ خُرُوجِ ٱلْمَرْءِ مِنْ صِيَامِهِ

وَقَانِعٌ بِزَوْجَةٍ تُحَصِّنُهْ   وَمَلِكٌ يَسْأَلُ عَمَّا يُحْزِنُهْ

فَمَا يَزَالُ لِلْمُلِمِّ ٱلنَّازِلِ   مُشَاوِرًا كُلَّ نَصِيحٍ عَاقِلِ

وَرَجُلٌ يَقْمَعُ فَوْرَ غَضَبِهْ   يَرْفَعُ حُسْنُ رَأْيِهِ مَا حَلَّ بِهْ

قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ لَا تَكْثُرُ   فِيهَا ٱلنُّذُورُ كُلُّهَا إِذْ تُنْذَرُ

أَلْمَرْأَةُ ٱلْعَاقِلَةُ ٱلْمُوَافِقَهْ   وَٱلثَّوْرُ وَٱلْحِصَانُ فِي ٱلْمُسَابَقَهْ

وَٱلْعَبْدُ يَسْعَى جُهْدَهُ وَيَكْدَحُ   لِرَبِّهِ يَوَدُّهُ وَيَنْصَحُ

قَالَ لَهُ لَا تَنْبَغِي بِكَ ٱلثِّقَهْ   فَأَنْتَ إِنْسَانٌ قَلِيلُ ٱلشَّفَقَهْ

قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ لَا يُوثَقُ   بِهِمْ فَمَا فِيهِمْ جَمِيعًا مُشْفِقُ

أَلسَّبُعُ وَٱلْحَيَّةُ وَٱلْجَبَّارُ   وَٱلْجَسَدُ ٱلْمَيْتُ يَا هِيلَارُ

قَالَ لِمَنْ يَرُدُّهَا مَا يَشْتَهِي   طَوْعًا أَقُولُ ذَاكَ غَيْرَ مُكْرَهِ

قَالَ لَهُ بِيلَارُ إِنَّ خَمْسَهْ   كُلُّهُمُ لِلْمَالِ يُرْدِي نَفْسَهْ

أَلْمَالُ خَيْرٌ عِنْدَهُمْ وَأَغْلَى ... لِلْجَهْلِ مِنْ نُفُوسِهِمْ وَأَحْلَى
أَللِّصُّ إِذْ تُقْطَعُ فِيهِ كَفُّهُ ... وَرَاكِبُ ٱلْبَحْرِ وَفِيهِ حَتْفُهُ
وَآخِذُ ٱلْأُجْرَةِ لِلْقِتَالِ ... يَبْذُلُ جَهْلاً نَفْسَهُ بِٱلْمَالِ
وَصَاحِبُ ٱلسِّجْنِ يَوَدُّ أَنَّهُ ... لِطَلَبِ ٱلْقِطْعَةِ يَمْلَأُ سِجْنَهُ[1]
قَالَ لَهُ لَقَدْ غَرَسْتَ حِقْدَا ... عِنْدِي وَقَدْ مَلَأْتَ قَلْبِي وَجْدَا
قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ لَا تَكْذِبُ ... أَلْحِقْدُ مَا بَيْنَهُمُ مُرَكَّبُ
لَا يَصْطَلِحْنَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْخَرُوفُ ... وَٱلْفَارُ وَٱلسِّنَّوْرُ يَا عَرُوفُ
وَمِثْلُهُنَّ ٱلْبُومُ وَٱلْغِرْبَانُ ... وَٱلْبَازُ وَٱلتَّدْرُجُ يَا إِنْسَانُ
قَالَ لَقَدْ أَفْسَدْتَ تِلْكَ ٱلْحِلْيَهْ ... لَقَدْ قَتَلْتَ غَادَةً بَلْ ظَبْيَهْ
قَالَ لَهُ يَلَازُ إِنَّ سَبْعَهْ ... قَدْ أَفْسَدُوا أَعْمَالَهُمْ بِٱلْمُتْعَهْ
أَلرَّجُلُ ٱلْقَائِمُ لَيْسَ يَعْرِفُ ... وَٱلسَّيِّدُ ٱلْفَظُّ ٱلَّذِي لَا يَعْطِفُ
وَمُحْسِنٌ إِلَى خَؤُونٍ كَاذِبِ ... وَآمِنُ ٱللِّصِّ ٱلسَّرُوقِ ٱلْخَارِبِ
وَٱلْأُمُّ تَحْنُو وَٱبْنُهَا يَعُقُّهَا ... وَبِٱلْعَصَا مَا يَأْتَلِي يَدُقُّهَا
وَمُسْرِعٌ إِلَى لِقَاءِ ٱلْآثِمَهْ ... تَجَرِّيًا عَلَى ٱلذُّنُوبِ ٱلْمُؤْلِمَهْ
وَرَجُلٌ لِلّٰهِ لَا يُرَاقِبُ ... قَدْ صَغُرَتْ فِي عَيْنِهِ ٱلْعَوَاقِبُ

---

(١) اغفل الناسخ الخامس من باذلي نفوسهم حبًا بالمال

قَالَ أَمَا تَرْحَمُنِي مِنْ ذِي ٱلنَّارْ أَلَيْسَ فِيكَ رَحْمَةٌ يَا بَيْلَارْ
قَالَ لَهُ بَيْلَارُ إِنَّ سِتَّهْ قُلُوبُهُمْ مِنْ رَحْمَةٍ مُنْحَتَّهْ
أَلْمَلِكُ ٱلْحَقُودُ وَٱللِّصُّ وَمَنْ يَصُدُّ مَوْلَاهُ عَنِ ٱلْفِعْلِ ٱلْحَسَنْ
وَحَامِلُ ٱلْأَمْوَاتِ وَٱلْمُكَابِرُ عَلَى ٱلْحُقُوقِ وَٱلْخَؤُونُ ٱلْغَادِرُ
قَالَ لَهُ لَقَدْ كَرِهْتُ مَا جَرَى مِنْ قَتْلِهَا فَلْيَعْلَمَنْ كُلُّ ٱلْوَرَى (١)
قَالَ فَإِنَّ سَبْعَةً مَكْرُوهَهْ مَدْفُوعَةٌ عَنْ حَقِّهَا مَجْبُوهَهْ
أَلشَّيْبُ وَٱلدَّاءُ ٱلدَّوِيُّ وَٱلْغَضَبْ وَٱلرَّدُّ بِٱلْجَهْلِ وَفِي ٱلْكُلِّ ٱلْعَطَبْ
وَٱلْجُوعُ وَٱلْمَوْتُ ٱلْكَرِيهُ وَٱلْعَطَشْ شِيلَ بِهَا كُلُّ فَتًى وَمَا ٱنْتَعَشْ
«قَالَ لَهُ لَا أَرْتَضِيكَ صَاحِبَا أَضْحَى ٱلْبِعَادُ عَنْكَ فَرْضًا وَاجِبَا»
قَالَ لَهُ لَا تَخْتَرَنْ ثَمَانِيَهْ آرَاؤُهُمْ مِنَ ٱلضَّلَالِ دَانِيَهْ
مَنْ شَاوَرَ ٱلْخِلَّ ٱلَّذِي لَا حِلْمَ لَهْ وَمُكْثِرٌ عَنْ حَالِهِ تَحَوُّلَهْ
وَمُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ وَرَايِهِ وَمُؤْثِرُ ٱلْمَالِ عَلَى حَوْبَائِهِ
وَعَاجِزٌ يَقْطَعُ أَرْضًا شَاسِعَهْ وَعَائِبٌ سُلْطَانَهُ مُوَاقِعَهْ
وَرَجُلٌ مَا يَأْتَلِي يُجَادِلُ وَبَطَلٌ أَصْحَابَهُ يُقَاتِلُ
قَالَ لَهُ لَقَدْ تَعَنَّيْنَا مَعَا قَالَ لَهُ عَنْ قَوْلِهِ فَأَسْمَعَا

(١) كان أصل الشطر الثاني : من قتلها فليدر من ليس درى

جَمَاعَةٌ نُفُوسَهُمْ يُعَنُّونْ ... وَإِنَّمَا أَرْوَاحَهُمْ يَضُرُّونْ

فَمِنْهُمُ ٱلْمُعَلِّمُ ٱلْجَهُولُ ... وَٱلْعَاقِلُ ٱلْمُعَظَّمُ ٱلْغَفُولُ

وَطَالِبٌ بِٱلْجَهْلِ مَا لَا يُدْرَكُ ... وَفَاجِرٌ ظَاهِرُهُ ٱلتَّنَسُّكُ

وَصَاحِبُ ٱلْمُلُوكِ مِنْ غَيْرِ أَدَبْ ... وَطَالِبُ ٱلْعِلْمِ بِحَرْبٍ وَغَضَبْ

مُجَادِلٌ مَنْ هُوَ مِنْهُ أَعْلَمُ ... وَرَجُلٌ جَارَتُهُ لَا تَفْهَمُ

وَخَاطِبٌ وِدَّ ٱلْمُلُوكِ بِٱلْمَلَقْ ... وَمَا صَفَا فِي وِدِّهِ وَمَا صَدَقْ

«ثُمَّ رَأَى أَنَّ ٱلْمَلِيكَ حَزِنَا ... لِكُثْرِ مَا جَادَلَهُ وَأَحْنَا»

وَقَالَ حَقٌّ أَنْ أُسِرَّ ٱلْمَلِكَا ... وَقُبْحَ مَا سِيءَ بِهِ أَسْتَدْرِكَا

فَقَدْ أَسَأْتُ فِي مَقَالِي وَصَفَحْ ... وَهٰكَذَا دَأْبُ ٱلْأَمِينِ ٱلْمُنْتَصِحْ

لِأَنَّهُ لِمَا ذَكَرْتُ مَا غَضِبْ ... وَلَمْ يَزُلْ وَقَارُهُ وَيَضْطَرِبْ

ذَاكَ دَلِيلٌ أَنَّهُ مَتَى عَرَا ... أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يُطَاقُ صَبَرَا

فَقَالَ يَا مَوْلَايَ رَبَّ ٱلْمَجْدِ ... قَدْ جُزْتُ فِي مَا قُلْتُ كُلَّ حَدِّ

«لٰكِنَّمَا قَدْ بَانَ لِي مِنْ حِلْمِكَا ... مَا دَلَّنِي عَلَى عَظِيمِ حَزْمِكَا»

«لَمْ تَبْدُ لِي إِشَارَةٌ مِنَ ٱلْغَضَبْ ... مَعْ أَنَّنِي أَكْثَرْتُ مِنْ إِبْدَا ٱلسَّبَبْ»

مَلَكْتُمُ نُفُوسَكُمْ لَا كَٱلْأُلَى ... رَامُوا عَلَى طَيْشِهِمِ نَيْلَ ٱلْعُلَى

جَزِعُوا لِأَصْغَرِ ٱلْمَصَائِبِ ... وَهَلِعُوا لِأَيْسَرِ ٱلنَّوَائِبِ

شَكَرْتُ إِذْ أَمْسَكْتَ عَنْ قَتْلِي وَلَمْ ... تَأْمُرْ بِهِ وَلَوْ فَعَلْتَ لَمْ تُلَمْ

«فَاعْلَمْ إِذًا أَنِّي مَا أَرَدْتُهَا ... بَلْ كُلُّ مَا يُحْزِنُهَا وَقَيْتُهَا»

فَسُرَّ لَمَّا قَالَ مَا قَتَلْتُهَا ... بَلْ فِي مَكَانٍ آمِنٍ جَعَلْتُهَا

قَالَ لَهُ إِنِّي عَرَفْتُ نُصْحَكَا ... فِي مَا جَرَى فَمَا رَأَيْتُ جُرْحَكَا

وَكُنْتُ أَرْجُو إِذْ عَرَفْتُ حَزْمَكَا ... أَنَّكَ مَا قَتَلْتَهَا لِحِلْمِكَا

فَإِنَّهَا وَإِنْ أَتَتْ كَبِيرَهْ ... مُنْكَرَةً لَمْ تَقْصِدِ الْجَرِيرَهْ

وَكَانَ أَوْلَى الْحَالِ بِي أَنْ أَحْتَمِلْ ... دَلَالَهَا وَكُلُّ مَحْبُوبٍ يَدِلّ

وَلَسْتَ فِي مَا قُلْتَ لِي بِمُذْنِبِ ... أَلذَّنْبُ ذَنْبِي فَعَلَامَ غَضَبِي

لَكِنْ أَرَدْتَ بِالْجِدَالِ التَّجْرِبَهْ ... وَإِنَّهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُتْعِبَهْ

وَخِفْتَ إِنْ أَقْرَرْتَ أَنْ أُعَاتِبَكْ ... عَلَى خِلَافِ الْأَمْرِ أَوْ أُعَاقِبَكْ

«لَا تَخْشَ مِنِّي حِدَّةً أَوْ حَدًّا ... سَرَرْتَنِي بِمَا فَعَلْتَ جِدًّا»

«إِنَّ بَقَاهَا يُرَخِّتُ فِي الْحَيَاةِ ... قَدْ جَلَبَ الْغَمَّ إِلَى عُدَاتِي»

«بَلْ إِنَّهُ فَرَّحَ قَلْبِي أَبَدَا ... فَلَنْ أَرَى مُكَدَّرًا طُولَ الْمَدَى»

«قُمْ فَأْتِنِي بِهَا سَرِيعًا فَعَبَرْ ... أَتَى بِهَا أَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرْ»

فَأَقْبَلَتْ فِي زِيِّهَا الْجَمِيلِ ... فَبُجِّلَتْ نِهَايَةَ التَّبْجِيلِ

وَنَصَّ مِنْ سَاعَتِهِ عَلَى ابْنِهَا ... خَلِيفَةً لَهُ فَأَنْسَى حُزْنَهَا

قَالَتْ عَلاَ إِنْعَامُكُمْ عَنْ شُكْرِي لِحُسْنِ مَا صَنَعْتُمُ فِي أَمْرِي
لَوْلاَ شَفِيعُ فَضْلِكُمْ وَٱلْكَرَمِ لَمْ تَحْرُقُوا قُلُوبَكُمْ بِٱلنَّدَمِ
وَكَانَ بِيلاَرُ لِمَا أَمَرْتُمُ مُنَفِّذًا فِي ٱلْحَالِ إِذْ أَرَدْتُمُ
فَشَكَرَا كِلاَهُمَا بِيلاَرَا شُكْرًا عَظِيمًا فِي ٱلْبِلاَدِ سَارَا
«قَالَ لَهُ بِيلاَرُ قَدْ عَوَّدْتَنِي عَلَى نَدَاكَ وَلِذَا أَطْمَعْتَنِي»
فَلِي إِلَيْكَ إِنْ أَمَرْتَ حَاجَهْ تَرْكُكَ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ ٱللَّجَاجَهْ
وَٱلرِّفْقُ فِي ٱلْأَمْرِ وَتَرْكُكَ ٱلْعَجَلَهْ فَإِنَّهَا خَلِيقَةٌ مُسْتَرْذَلَهْ
لَمْ يَعْجَلِ ٱلْإِنْسَانُ إِلاَّ وَنَدِمْ وَقَلَّ مَنْ يَرْفُقُ إِلاَّ وَغَنِمْ
قَالَ لَهُ لَسْتُ لِشَيْءٍ فَاعِلاَ إِلاَّ إِذَا شَاوَرْتُ فِيهِ عَاقِلاَ
وَقَتَلَ ٱلْأَعْدَاءَ قَتْلاً شَامِلاَ وَكَانَ فِي ذَاكَ ٱلْفِعَالِ عَادِلاَ
فَفَرِحُوا وَقَرَّتِ ٱلْعُيُونُ وَحَسُنَتْ فِي ٱلْمَلِكِ ٱلظُّنُونُ
«ثُمَّ أَتَوا كَبَارِيُونَ ٱلْفَاضِلاَ أَللَّوْذَعِيَّ ٱلْمُحْرِزَ ٱلْفَضَائِلاَ»
«وَقَابَلُوا مَا كَانَ أَبْدَى بِٱلثَّنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيٍ بِٱلسَّدَادِ ٱقْتَرَنَا»



بَابُ

اَلسِّنَّوْرِ وَاَلْجُرَذِ

وَهُوَ بَابُ

اَلْمُنْتَهِزِ فُرْصَتَهُ فِي مُعَاجَلَةِ عَدُوِّهِ وَالْأَخْذِ بِالْاِحْتِرَاسِ مِنْهُ

قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا هَذَا مَثَلْ　　مَنْ لَمْ يُشَاوِرْ نَاصِحًا فِي مَا فَعَلْ
وَتَرْكِ اَلرِّفْقِ وَكَانَ مَثَلَا　　لَنْ يَهْلِكَ اَلْإِنْسَانُ حَتَّى يَعْجَلَا
فَاضْرِبْ لَنَا فِي صَاحِبِ اَلرِّفْقِ مَثَلْ　　فَالرِّفْقُ أَمْنٌ لِلْفَتَى مِنَ اَلزَّلَلْ
بِرَجُلٍ قَدْ كَانَ فِي بَلَاءْ　　مِنْ كَثْرَةِ اَلْحُسَّادِ وَالْأَعْدَاءْ
فَصَالَحَ اَلْبَعْضَ لِحَرْبِ اَلْبَعْضِ　　وَهُوَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ ذُو بُغْضِ
مُسْتَظْهِرًا بِصُلْحِهِمْ حَتَّى نَجَا　　وَنَالَ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ رَجَا
ثُمَّ صَفَا وَدَادُهُ لِمَنْ صَفَا　　مِنْهُمْ وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا مَنْ وَفَى
ثُمَّ أَبِنْ لِي اَلصُّلْحَ كَيْفَ يُلْتَمَسْ　　فَإِنَّ أَنْوَارَ اَلْعُقُولِ تُقْتَبَسْ
قَالَ لَهُ لَا تَثْبُتُ اَلْأَخْلَاقُ　　لَكِنْ تَحُولُ وَالْهَوَى أَرْزَاقُ
فَيَرْجِعُ اَلْبُغْضُ اَلشَّدِيدُ حُبًّا　　وَيُصْبِحُ اَلْبُعْدُ اَلْعَظِيمُ قُرْبَا

وَذَاكَ مِنْ تَحَوُّلِ ٱلْأَسْبَابِ   مَا أَجْدَرَ ٱلْقُلُوبَ بِٱنْقِلَابِ

وَإِنَّ ذَا ٱلْجَهْلِ إِذَا تَغَيَّرَا   أَمْرٌ غَدَا فِي رَأْيِهِ مُحَيَّرَا

وَرَأْيُ ذِي ٱللُّبِّ يَدُورُ مَعَهُ   كَأَنَّهُ يَطْلُبُ أَنْ يَتْبَعَهُ

إِنْ حَسُنَ ٱلْأَمْرُ لَهُ فَهُوَ حَسَنْ   يَجُولُ كُلَّ سَاعَةٍ مِثْلَ ٱلزَّمَنْ

«مُقَابِلًا عَدُوَّهُ بِٱلْبَاسِ   أَمَّا ٱلصَّدِيقَ فَبِٱلِٱسْتِئْنَاسِ»

مُلْتَمِسًا مَا عِنْدَ أَوْلِيَائِهِ   وَطَالِبًا يَطْمَعُ فِي أَعْدَائِهِ

فَقَارِبِ ٱلْأَعْدَآءَ وَٱطْلُبْ وِدَّهُمْ   مُسْتَخْرِجًا أَضْغَانَهُم وَحِقْدَهُمْ

إِذَا طَمِعْتَ فِي صَلَاحٍ مِنْهُمُ   لَا تُظْهِرَنْ لَهُمْ صُدُودًا عَنْهُمُ

مَنْ مَارَسَ ٱلْأُمُورَ بِٱلْحَزْمِ ظَفِرْ   كَٱلْفَارِ وَٱلسِّنَّوْرِ فِي مَا قَدْ ذُكِرْ

تَصَالَحَا فِي وَرْطَةٍ شَدِيدَهْ   فَنَجَوَا بِٱلرَّأْيِ وَٱلْمَكِيدَهْ

قَالَ وَكَيْفَ ذَكَرُوا قَالَ ذَكَرْ   رَاوٍ عَلِيمٌ بِٱلْحَدِيثِ وَٱلسِّيَرْ

أَنَّ مَكَانًا كَانَ فِيهِ شَجَرَهْ   مِنْ شَجَرِ ٱلْبَيْرُوذِ ذَاتُ ثَمَرَهْ

فِي أَصْلِهَا جُحْرٌ كَشِدْقِ ٱلنُّونِ   لِجُرَذٍ سُمِّيَ بِإِفْرِيذُونِ

وَجُحْرُ سِنَّوْرٍ يُسَمَّى رُومِي   فَٱنْظُرْ إِلَى تَآلُفِ ٱلْخُصُومِ

وَرُبَّمَا يَقْصِدُهَا ٱلصَّيَّادُ   إِذْ لِلطُّيُورِ حَوْلَهَا مُرَادُ

«فَذَاتَ يَوْمٍ جَآءَ صَيَّادٌ نَصَبْ   أَشْرَاكَهُ بِقُرْبِهَا بِلَا نَصَبْ»

فَوَقَعَ ٱلسِّنَّوْرُ فِي ٱلْحِبَالَهْ   وَيَعْجِزُ ٱلْإِنْسَانُ لَا مَحَالَهْ

فَدَبَّ إِفْرِيدُونُ يَسْعَى لِلطَّمَعْ   فَأَبْصَرَ ٱلسِّنَّوْرَ فِيهَا قَدْ وَقَعْ

فَهَمَّ بِٱلرُّجُوعِ عَنْهُ فَنَظَرْ   وَرَاءَهُ ٱبْنَ عِرْسٍ ٱقْتَصَّ ٱلْأَثَرْ

وَفَوْقَهُ عَلَى ٱلْغُصُونِ بُومَهْ   تَرْصُدُهُ فَقَالَ يَا مَشُومَهْ

هَذِي ثَلٰثٌ لَيْسَ مِنْهَا مَخْلَصُ   لٰكِنَّنِي بِٱلْعَقْلِ عَنْهَا أَخْلُصُ

فَإِنْ دَهِشْتُ وَبَقِيتُ حَائِرَا   وَعَادَ قَلْبِي لِلْحَذَارِ طَائِرَا

هَلَكْتُ وَٱلْعَاقِلُ مَنْ لَا يَذْهَلُ   عَنْ رَأْيِهِ إِذَا عَرَاهُ مُعْضِلُ

فَٱلرَّأْيُ كَٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي لَا تُدْرَكُ   غَايَتُهُ وَلَيْسَ فِيهِ مَسْلَكُ

وَٱلرَّجُلُ ٱلْعَاقِلُ مَنْ لَا يَبْطَرُ   لِنِعْمَةٍ خُصَّ بِهَا بَلْ يَشْكُرُ

وَٱلرَّأْيُ أَنْ أُصَالِحَ ٱلسِّنَّوْرَا   فَقَدْ بَلَغْتُ فِي ٱجْتِهَادِي ٱلْغَوْرَا

وَإِنَّهُ بِنَفْسِهِ مَشْغُولُ   وَطَبْعُهُ عَنْ شَرِّهِ مَعْقُولُ

وَرُبَّمَا خَلَّصْتُهُ مِنْ وَرْطَتِهْ   بِٱلْكَيْدِ أَوْ أَنْعَشْتُهُ مِنْ سَقْطَتِهْ

ثُمَّ دَنَا فَقَالَ كَيْفَ حَالُكَا   قَالَ كَمَا يَنْعَمُ مِنْهُ بَالُكَا

فِي ضِيقَةٍ شَدِيدَةٍ وَضَنْكِ   شَمَمْتُ مِنْهَا رِيحَ كُلِّ هُلْكِ

قَالَ لَهُ قَدْ كَانَ مَا يَسُرُّكَا   يَسُوءُنِي وَكُلُّ مَا يَضُرُّكَا

يَنْفَعُنِي وَذَاكَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ   فَخَلِّ عَنْكَ غِيبَتِي وَلَوْمِي

لِأَنَّنِي فِي مِحْنَةٍ عَظِيمَهْ ... وَوَرْطَةٍ مُقْعِدَةٍ مُقِيمَهْ

وَلَسْتُ أَرْجُو فَرَجًا لِنَفْسِي ... إِلَّا بِإِنْقَاذِكَ مِنْ ذَا ٱلْحَبْسِ

لِذَاكَ أَصْفَيْتُكَ مَحْضَ وِدِّي ... وَزَالَ مَا أُضْمِرُهُ مِنْ حِقْدِ

إِنَّ ٱبْنَ عِرْسٍ جَاءَ يَبْغِي حَتْفِي ... وَٱلْبُومَةُ ٱلشَّوْهَاءُ تَرْجُو خَطْفِي

هُمَا عَدُوِّي وَعَدُوٌّ لَكُمُ ... وَأَنْتَ يَا رُومِي بِذَاكَ أَعْلَمُ

لٰكِنْ يَخَافَانِكَ كُلَّ خِيفَهْ ... قَدْ جَرَّبَا بَطْشَتَكَ ٱلْعَنِيفَهْ

فَٱبْذُلْ لِي ٱلْأَمَانَ حَتَّى أَدْنُو ... إِلَيْكَ إِنَّ ٱلْقُرْبَ مِنْكَ أَمْنُ

ثُمَّ لَعَلِّي أَقْرِضُ ٱلْحِبَالَا ... عَنْكَ فَتَمْضِي مُطْلَقًا مُخْتَالَا

فَثِقْ بِصِدْقِي فِي ٱلَّذِي أَقُولُ ... فَٱلصِّدْقُ قَدْ تَعْرِفُهُ ٱلْعُقُولُ

فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ ٱلرِّجَالِ ... أَبْعَدُ مِنْ خَيْرٍ وَحُسْنِ حَالِ

مِنْ رَجُلَيْنِ ٱتَّفَقَا وَٱخْتَلَفَا ... وَٱلْأَمْرُ لَا يُعْرَفُ حَتَّى يُكْشَفَا

فَذَاكَ غَيْرُ وَاثِقٍ بِأَحَدِ ... وَذَاكَ جِدُّ وَاثِقٍ مُعْتَمِدِ

«إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّفَقَتْ أَحْوَالُهُمْ ... وَٱخْتَلَفَتْ بِطَبْعِهِمْ أَمْيَالُهُمْ»

«هُمْ جَدِيرُونَ بِأَنْ يَأْتَلِفُوا ... لِيُدْرِكُوا ٱلْبُغْيَ وَإِلَّا تَلِفُوا»

فَٱعْجَلْ بِمَا قُلْتُ وَلَا تُؤَخِّرِ ... فَإِنَّمَا ٱلتَّأْخِيرُ فِعْلُ ٱلْمُدْبِرِ

لَقَدْ رَضِيتُ أَنْ تَعِيشَ سَالِمَا ... فَٱرْضَ بِأَنْ أَبْقَى وَكُنْ مُسَالِمَا

فَرُبَّمَا نَجَا ٱلْفَتَى بِٱلصَّاحِبِ … كَٱلسُّفُنِ فِي ٱلْبَحْرِ نَجَتْ بِٱلرَّاكِبِ

فَسَرَّهُ مَقَالُهُ وَأَبْهَجَهْ … وَخَفَّ عَنْهُ بَعْضُ مَا قَدْ أَزْعَجَهْ

وَقَالَ قَدْ قُلْتَ شَبِيهَ ٱلصِّدْقِ … وَقُلْتَ أَمْرًا ظَاهِرًا كَٱلْحَقِّ

وَوَافَقَتْ ذَلِكَ مِنِّي رَغْبَهْ … لَعَلَّنَا نَخْلُصُ مِنْ ذِي ٱلْكُرْبَهْ

وَأَنْتَ مِنِّي أَبَدًا مَشْكُورْ … وَٱلْأَمْرُ قَدْ يَتْبَعُهُ أُمُورْ

قَالَ فَأَظْهِرْ لَهُمَا مَوَدَّتِي … لِيَأْيَسَا مِنِّي بِحُسْنِ خِلَّتِي

فَٱعْتَنَقَا وَٱلْتَزَمَا وَٱتَّفَقَا … فَيَئِسَا كَمَا رَجَا وَٱنْطَلَقَا (١)

وَلَمْ يَزَلْ يَقْرِضُ ذَاكَ ٱلْحَبْلَا … مِنْ غَيْرِ جِدٍّ فَجَزَاهُ عَذْلَا

وَقَالَ لَمَّا نِلْتَ مِنِّي بُغْيَتَكْ … قَصَّرْتَ أَوْ غَيَّرْتَ فِي نِيَّتِكْ

فَجَازِنِي بِعَاجِلِ ٱلْإِحْسَانِ … وَلَا تُجَازِ ٱلْبِرَّ بِٱلْكُفْرَانِ

لَا تَذْكُرَنْ عَدَاوَةَ ٱلْآبَاءِ … إِنَّ ٱلْحُقُودَ لَيْسَ ذَا وَفَاءِ

بِخُلَّةٍ وَاحِدَةٍ كَرِيمَهْ … تُنْسَى خِلَالٌ سَلَفَتْ قَدِيمَهْ

عُقُوبَةُ ٱلْغَدْرِ فَخَفْهَا حَاضِرَهْ … مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَٱلْيَمِينُ ٱلْفَاجِرَهْ

«مَنْ سُئِلَ ٱلْعَفْوَ وَلَمْ يَعْفُ غَدَرْ … هَذَا إِذَا كَانَ عَلَى ٱلْعَفْوِ قَدَرْ»

---

(١) كان الأصل احتلفا عوض اتفقا وكانه اراد بها تحالفا واذ لم اجد لها هذا المعنى حذفتها

قَالَ لَهُ مَقَالَ ذِي بَيَانِ إِنَّ ٱلصَّدِيقَ فَٱعْرِفَنْهُ ٱثْنَانِ
وَالِي ٱلرِّجَالِ مُكْرَهًا وَطَائِعًا كِلَاهُمَا يَلْتَمِسُ ٱلْمَنَافِعَا
لَكِنَّمَا ٱلطَّائِعُ فِي ٱلْإِخَاءِ مُسْتَرْسِلٌ إِلَيْهِ فِي ٱلرَّخَاءِ
وَٱلْمُكْرَهُ ٱلْمُضْطَرُّ لَا يَسْتَرْسِلُ فِي كُلِّ حَالٍ بَلْ بِقَدْرٍ يَعْمَلُ
«وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ مَنْ لَا يُطْمِعُ عَدُوَّهُ لَكِنْ بِحَزْمٍ يَصْنَعُ»
يَجْعَلُهُ مُسْتَرْهِنًا بِحَاجَتِهْ مَا بَقِيَتْ لِلْخَوْفِ مِنْ لَجَاجَتِهْ
وَإِنَّنِي مُسْتَظْهِرٌ لِنَفْسِي وَمُطْلِقٌ عَنْكَ وِثَاقَ ٱلْحَبْسِ
لَكِنَّنِي بِعُقْدَةٍ أَرْتَهِنُكْ لِأَنَّنِي بِٱلطَّبْعِ لَا آتَمِنُكْ
أَقْطَعُهَا عَنْكَ إِذَا لَمْ تَقْدِرِ عَلَيَّ مِنْ خَوْفِ عَدُوٍّ مُنْكَرِ
إِنَّ ٱلرَّكِيكَ ٱلرَّأْيِ مَنْ يَغْتَرُّ بِمَا أَتَى عَدُوُّهُ ٱلْمُضْطَرُّ
لَيْسَ عَفَافُ ٱلْأَسَدِ ٱلْمَغْلُولِ بِجَائِزٍ عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ
وَفَاجَأَتْهُمْ طَلْعَةُ ٱلصَّيَّادِ فَقَالَ هٰذِي سَاعَةُ ٱجْتِهَادِ
فَمَا دَنَا ٱلصَّيَّادُ مِنْهُ حَتَّى بَتَّ ٱلْحِبَالَ كُلَّهُنَّ بَتَّا
وَصَعِدَ ٱلسِّنَّوْرُ فَوْقَ ٱلشَّجَرَهْ وَدَخَلَ ٱلْآخَرُ بَعْضَ ٱلْجُحَرَهْ
وَذَهَبَ ٱلصَّيَّادُ وَهْوَ خَائِبُ فَجَاءَ إِفْرِيذُونُ وَهْوَ هَائِبُ
فَأَبْصَرَ ٱلسِّنَّوْرَ وَهْوَ وَاقِفُ فَكَرَّ نَحْوَ ٱلْجُحْرِ وَهْوَ خَائِفُ

قَالَ لَهُ ٱلسِّنَّوْرُ يَا ذَا ٱلْمِنَنِ كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ صَنِيعٍ حَسَنِ
هَلُمَّ صَافِحْنِي فَأَجْزِيكَ بِمَا فَعَلْتَهُ كَذَاكَ أَجْزِي ٱلْمُنْعِمَا
«هَلُمَّ لَا تَقْطَعْ إِخَائِي وَٱلْوِدَادْ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَصْحَابِ ٱلرَّشَادْ»
إِنَّ ٱلَّذِي يُضَيِّعُ ٱلصَّدِيقَا يَكُونُ فِي شَرْعِ ٱلْوِلَا حَقِيقَا
بِفَقْدِهِ مَنَافِعَ ٱلْإِخَآءِ فِي حَالَةِ ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَآءِ
أَخْذُ ٱلصَّدِيقِ مِثْلُ غَرْسِ ٱلشَّجَرَهْ وَحِفْظُهُ مِثْلُ ٱجْتِنَآءِ ٱلثَّمَرَهْ
وَلَمْ يَزَلْ يَحْلِفُ بِٱللّٰهِ لَقَدْ أَخْلَصَ فِي مَا قَالَهُ عَنْ مُعْتَقَدْ
فَقَالَ إِفْرِيدُونُ قَوْلَ شَاطِرِ طَبٍّ بِأَدْوَآءِ ٱلْأُمُورِ قَاهِرِ
دَآءٌ دَوِيٌّ مَا لَهُ دَوَآءٌ عَدَاوَةٌ ظَاهِرُهَا إِخَآءٌ
عَدَاوَةُ ٱلظَّاهِرِ خَيْرٌ عِنْدِي مِنْ إِحْنَةِ ٱلْبَاطِنِ فَٱعْرِفْ حَدِّي
مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَرِّهَا مُحْتَرِسَا تُبْصِرُهُ بِنَابِهَا مُفْتَرَسَا
كَأَنَّهُ رَاكِبُ نَابِ ٱلْفِيلِ يَغْلِبُهُ ٱلنُّعَاسُ فِي ٱلتَّمْثِيلِ
«يُفِيقُ تَحْتَ فِرْسِنِ ٱلْفِيلِ فَلَا يُحَرِّكُ إِلَّا دَاسَهُ فَقُتِلَا»
إِنَّ ٱلصَّدِيقَ مَنْ رَجَوْتَ بِرَّهْ كَمَا ٱلْعَدُوُّ مَنْ خَشِيتَ شَرَّهْ
وَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَامِلُ مَنْ تَوَدَّدَا إِلَى ٱلْعَدُوِّ إِنْ رَآهُ مُسْعِدَا
وَإِنْ رَأَى مِنَ ٱلصَّدِيقِ ضَرَرَا أَبْدَى لَهُ عَدَاوَةً وَأَظْهَرَا

إِنَّ سِخَالَ ٱلْوَحْشِ وَٱلْبَهَائِمِ ... يَتْبَعْنَهُنَّ لِلرَّضَاعِ ٱلدَّائِمِ

حَتَّى إِذَا قَطَعْنَهُ ٱنْصَرَفْنَهْ ... كَأَنَّهُنَّ قَطُّ مَا عَرَفْنَهْ

أَمَا تَرَى تَغَيُّرَ ٱلسَّحَابِ ... بِٱلْقَطْرِ وَٱلْإِمْسَاكِ وَٱلذَّهَابِ

كَذَاكَ ذُو ٱلثَّبَاتِ وَٱلتَّمَكُّنِ ... يُشْبِهُ فِعْلَ ٱلدَّهْرِ فِي ٱلتَّلَوُّنِ

فَتَارَةً تُبْصِرُهُ رَشِيدَا ... وَتَارَةً تُبْصِرُهُ بَلِيدَا

وَتَارَةً مُنْبَسِطًا وَتَارَهْ ... مُنْقَبِضًا كَأَنَّهُ ٱلْحِجَارَهْ

وَرُبَّمَا يَقْطَعُ عَنْهُ بِرَّهْ ... وَخَيْرَهُ وَلَا يَخَافُ شَرَّهْ

لِأَنَّهُ لَيْسَ بِذِي عَدَاوَهْ ... أَصْلًا وَلَا فِي قَلْبِهِ قَسَاوَهْ

أَمَّا إِذَا كَانَ عَدُوًّا طَبْعَا ... وَصَارَ خِلًّا حِينَ رَامَ نَفْعَا

يَرْجِعُ إِنْ زَالَ ٱلَّذِي ٱحْتَالَ لَهُ ... إِلَى ٱلَّذِي عَنْ طَبْعِهِ حَوَّلَهُ

كَٱلْمَاءِ إِنْ أَسْخَنْتَهُ بِٱلنَّارِ ... يَعُودُ لِلطَّبْعِ بِلَا تَمَارِي

وَأَنْتَ يَا رُومِي عَدُوِّي طَبْعَا ... وَأَبْغَضُ ٱلْخَلْقِ إِلَيَّ جَمْعَا

وَأَلْجَأَتْنِي فَاقَةٌ وَشِدَّهْ ... إِلَيْكَ لَا إِنِّي أَرَاكَ عُدَّهْ

وَنَالَ كُلٌّ فَرَحًا بِصَاحِبِهْ ... وَٱحْتَالَ لِلرَّاحَةِ مِنْ مُغَالِبِهْ

وَٱلْآنَ قَدْ زَالَ ٱلَّذِي أَحْوَجَنِي ... إِلَيْكَ وَٱلْخَطْبُ ٱلَّذِي أَحْرَجَنِي

وَزَالَ أَيْضًا عَنْكَ مِثْلُ ذَلِكَا ... وَكُلُّنَا كَانَ أَسِيرًا هَالِكَا

وَرُبَّمَا عُدْتَ إِلَى ٱلطَّبِيعَهْ — فَمَا أَنَا مَنْ يَسْمَعُ ٱلْخَدِيعَهْ

فَٱلْعَاجِزُ ٱلضَّعِيفُ إِنْ تَقَرَّبَا — مِنْ خَصْمِهِ ٱلْقَوِيِّ لَاقَى عَطَبَا

كَذَلِكَ ٱلذَّلِيلُ وَٱلْعَزِيزُ — فَٱسْمَعْ مَقَالِي إِنَّهُ وَجِيزُ

وَبَعْضُنَا عَنْ بَعْضِنَا غَنِيُّ — وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ غَبِيُّ

لَا هَمَّ إِلَّا أَنْ تُرِيدَ أَكْلِي — «وَلَيْسَ فِي قُرْبِكَ نَفْعُ مِثْلِي»(١)

وَإِنَّمَا تُسْتَحْسَنُ ٱلْمُصَانَعَهْ — فِي حَالَةِ ٱلْحَاجَةِ لَا ٱلْمُخَادَعَهْ

لَيْسَ إِذَا مَا ٱحْتَرَسَ ٱلضَّعِيفُ — مِنَ ٱلْقَوِيِّ حُكْمُهُ يَحِيفُ

فَلَا يُقَالُ ٱلْعَاثِرُ ٱلْمُسْتَرْسِلُ — وَلَا يَنَالُ ٱلطَّالِبُ ٱلْمُسْتَعْجِلُ

«وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ مَنْ يَنْفِي لِمَنْ — صَالَحَ مِنْ أَعْدَائِهِ وَمَا ٱضْطَغَنْ»

«وَيُجْهِدُ ٱلنَّفْسَ لِكَيْ يَبْتَعِدَا — عَنْهُ فَيَلْقَى ٱلْعَيْشَ دَوْماً رَغَدَا»

«ثُمَّتَ لَا يَأْمَنُهُ إِذَا ٱقْتَرَبْ — مِنْهُ وَإِلَّا فَلْيُعِدَّ لِلْكُرَبْ»

كُلُّ ٱمْرِئٍ لِنَفْسِهِ يَسْتَوْثِقُ — وَبُعْدُهُ عَنِ ٱلْعَدُوِّ أَوْفَقُ

«وَإِنَّنِي أَبْغِي لَكَ ٱلْبَقَاءْ — وَرَغَدَ ٱلْعِيشَةِ وَٱلرَّخَاءْ»

«بِشَرْطِ أَنْ أَبْقَى بَعِيداً عَنْكَا — فَلَسْتُ أَرْتَاحُ بِقُرْبِي مِنْكَا»

«وَإِنْ تَكُنْ تَرُومُ أَنْ تَجْزِيَنِي — عَلَى ٱلَّذِي فَعَلْتُهُ مِنْ حَسَنِ»

---

(١) كان الاصل : هيهات هذا ما وجدت عقلي

«فَمَا عَلَيْكَ غَيْرُ أَنْ تَدْعُو لِي … فَذَاكَ وَايْمُ ٱللهِ خَيْرُ عَمَلِ»

«وَلَيْسَ يُجْدِي ٱلشَّرْحُ وَٱلتَّطْوِيلُ … فَمَا إِلَى ٱجْتِمَاعِنَا سَبِيلُ»

بَابُ

ٱلطَّائِرِ قُبَّرَةَ وَٱلْمَلِكِ

وَهُوَ بَابُ

ذَوِي ٱلتِّرَاتِ وَٱتِّقَاءِ بَعْضِهِمِ بَعْضًا

قَالَ لَهُ عَرَفْتُ هٰذَا كُلَّهُ … وَأَنْتَ خَبْرٌ قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ

فَٱذْكُرْ لَنَا حَالَ ذَوِي ٱلْأَحْقَادِ … وَٱلْقَصْدِ فِي ٱلصَّلَاحِ وَٱلْفَسَادِ

قَالَ نَعَمْ كَانَ لِبَرْهَمُوذِ … أَلْمَلِكِ ٱلْمُعَظَّمِ ٱلْمَحْسُوذِ

طَيْرٌ يُرَبِّيهِ يُسَمَّى قُبَّرَهْ … كَدُمْيَةٍ فِي حَائِطٍ مُصَوَّرَهْ

وَكَانَ ذَا نُطْقٍ وَكَيْسٍ وَأَدَبْ … لَهُ فُرَيْخٌ مَا بِحِضْنَيْهِ زَغَبْ

فَقَالَ كُونَا فِي مَكَانٍ وَاحِدِ … عِنْدَ ٱلَّتِي أَهْوَى مِنَ ٱلْخَرَائِدِ

عِنْدَ أَحَبِّ نِسْوَتِي إِلَيَّا … لِكَيْ تَكُونَا أَبَدًا لَدَيَّا

وَقَالَ لَا تُقَصِّرِي فِي أَمْرِهِ … وَبَالِغِي فِي حِفْظِهِ وَبِرِّهِ

وَوَلَدَتْ عَامَئِذٍ غُلَامَا ... حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ ٱلْفِطَامَا
أَعْجَبَهُ ٱلْفَرْخُ فَكَانَ يَلْعَبُ ... بِهِ وَذُو ٱلْخُلُقِ ٱلْمَلِيحِ يُعْجِبُ
وَكَانَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ قُبَّرَهْ ... مِنْ جَبَلٍ يَعْرِفُهُ بِثَمَرَهْ
مَجْهُولَةٍ يُطْعِمُهَا ٱلْغُلَامَا ... وَٱلْفَرْخَ كَانَ هٰكَذَا أَعْوَامَا
فَثَبَتَا وَقَوِيَا وَشَبَّا ... فَزَادَهُ ذَاكَ لَدَيْهِ حُبَّا
فَغَابَ يَوْمًا لِٱبْتِغَاءِ ٱلْكَسْبِ ... وَفَرْخُهُ مُشْتَغِلٌ بِٱللَّعِبِ
فَطَارَ فِي حِجْرِ ٱلْغُلَامِ وَوَثَبْ ... فَٱلْتَهَبَتْ فِي قَلْبِهِ نَارُ ٱلْغَضَبْ
وَقَتَلَ ٱلْفَرْخَ فَلَمَّا جَآءَ ... قُبَّرَةٌ لَمْ يَمْلِكِ ٱلْعَزَاءَ
وَقَالَ قُبْحًا لِلْمُلُوكِ قُبْحَا ... لَا يَعْرِفُونَ خِدْمَةً وَنُصْحَا
وَلَا لَهُمْ عَهْدٌ وَلَا وَفَآءُ ... فَحُبُّهُمْ وَبُغْضُهُمْ سَوَآءُ
وَوَيْلُ مَنْ خَالَطَهُمْ وَخَدَمَا ... فَإِنَّهُمْ لَا يَرْقُبُونَ ٱلْخَدَمَا
لَا يُكْرِمُونَ صَاحِبًا إِلَّا إِذَا ... مَا ٱفْتَقَرُوا إِلَيْهِ أَوْ خَافُوا ٱلْأَذَى
حَتَّى إِذَا مَا بَلَغُوا ٱلْمُرَادَا ... مِنْهُ أَعَادُوا قُرْبَهُ بُعَادَا
لَا سَعْيُ مَنْ يَخْدُمُهُمْ مَشْكُورُ ... وَلَا يَسِيرُ جُرْمِهِ مَغْفُورُ
لَا يَقْصِدُونَ ٱلْبِرَّ وَٱلْوَفَآءَ ... بَلْ يَعْمِدُونَ ٱلصِّيتَ وَٱلرِّيَاءَ
يُوَاقِعُونَ أَكْبَرَ ٱلْجَرَائِمِ ... وَيَكْسِبُونَ أَعْظَمَ ٱلْمَآثِمِ

لَا آخُذَنْ مِنَ ٱلْخَؤُوْنِ ٱلْغَادِرِ   وِتْرِي فَلَسْتُ بِٱلْحَلِيمِ ٱلصَّابِرِ

أَبَعْدَ مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُخَالَطَهْ   بَيْنَهُمَا وَشِدَّةِ ٱلْمُبَاسَطَهْ

« يَقْتُلُهُ هٰذَا ٱلْغُلَامُ ٱلْكُنُدُ   وَٱللهِ لَا رَحِمْتُهُ مِنْ بَعْدُ »

ثُمَّ عَدَا مِنْ وَقْتِهِ عَلَيْهِ   وَٱبْتَزَّ عَيْنَيْهِ بِمِخْلَبَيْهِ

وَطَارَ مِنْ سَاعَتِهِ حَتَّى وَقَعْ   عَلَى مَكَانٍ مُشْرِفٍ فِيهِ ٱمْتَنَعْ

وَسَمِعَ ٱلسُّلْطَانُ ذَاكَ فَجَزِعْ   وَهَالَهُ ٱلْحَالُ ٱلَّذِي عَنْهُ سَمِعْ

ثُمَّ أَرَادَ قَتْلَهُ بِٱلْحِيلَهْ   وَٱلشَّهْمُ لَا يُقْتَلُ إِلَّا غِيلَهْ

فَجَاءَهُ قَصْدًا إِلَيْهِ وَوَقَفْ   بِمَوْضِعٍ يَقْرُبُ مِنْهُ وَهَتَفْ

إِنَّكَ فِي أَمْنٍ فَقَالَ قُبَّرَهْ   مَقَالَةً أَوْضَحَ فِيهَا ٱلْمَعْذِرَهْ

لِلْغَدْرِ فَٱحْذَرْ غِبَّهُ جَزَاءْ   لَيْسَ بِهِ عَلَى ٱمْرِئٍ خَفَاءْ

إِنْ لَمْ يَكُنْ مُعَجَّلًا فِي ٱلْعَاجِلَهْ   فَإِنَّهُ مُؤَجَّلٌ لِلْآجِلَهْ

وَرُبَّمَا دَبَّ إِلَى ٱلْأَعْقَابِ   فَعُوقِبُوا بِمُؤْلِمِ ٱلْعِقَابِ

وَٱبْنُكَ مِمَّنْ عَجَّلَ ٱللهُ لَهُ   جَزَاءَهُ عَدْلًا وَمَا أَمْهَلَهُ

قَالَ لَهُ هٰذَا بِذَاكَ فَٱعْلَمِ   أَنَّكَ فِي مَا جِئْتَهُ لَمْ تَظْلِمِ

وَنَحْنُ فِي ٱلْوُدِّ عَلَى مَا كُنَّا   فَلَا تُسِيئَنْ بِٱلصَّدِيقِ ٱلظَّنَّا (١)

---

(١) كان الاصل: فلا تسيءْ بالصديق ظنا

وَعُدْ إِلَيْنَا آمِنًا فَقَالَا … لَا تَطْلُبَنَّ مِنِّيَ الْمُحَالَا

قَدْ قَالَ مَنْ أَحْسَنَ فِي التَّدْبِيرِ … لَا يَقْرَبِ الْوَاتِرُ مِنْ مَوْتُورِ

وَقَالَ لَا تَزْدَدْ بِحُسْنِ بِشْرِهِ … إِلَّا نِفَارًا وَاحْتَرِسْ مِنْ مَكْرِهِ

وَكُنْ مِنَ الْحَقُودِ ذَا اسْتِيحَاشِ … وَقَابِلِ الرِّقَّةَ بِانْكِمَاشِ

إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِالْعُهُودِ … فَإِنَّهَا مَيْنٌ مِنَ الْحَقُودِ

وَالْعَاقِلُ الْمُوَفَّقُ الْوَحِيدُ … لَيْسَ لَهُ أَهْلٌ وَلَا وَلِيدُ

يُبَاعِدُ الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ … وَيَهْجُرُ الْإِخْوَانَ وَالنِّسَاءَ

وَهَا أَنَا ذَاكَ الْوَحِيدُ الْفَرْدُ … هَذَا الْوَدَاعُ لَا لِقَاءَ بَعْدُ

فَقَدْ تَزَوَّدْتُ مِنَ الشُّجُونِ … لَدَيْكُمُ مَا بَعْضُهُ يَكْفِينِي

قَالَ لَهُ لَوْ لَمْ نَكُنْ أَسَانَا … وَلَمْ يَكُنْ فِعَالُنَا عُدْوَانَا

وَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ اقْتَصَصْتَ مِنَّا … كُنْتَ مُصِيبًا فِي النُّفُورِ عَنَّا

وَالْآنَ أَنْتَ عِنْدَنَا بَرِيٌّ … مُنَزَّهٌ مُهَذَّبٌ سَرِيٌّ

فَارْجِعْ إِلَى الْوُدِّ وَكُنْ عَلَى ثِقَهْ … قَالَ لَهُ عَدِمْتُ هَذِي الشَّفَقَهْ

لِلْحِقْدِ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ مَوْضِعُ … وَالشَّكُّ لَا شَكَّ شَدِيدٌ مُوجِعُ

وَرُبَّمَا لَا يَصْدُقُ اللِّسَانُ … عَنِ الْفُؤَادِ وَهْوَ تَرْجُمَانُ

قَلْبِي عَلَى قَلْبِكَ نِعْمَ الشَّاهِدُ … وَقَدْ حَكَى أَنَّكَ خَصْمٌ وَاجِدُ

قَالَ لَهُ ٱلْعَاقِلُ مَنْ أَمَاتَا حُقُودَهُ فَرَدَّهَا رُفَاتَا

وَٱلْجَاهِلُ ٱلْغِمْرُ يُرَبِّي ٱلْحِقْدَا وَٱلْحُرُّ يَنْسَى ٱلْمُحْفِظَاتِ عَمْدَا

قَالَ كَذَاكَ وَلٰكِنَّ ٱلْعَاقِلَا لَا يَحْسِبُ ٱلثَّارَ يَمُرُّ بَاطِلَا

بَلْ يَحْذَرُ ٱلْمَوْتُورَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ فَٱلْمَوْتُ بَطْشُ ٱلْحَنِقِ ٱلْمُنْتَصِرِ

وَحِيلَةُ ٱلْمَوْتُورِ تُخْشَى أَبَدَا إِذْ لَا يَزَالُ طَالِبًا مُجْتَهِدَا

رُبَّ عَدُوٍّ لَا يُطَاقُ جَهْرَا وَلَا يُنَالُ فَيُكَادُ سِرَّا

فَلَيْسَ غَيْرُ ٱلْكَيْدِ وَٱلْمُسَاتَرَهْ حَرْبًا إِذَا لَمْ تُمْكِنِ ٱلْمُجَاهَرَهْ

كَمَا يُصَادُ ٱلْفِيلُ فِي ٱلْمَتَالِفِ ٱلنَّافِرُ ٱلطَّبْعِ بِفِيلٍ آلِفِ

قَالَ لَهُ لَا يَقْطَعُ ٱلْكَرِيمُ إِخْوَانَهُ وَهُوَ لَهُمْ حَمِيمُ

وَلَا يُضَيِّعُ ٱلْوُدَّ وَٱلْحِفَاظَا وَإِنْ تَلَظَّى غَضَبًا وَٱغْتَاظَا

فَٱلْكَلْبُ قَدْ يُرَى مِنَ ٱلْأَصْحَابِ ذَا نَهْمَةٍ يَفْتِكُ بِٱلْكِلَابِ

وَلَا يَرِيمُ عَنْهُ وَهُوَ خَائِفُ لَمَّا غَدَا وَهُوَ لَهُ مُؤَالِفُ

قَالَ لَهُ قُبَّرَةُ ٱلْأَحْقَادُ مَخُوفَةٌ لَيْسَ لَهَا نَفَادُ

لَا سِيَّمَا حِقْدُ ٱلْمُلُوكِ ٱلصِّيدِ لِفَتْكَةٍ جَاءَتْ مِنَ ٱلْعَبِيدِ

لِأَنَّ مِنْ دِينِهِمِ ٱلْإِسَاءَهْ وَٱلِٱنْتِقَامُ مِنْ ذَوِي ٱلْبَرَاءَهْ

فَكَيْفَ مِمَّنْ لَيْسَ بِٱلْبَرِيِّ وَلَيْسَ بِٱلْمُنْتَصِرِ ٱلْقَوِيِّ

إِنَّ ٱلْمُلُوكَ يَحْسبونَ فَخْرَا ... نَيلَ ٱلْحُقُودِ وَٱلتِّرَاتِ جَهْرَا

لَا تَخْدَعَنَّ بِسُكُونِ ٱلْحِقْدِ ... فَإِنَّهُ كَٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقْدِ

يَطْلُبُ أَدْنَى سَبَبٍ مِنَ ٱلسَّبَبْ ... لِيَلْتَظِي كَطَلَبِ ٱلنَّارِ ٱلْحَطَبْ

فَإِنْ رَأَى أَصْغَرَ مَا يُسْلِي ٱلتَّهَبْ ... وَلَيْسَ فِي ٱلتِّهَابِهِ إِلَّا ٱلْعَطَبْ

لَا مَالَ يُصْفِيهِ وَلَا كَلَامُ ... وَلَا خُضُوعُ ٱلْقَوْلِ وَٱلْإِكْرَامُ

وَرُبَّمَا عَادَ إِلَيْهِ وَاتِرُهْ ... وَهْوَ بِلُطْفِ كَيْدِهِ مُسَاتِرُهْ

لَعَلَّهُ يَنْفَعُهُ وَيَدْفَعُ ... عَنْهُ عَظِيماً فَادِحاً وَيَقْطَعُ

وَلَيْسَ عِنْدِي قَدْ عَلِمْتَ نَفْعُ ... وَلَيْسَ فِي كَفِّيَ عَنْكَ دَفْعُ

ضَعُفْتُ عَنْ تَغْيِيرِ مَا فِي صَدْرِكَا ... فَلَسْتُ بِٱلْآمِنِ سُوءَ مَكْرِكَا

« وَإِنْ تَكُنْ فِي مَا تَقُولُ صَادِقَا ... وَمُخْلِصاً فِي ٱلْوِدِّ لَا مُمَاذِقَا »

« فَلَنْ أَزَالَ خَائِفاً مَرْعُوبَا ... بَيْنَكُمُ أَرَى ٱلصَّفَا كُرُوبَا »

« فَلَيْسَ لِي غَيْرُ ٱلرَّحِيلِ رَايَا ... أَنْجُو بِهِ مِنْ سَائِرِ ٱلْبَلَايَا »

قَالَ لَهُ كُلُّ ٱلْأُمُورِ بِقَدَرْ ... مَا ٱلنَّفْعُ وَٱلضُّرُّ بِأَفْعَالِ ٱلْبَشَرْ

أَللّٰهُ جَلَّ مُوجِدُ ٱلْعِبَادِ ... لَا غَيْرُ ذُو ٱلْإِعْدَامِ وَٱلْإِيجَادِ

فَأَنْتَ وَٱبْنِي نَازِحَانِ عَمَّا ... جَرَى فَلَا تَمُتْ عَلَيْهِ غَمَّا

فَإِنْ أَسَاءَ وَلَدِي فِي مَا فَعَلْ ... فَإِنَّهُ لَا مَوْتَ إِلَّا بِأَجَلْ

قَالَ لَهُ لَا تَتْرُكِ ٱلْحِذَارَا   سَفَاهَةً لِتَلْزَمَ ٱلْأَقْدَارَا
بَلِ ٱجْمَعِ ٱلْأَمْرَيْنِ جَمْعَ عَالِمِ   مُصَدِّقٍ بِكُلِّ ذَاكَ حَازِمِ
«هَلِ ٱلْمَرِيضُ مُخْطِئٌ إِذَا طَلَبْ   مُدَاوِيًا يُرِيحُهُ مِنَ ٱلْوَصَبْ»
«وَهَلْ يُلَامُ ٱلْمُبْتَلَى إِذَا نَظَرْ   فِيمَا يُزِيلُ عَنْهُ أَسْبَابَ ٱلْكَدَرْ»
وَإِنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّ قَلْبَكَا   يُضْمِرُ لِي بُغْضًا لِضُعْفِ لُبِّكَا
وَإِنَّ مَا تُبْدِي مِنَ ٱلتَّمَلُّقِ   خِلَافُ مَا تُخْفِي مِنَ ٱلتَّحَرُّقِ
تُرِيدُ أَنْ تَخْدَعَنِي عَنْ نَفْسِي   عَسَاكَ أَنْ تَقْتُلَنِي بِأُنْسِ
وَٱلنَّفْسُ حَقًّا تَكْرَهُ ٱلْمَنَايَا   فَتِلْكَ رَأْسُ ٱلشَّرِّ وَٱلْبَلَايَا
قِيلَ ٱلْبَلَاءُ ٱلصِّرْفُ حُزْنٌ وَسَقَمْ   وَفُرْقَةٌ وَفَاقَــةٌ ثُمَّ هَرَمْ
وَٱلْمَوْتُ حَقًّا رَأْسُ هٰذِي كُلِّهَا   فَكَيْفَ تَسْخُو مُهْجَتِي بِقَتْلِهَا
وَلَيْسَ يَدْرِي قَدْرَ وَجْدِ ٱلْوَاجِدِ   إِلَّا ٱلَّذِي ضَاهَاهُ فِي ٱلشَّدَائِدِ
وَإِنَّنِي أَعْلَمُ مَا تُجِنُّ   لِأَنَّنِي أُضْعَافَهُ أُكِنُّ
قَالَ لَهُ لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَمْ يَكُنْ   مُهَوِّنًا فَهَوِّنِ ٱلْخَطْبَ يَهُنْ
قَالَ إِذَا مَا أَسْرَعَ ٱلْحَافِي ٱلْوَجِي   وَرِجْلُهُ مَقْرُوحَةٌ لَمْ تَدْمَجِ
بَلْ زَادَهَا قَرْحًا كَذَاكَ ٱلرَّمِدُ   لِلرِّيحِ وَٱسْتِقْبَالِهَا يَعْتَمِدُ
يَضُرُّ عَيْنَيْهِ كَذَاكَ مَنْ دَنَا   مِنْ خَصْمِهِ ٱلْمَوْتُورِ هَاجَ ٱلْحَزَنَا

مَنْ لَمْ يُقَدِّرْ مَوْتَهُ وَقُوَّتَهْ ... لاَقَى ٱلْبَلاَءَ مُفْسِدًا مُرُوَّتَهْ

وَإِنَّ مَنْ غُرَّ بِقَوْلٍ فَقَبِلْ ... فِي حَتْفِهِ مِثْلَ أَعَادِيهِ عَمِلْ

لَيْسَ عَلَى ٱلْمَرْءِ ٱهْتِمَامٌ بِٱلْقَدَرْ ... وَلاَ لَهُ فِيهِ وَإِنْ جَدَّ نَظَرْ

لَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَازِمَا ... وَٱلْأَخْذُ بِٱلْأَحْوَطِ يَكْفِي ٱللاَّئِمَا

وَٱلْعَاقِلُ ٱلْفَاضِلُ لاَ يُخِيفُ ... وَلاَ عَلَى مُعَامِلٍ يَحِيفُ

فَقَدْ كَفَى أَصْحَابَهُ ٱلْمَخَاوِفَا ... كَذَاكَ أَيْضًا لاَ يُقِيمُ خَائِفَا

لَكِنْ يَفِرُّ إِنْ رَأَى سَبِيلاَ ... وَلاَ يُقِيمُ خَائِفًا ذَلِيلاَ

وَلِي كَمَا تَعْرِفُ فِي ٱلْأَرْضِ سُبُلْ ... وَلَيْسَ يُعْيِينِي مِنَ ٱلنَّبْتِ ٱلْأُكُلْ

خَمْسُ خِلاَلٍ مَنْ تَحَلاَّهُنَّهْ ... كُنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جُنَّهْ

كَفُّ ٱلْأَذَى ٱلْبَادِي وَحُسْنُ ٱلْأَدَبِ ... وَٱلْخُلُقُ ٱلْعَالِي وَتَرْكُ ٱلرِّيَبِ

وَٱلنُّبْلُ فِي ٱلْأَقْوَالِ وَٱلْأَفْعَالِ ... أَنْفَعُ مِنْ رِجَالِهِ وَٱلْمَالِ

هُنَّ يُقَرِّبْنَ ٱلْبَعِيدَ ٱلنَّازِحَا ... وَهُنَّ يُؤْنِسْنَ ٱلْفَرِيدَ ٱلطَّائِحَا

خَوْفُ ٱلْفَتَى مِنَ ٱلرَّدَى يُنْسِيهِ ... أَوْلاَدَهُ وَعَنْهُمُ يُلْهِيهِ

إِذْ كَانَ يَرْجُو خَلَفًا مِمَّا تَرَكْ ... وَلَيْسَ يَرْجُو عِوَضًا إِذَا هَلَكْ

وَإِنَّ شَرَّ ٱلْمَالِ مَا لاَ يُنْفَقُ ... وَٱلْعِرْسُ ٱلْأَزْوَاجِ مَنْ لاَ يَصْدُقُ

وَشَرُّ أَوْلاَدِ ٱلرِّجَالِ ٱلْعَاقُّ ... وَشَرُّ إِخْوَانِ ٱلْفَتَى ٱلْمَذَّاقُ

شَرُّ ٱلْمُلُوكِ مَنْ يَخَافُهُ ٱلْوَرَى   شَرُّ ٱلْبِلَادِ حَيْثُ لَا أَمْنَ يُرَى
وَلَسْتُ بِٱلْآمِنِ فِي جِوَارِكَا   قَطُّ وَلَا أَسْكُنُ فِي جِدَارِكَا
وَطَارَ مِنْ مَكَانِهِ وَغَابَا   مِنْ بَعْدِ مَا قَالَ لَهُ ٱلصَّوَابَا

بَاب

ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ

وَهُوَ

بَابُ ٱلْمُلُوكِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَوِي قَرَابَتِهِمْ

وَفِي مُرَاجَعَةِ مَنْ يُرَاجِعُونَ

قَالَ لَهُ إِضْرِبْ لَنَا أَمْثَالَا   نَعْرِفُ مِنْ جُمْلَتِهَا ٱلْأَحْوَالَا
فِي مَلِكٍ يَسْطُو عَلَى أَحْبَابِهِ   وَأَهْلِهِ بِٱلنُّكْرِ مِنْ عَذَابِهِ (١)
« ظُلْمًا بِلَا جَرِيرَةٍ وَإِثْمِ   حَقَّقَهُ عَلَيْهِمِ وَجُرْمِ »
« حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَ ٱلْأَمْرُ وَلَمْ   يَقُمْ لَدَيْهِ شَاهِدٌ فِي ذِي ٱلتُّهَمْ »

---

(١) كان بعد هذا البيت :

او صافح لهم عن الجرائم   وحلمه عن المسيء الظالم

« وَرَاجَعَهُمْ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِمِ … مُسْتَغْفِرًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِمِ »

« قَالَ لَهُ فَرْضٌ عَلَى ٱلْهُمَامِ … أَنْ يَنْظُرَ ٱلْكُلَّ بِٱلِٱهْتِمَامِ »

إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَجْزِ ذَا ٱلْإِسَاءَهْ … بِجُرْمِهِ وَيَعْرِفِ ٱلْبَرَاءَهْ

أَضَرَّ بِٱلْأُمُورِ وَٱلْأَعْمَالِ … وَحَالَتِ ٱلْأَحْوَالُ بِٱلْإِهْمَالِ

حَقٌّ عَلَيْهِ أَنْ يُدِيمَ ٱلنَّظَرَا … مُقَلِّبًا أَصْحَابَهُ مُفَكِّرَا

يَعْرِفُ أَحْوَالَهُمُ مُنْتَقِدَا … مِنَ ٱلرِّجَالِ مُصْلِحًا وَمُفْسِدَا

حَتَّى يَكُونَ فِعْلُهُ وَبِرُّهُ … جَمِيعَهُمْ وَخَيْرُهُ وَشَرُّهُ

بِحَسَبِ ٱلْغَنَاءِ وَٱلْكِفَايَهْ … لَا بِٱلْهَوَى ٱلْمُعْمِي وَلَا ٱلْعِنَايَهْ

فَمَنْ رَآهُ كَافِيًا شَفِيقَا … كَانَ بِحُسْنِ بِرِّهِ خَلِيقَا

فَٱلْمُلْكُ بِٱلْأَعْوَانِ وَٱلْوَزِيرِ … وَٱلْعَوْنُ لَا يَنْصَحُ بِٱلتَّدْبِيرِ

إِلَّا بِوُدٍّ خَالِصٍ وَجِدِّ … وَٱلنُّصْحُ لَا يُغْنِي بِغَيْرِ رُشْدِ

إِصَالَةُ ٱلرَّأْيِ وَدِينٌ وَصَلَفْ … أَصْلٌ وَحِفْظُ ٱلْعَبْدِ دِينُ ذِي ٱلشَّرَفْ

وَهْوَ كَبِيرٌ وَٱلْأُمُورُ أَكْبَرُ … وَٱلْمُسْتَشِيرُ بِٱلصَّوَابِ أَجْدَرُ

لَكِنَّ مَنْ يَجْمَعُ ذَا قَلِيلُ … وَإِنَّمَا مَقْصُودُنَا ٱلتَّمْثِيلُ

لَا يَسْتَقِيمُ ٱلْأَمْرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ … يَعْرِفَ مِنْهُمْ خَائِنًا وَمُؤْتَمَنْ

وَنَاصِحًا وَكَافِيًا وَعَاجِزَا … وَيَعْرِفَ ٱلْمُحْجِمَ وَٱلْمُبَارِزَا

ثُمَّ يَنُوطُ كُلَّ أَمْرٍ وَعَمَلْ ... بِمَنْ رَآهُ كَافِيًا غَيْرَ وَكِلْ
يَنْدُبُهُ لِرِتْقِ ذَاكَ ٱلْفَتْقِ ... بِخِبْرَةٍ وَدُرْبَةٍ وَحِذْقِ
لِكُلِّ شُغْلٍ رَجُلٌ يَكْفِيهِ ... لَيْسَ يَقُومُ مَنْ سِوَاهُ فِيهِ
فَلْيَبْلُ كُلَّ رَجُلٍ بِعَمَلِهْ ... وَلْيُلْزِمْ كُلَّ عَمَلٍ بِرَجُلِهْ
أَلْحَرْبُ لَا يُحْصَدُ فِيهَا ٱلْكَاتِبُ ... وَلَا ٱلْخَرَاجَ يَجْمَعُ ٱلْمُحَارِبُ
وَإِنَّمَا تَنْتَقِضُ ٱلْأُمُورُ ... وَتَفْسُدُ ٱلْأَعْمَالُ وَٱلثُّغُورُ
بِنَظَرِ ٱلصَّغِيرِ فِي ٱلْكَبِيرِ ... وَعَمَلِ ٱلْكَبِيرِ فِي ٱلصَّغِيرِ [1]
ثُمَّ إِذَا وَلَّى أُمُورًا تَفَقَّدَا ... أُمُورَهُ جَمِيعَهَا مُنْتَقِدَا
يُرَغِّبُ ٱلْمُحْسِنَ بِٱلْإِحْسَانِ ... وَيَزْجُرُ ٱلْعَادِي عَنِ ٱلْعُدْوَانِ
وَلَا يُقِرُّ عَاجِزًا ضَعِيفَا ... وَلَا ظَلُومًا جَائِرًا عَسُوفَا
فَإِنَّ ذَاكَ يُطْمِعُ ٱلْعُمَّالَا ... وَيُفْسِدُ ٱلرِّجَالَ وَٱلْأَعْمَالَا
مَثَلُ ذٰلِكَ ٱبْنُ آوَى وَٱلْأَسَدْ ... فِي خَبَرٍ عَنْهُ صَحِيحٍ قَدْ وَرَدْ
كَانَ ٱبْنُ آوَى فِي مَكَانٍ خَالِ ... مُشْتَغِلًا بِٱلزُّهْدِ ذَا ٱعْتِزَالِ

---

(١) كان بعد هذا البيت :

وإن يولي من تولى للهوى ... وغرض ورعي حق يقتضى
وإن تولى ساقط خسيس ... او غادر بعهده يخيس

عفا تقيا بين إخوان له | عادته الصلوة والتاله
وحوله الذئاب والثعالب | وهو لهم في ظلمهم معاتب
لأنه لم يأكل اللحوما | ولم يكن مثلهم غشوما
فاجتمعوا طرا على خصامه | وبلغوا الغاية في ملامه
قالوا له زهدك ليس ينفعك | طبعك أولى بك لا تطبعك
وإنما أنت كنحن طبعا | وبيننا طول الزمان تسعى
قال ابن آوى إن كوني معكم | للجنس لا يوجب أن أتبعكم
ولست في جواركم بآثم | إذ لست ممن يكسب المآثم
وليست الآثام بالأماكن | وصحبة الرجال والمواطن
لكنها من قبل القلوب | والعمل الصالح والذنوب
لو كانت الأعمال بالمواضع | لحمد الفسوق في الصوامع
وكان قتل زاهد في مسجد | من جملة الطاعات والتعبد
وإنما صحبتكم بجسمي | ليس بقلبي وبصدق عزمي
لأنني أعرف عقبى العمل | ولست للآثام بالمحتمل
فشاع عنه النسك والتاله | وقيل ليس في الوحوش مثله
حتى انتهى حديثه إلى أسد | كان عظيم الوحش في ذاك البلد

فَخَصَّهُ بِٱلْبِرِّ وَٱلْمَحَبَّهْ   وَصَارَ فِي تَقْرِيبِهِ ذَا رَغْبَهْ

ثُمَّ دَعَاهُ رَاغِبًا فِي صُحْبَتِهْ   مُغَالِيًا لِلدِّينِ فِي مَحَبَّتِهْ

وَٱلنَّاسُ فِي ٱلزَّاهِدِ يَرْغَبُونَا   طَبْعًا وَفِي ٱلرَّاغِبِ يَزْهَدُونَا

مَنْ جَآءَهُمْ بِوِدِّهِ رَدُّوهُ   وَمَنْ أَرَادَ وَصْلَهُمْ كَدُّوهُ

وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ أَرَادُوا قُرْبَهُ   وَٱلْحُرُّ لَا يُبْغِضُ مَنْ أَحَبَّهُ

قَالَ لَهُ وِلَايَتِي كَبِيرَهْ   وَإِنَّ أَعْمَالِي بِهَا كَثِيرَهْ

وَلَسْتُ أَسْتَغْنِي عَنِ ٱلْأَعْوَانِ   وَأَصْلَحُ ٱلْأَعْوَانِ لِلسُّلْطَانِ

مَنْ كَانَ ذَا بِرٍّ وَصِدْقٍ وَوَرَعْ   وَلَمْ يَكُنْ ذَا رِيبَةٍ وَلَا طَمَعْ

وَأَنْتَ حُرٌّ صَالِحٌ أَمِينْ   مِثْلِي بِأَمْثَالِكَ يَسْتَعِينْ

إِنِّي مُوَلِّيكَ جَسِيمَ عَمَلِي   وَرَافِعٌ قَدْرَكَ بَيْنَ خَوَلِي

قَالَ لَهُ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ أَجْدَرُ   بِٱلِٱخْتِيَارِ وَهْوَ فِيهِمْ أَكْثَرُ

لَكِنَّهُمْ لَا يُكْرِهُونَ أَحَدَا   لِأَنَّهُ لَا يَقْتَدِي مُجْتَهِدَا

وَلَيْسَ لِي بِعَمَلِ ٱلسُّلْطَانِ   حِذْقٌ وَلَا بِأَمْرِهِ يَدَانِ

وَأَنْتَ حَقًّا مَلِكُ ٱلسِّبَاعِ   مِثْلُكَ لَا يُصْحَبُ بِٱلْخِدَاعِ

وَهُمْ كَثِيرُونَ فَوَلِّ بَعْضَهُمْ   تَحْمَدْ إِذَا إِبْرَامَهُمْ وَنَقْضَهُمْ

وَفِيهِمِ حِرْصٌ عَلَى ٱلْوِلَايَهْ   وَرِزْقُهُمْ فِيهَا بِلَا نِهَايَهْ

قَالَ لَهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَعْمَلَا   قَالَ لَهُ فَاسْمَعْ أُفِدْكَ مَثَلَا

لَا يَقْبَلُ ٱلْأَعْمَالَ إِلَّا ٱثْنَانِ   أَوْ رَجُلٌ مُصَانِعُ ٱلْإِخْوَانِ

يَأْخُذُ مَا شَآءَ بِلَا مُمَانَعَهْ   وَيُصْلِحُ ٱلْأُمُورَ بِٱلْمُصَانَعَهْ

أَوْ فَمَهِينٌ خَامِلٌ لَا يُحْسَدُ   فَيَسْتَقِلُّ سَالِمًا لَا يُقْصَدُ

وَمَا أَنَا بِأَحَدِ ٱلْإِثْنَيْنِ   وَلَا أَقُولُ فِيهِ قَوْلَ مَيْنِ

أَمَّا ٱلَّذِي يَصْحَبُ بِٱلْعَفَافِ   سُلْطَانَهُ وَٱلصِّدْقِ وَٱلْكَفَافِ

وَلَيْسَ فِي ٱلْأَحْوَالِ بِٱلْمُصَانِعِ   فَقَلَّمَا يَسْلَمُ مِنْ مُنَازِعِ

لِأَنَّهُ مُجْتَمِعٌ عَلَيْهِ   حَتَّى يَسُلَّ ٱلْأَمْرَ مِنْ يَدَيْهِ

صَدِيقُهُ ٱلْمُنَافِسُ ٱلْمُزَاحِمُ   ثُمَّ عَدُوُّ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُقَاوِمُ

يُبْغِضُهُ لِنُصْحِهِ سُلْطَانَهْ   وَشَدِّهِ بِرَأْيِهِ أَرْكَانَهْ

حِينَئِذٍ يَهْلِكُ بَيْنَ ذَيْنِ   وَوَاحِدٌ يَعْجِزُ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ

قَالَ لَهُ لَا تَخْشَ مِنْ أَصْحَابِي   فَإِنَّنِي أَكْفِيكَ لَا أُحَابِي

وَمُحْسِنٌ إِلَيْكَ غَيْرَ وَانِ   فَبَالِغٌ نِهَايَةَ ٱلْإِحْسَانِ

قَالَ لَهُ ٱلْإِحْسَانُ أَنْ تَتْرُكَنِي   أَعِيشُ فِي ٱلْبَرِّ وَأَنْ تُؤْمِنَنِي

مِنْ حَاسِدٍ وَفِكْرَةٍ وَهَمِّ   فَإِنَّنِي ٱلْآنَ قَلِيلُ ٱلْغَمِّ

رَاضٍ بِرِزْقِي قَانِعٌ بِقُوتِي   مُنْفَرِدٌ بِعَيْشِي ٱلْمَمْقُوتِ

فَصَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ أَنتَ تَدْرِي ... يَنَالُهُ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلضَّرَرْ

فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَمْ يَنَلْ ... سِوَاهُ فِي حَيَاتِهِ وَلَا وَصَلْ

إِنَّ قَلِيلَ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلسَّلَامَهْ ... خَيْرٌ مِنَ ٱلْكَثِيرِ وَٱلنَّدَامَهْ

قَالَ لَهُ لَا بُدَّ قَالَ فَٱكْتُبِ ... عَهْدًا يَكُونُ عُدَّتِي فِي ٱلنُّوَبِ

مِنْ حَاسِدٍ يَقْصِدُ بِٱلرَّفِيعَهْ ... وَكَاشِحٍ يُسْرِفُ فِي ٱلْوَقِيعَهْ

يَقْصِدُنِي ثَلَاثَةٌ فَوَاحِدُ ... مِثْلِي فَهُوَ حَاسِدٌ مُعَانِدُ

وَوَاحِدٌ فَوْقِي يَظُنُّ أَنِّي ... أَكِيدُهُ وَٱلْحَزْمُ سُوءُ ٱلظَّنِّ

وَوَاحِدٌ دُونِي يُرِيدُ مَوْضِعِي ... فَهُوَ مَتَى يَسْمَعْ عَلَيَّ يُسْمِعِ

فَإِنْ سَعَى بِي وَاحِدٌ لَمْ تَعْجَلِ ... عَلَيَّ مِنْ قَبْلِ ظُهُورِ زَلَلِي

فَإِنْ وَثِقْتُ عِنْدَكُمْ بِعَهْدِ ... بَذَلْتُ حَقًّا فِي رِضَاكُمْ جُهْدِي

قَالَ لَهُ وَلَّيْتُكَ ٱلْخَزَائِنَا ... فَكُنْ وَلَا تَخْشَ أَمِينًا آمِنَا

ثُمَّ ٱرْتَضَاهُ بَعْدُ لِلْمَشُورَهْ ... مُعَارِضًا مُفَوِّضًا أُمُورَهْ

وَزَادَهُ كَرَامَةً وَحُبًّا ... وَٱزْدَادَ إِعْجَابًا بِهِ وَعُجْبَا

فَكَادَهُ ٱلْقَوْمُ جَمِيعًا حَسَدَا ... وَحَدَعُوا عَنِ ٱلصَّوَابِ ٱلْأَسَدَا

بِحِيلَةٍ لَطِيفَةٍ عَجِيبَهْ ... صَحَّتْ بِهَا عَلَى ٱبْنِ آوَى ٱلرِّيبَهْ

وَكَانَ ذَاكَ ٱلْأَمْرُ أَنَّ ٱلْأَسَدَا ... أَعْجَبَهُ لَحْمٌ وَقَدْ تَصَيَّدَا

قَالَ ارْفَعُوهُ وَاعْمَلُوهُ لِي غَدَا فَسَرَقُوهُ حِينَ كَادُوا نَكَدَا
وَأَمَرُوا ذَا. حِيلَةٍ أَنْ يَجْعَلَهْ فِي مَوْضِعٍ كَانَ ابْنُ آوَى أَقْفَلَهْ
فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ وَطَلَبَ الْغِذَاءَ مِنْهُ الْأَسَدُ
إِفْتَقَدَ اللَّحْمَ وَقَالَ مَا فَعَلْ وَلَجَّ فِي ذَاكَ وَجَدَّ وَسَأَلْ
وَحَضَرُوا فِي غَيْبَةِ ابْنِ آوَى فَقَالَ مَنْ عَانَدَهُ وَنَاوَا
لِرَهْطِهِ سِرًّا لِيَسْمَعَ الْمَلِكْ قُولُوا فَمَنْ يَسْتُرْ خَؤُونًا يَنْهَتِكْ
فَقَالَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لَا بُدَّ أَنْ نُخْبِرَ بِالْحَقِّ فَمَنْ خَانَ وَهَنْ
سَمِعْتُ أَنَّ اللَّحْمَ قَدْ أَخْفَاهُ بَيْتُ ابْنِ آوَى لِلَّذِي خَبَاهُ
قَالَ لَهُ آخَرُ هَذَا يُمْكِنُ فَفَتِّشُوا فَهُوَ خَبِيثٌ مُدْهِنُ
لَمْ تَكُنِ الْأَسْرَارُ وَالْخَلَائِقُ يَكْشِفُهَا إِلَّا اللَّبِيبُ الْحَاذِقُ
قَالَ لَهُ آخَرُ إِنْ وَجَدْتُمْ فِي بَيْتِهِ ذَاكَ فَقَدْ صَدَقْتُمْ
وَكُلُّ مَا يُقَالُ فِيهِ صِدْقُ وَكُلُّ مَا يُؤْثَرُ عَنْهُ حَقُّ
قَالَ لَهُ آخَرُ مَنْ تَصَنَّعَا بِالزُّهْدِ لَا دِيَانَةً وَوَرَعَا
فَإِنَّهُ مُخَاتِلٌ مُخَادِعُ وَسِرُّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ذَائِعُ
قَالَ لَهُ آخَرُ مَنْ كَادَ الْمَلِكْ لَمْ يَخْفَ عَنْ لُطْفِ نُهَاهُ مَا أَفِكْ
قَالَ لَهُ آخَرُ قَدْ سَمِعْتُ عَنْهُ خِيَانَاتٍ كَمَا صَدَقْتُ

أَلآنَ قَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّ ذلِكَا … لَمْ يَكُ فِيهِ مَنْ حَكَاهُ آفِكَا
قَالَ لَهُ آخَرُ كُنْتُ أَعْرِفُ … أَنَّ الخَبِيْثَ زُهْدُهُ تَكَلُّفُ
وَأَنَّهُ يُكْشَفُ عَنْ خِيَانَهْ … كَثِيرَةٍ تُجَانِبُ الأَمَانَهْ
قَالَ لَهُ آخَرُ مَا تَخَشَّعَا … إِلاَّ لِكَي يَغُرَّنَا وَيَخْدَعَا
فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ مَا خَانَا … فَقَطْ وَلَكِنْ كَفَرَ الإِحْسَانَا
قَالَ لَهُمْ آخَرُ أَنْتُمْ سَادَهْ … لَيْسَ عَلَى فَضْلِكُمْ زِيَادَهْ
لَكِنْ إِذَا فُتِّشَ بَانَ أَمْرُهُ … وَذَاعَ بَيْنَ العَالَمِينَ سِرُّهُ
قَالَ لَهُمْ آخَرُ إِنْ أَرَدْتُمُ … تَفْتِيشَهُ فَعَجِّلُوا وَصَمِّمُوا
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَهُ الحَدِيثُ … فَيَحْذَرَ المُنَافِقُ الخَبِيثُ
إِنَّ لَهُ عَلَيْكُمُ عُيُونَا … وَأَنْتُمُ عَنْ ذَاكَ غَافِلُونَا
قَالَ لَهُمْ آخَرُ سَوْفَ يَعْتَذِرْ … بِحِيلَةٍ لَطِيفَةٍ فَيُغْتَفَرْ
فَأَوْغَرُوا بِقَوْلِهِمْ صَدْرَ المَلِكْ … وَقَدْ يُغَرُّ بِالمُحَالِ المُحْتَنِكْ
فَأَمَرَ الحَاجِبَ بِاسْتِدْعَائِهِ … مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَحْكَمَ سُوءُ رَأْيِهِ
وَقَالَ أَيْنَ اللَّحْمُ قَالَ إِنِّي … سَلَّمْتُهُ أَمْسِ لِحُسْنِ ظَنِّي
إِلَى الطَّاهِي فَقَالَ ذَاكَا … لاَ وَالَّذِي قَدْ رَفَعَ السَّمَاكَا
وَكَانَ مِمَّنْ وَافَقَ الجَمَاعَهْ … وَطَابَقَ الطَّائِفَةَ الخَدَّاعَهْ

فَقَالَ مُرُّوا فَتِّشُوا حُجْرَتَهُ … جَمِيعُكُمْ لِتَعْرِفُوا قِصَّتَهُ
فَأَخَذُوا اللَّحْمَ وَجَاؤُوهُ بِهِ … فَقَالَ ذِئْبٌ كَانَ فِي مَوْكِبِهِ
مَا قَالَ شَيْئًا قَبْلَ ذَاكَ فِيهِ … إِنِّي لَسْتُ قَابِلَ التَّمْوِيهِ
قَدْ صَحَّ مِنْهُ الْغَدْرُ وَالْخِيَانَهْ … وَقِلَّةُ الْإِشْفَاقِ وَالدِّيَانَهْ
فَإِنْ عَفَوْتَ عَنْ عَظِيمِ ذَنْبِهِ … أَفْسَدْتَ عُمَّالَكَ لَا شَكَّ بِهِ
وَطَمِعُوا فِيكَ وَصَارُوا خَوَنَهْ … فَلَمْ تَجِدْ ذَا شِيمَةٍ مُؤْتَمَنَهْ
فَعِنْدَهَا أُخْرِجَ مِنْ مَجْلِسِهِ … وَلَمْ يَقُودُوهُ إِلَى مَحْبَسِهِ
وَجَاءَهُ مِنْهُ رَسُولٌ وَرَجَعْ … عَنْهُ بِقَوْلٍ كَاذِبٍ لَهُ صَنَعْ
وَكَانَ مِنْهُمْ ذَلِكَ الرَّسُولُ … فَخَانَهُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ
حَتَّى إِذَا مَا أَفْحَشَ الْقَوْلَ غَضِبْ … وَكَادَ لَوْلَا بُعْدُهُ عَنْهُ يَثِبْ
لَكِنَّهُ قَالَ اقْتُلُوهُ وَاعْجَلُوا … لَا تُمْهِلُوا فَمِثْلُهُ لَا يُمْهَلُ
فَأَخْرَجُوهُ عَاجِلًا لِيُقْتَلَا … فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمِ الْخَاتُونُ لَا
وَدَخَلَتْ مِنْ فَوْرِهَا عَلَى ابْنِهَا … وَعَاتَبَتْهُ بِصَفَاءِ ذِهْنِهَا
قَالَتْ لَهُ عَجِلْتَ وَالْعَجُولُ … يَنْدَمُ فِيمَا قَضَتِ الْعُقُولُ
«قَدْ شَبَّهُوا ذَاكَ الَّذِي لَمْ يَنْظُرِ … فِي أَمْرِهِ بِنَظَرِ الْمُفَكِّرِ»
بِمَنْ رَأَى مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ شَعَرْ … لِمَرَضٍ بَادٍ بِهِ وَمَا شَعَرْ

وَجَاهِلٍ إِذَا رَأَى ٱلْيَرَاعَهْ — وَضَوْءَهَا جِنْحَ ٱلظَّلَامِ رَاعَهْ

وَظَنَّهَا نَارًا فَإِنْ يَلْمِسْهَا — أَيْقَنَ بِٱلْحَقِّ وَلَمْ يَقْبِسْهَا

«وَسَامِعٍ صَوْتَ ٱلْبَعُوضِ لَيْلَا — يَحْسَبُهُ شَيْئًا يَجُرُّ وَيْلَا»

وَٱلرُّشْدُ فِي ٱلْأَنَاةِ وَٱلتَّرَفُّقِ — كَذَاكَ فَضْلُ ٱلْحَازِمِ ٱلْمُوَفَّقِ

كُلُّ ٱمْرِئٍ يُوصَى بِأَنْ لَا يَعْجَلَا — لَاسِيَّمَا ٱلسُّلْطَانُ فَهْوَ ٱلْمُبْتَلَى

بِرَعْيِهِ ٱلْخَلْقَ وَحِفْظِ ٱلْأُمَّهْ — وَسَائِرِ ٱلنَّاسِ تُطِيعُ حُكْمَهْ

وَأَمْرُهُ ٱلنَّافِذُ فِيهِمْ مَاضِ — وَهْوَ عَلَى كُلِّ ٱلرَّعَايَا قَاضِ

فَإِنْ قَضَى مِنْ غَيْرِ مَا تَثَبُّتِ — آذَنَ أَمْرُ ٱلْمُلْكِ بِٱلتَّشَتُّتِ

وَقَتَلَ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ حَقِّ — فَلَيْسَ لِلسُّلْطَانِ مِثْلُ ٱلرِّفْقِ

فَحَارِسُ ٱلزَّوْجَةِ يَوْمًا بَعْلُهَا — لَوْلَا تَرَقِّيهِ لَزَلَّتْ نَعْلُهَا

وَحَارِسُ ٱلصَّبِيِّ وَالِدَاهُ — لَوْلَا هُمَا لَمْ يَنْتَظِرْ هُدَاهُ

وَحَارِسُ ٱلنَّاسِكِ حُسْنُ ٱلنُّسْكِ — وَحَارِسُ ٱلْأُمَّةِ ظِلُّ ٱلْمَلْكِ

وَحَارِسُ ٱلْمُلْكِ ٱلْأَنَاةُ وَٱلْكَرَمْ — وَٱلْعَقْلُ وَٱلدِّينُ وَلَوْلَاهُ ٱنْهَدَمْ

وَإِنَّ رَأْسَ ٱلْحَزْمِ وَٱلصَّوَابِ — مَعْرِفَةُ ٱلْأَعْوَانِ وَٱلْأَصْحَابِ

وَأَنْ يَكُونَا بَعْدَهَا مُحَقَّقَا — لِيَعْرِفَ ٱلْعَدُوَّ مِمَّنْ صَدَقَا

فَيَجْعَلُ ٱلنَّاسَ عَلَى أَقْدَارِهِمْ — وَيَعْرِفُ ٱلْمَدْفُونَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ

يَعْرِفُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَادِي … بَعْضًا وَيَسْعَى فِيهِ بِالْفَسَادِ

وَأَنَّهُ يَرْمِيهِ إِذْ يَحْسِدُهُ … بِبَاطِلٍ مِنْ زُخْرُفٍ يُوْرِدُهُ

مُجْتَهِدًا يَحْرِصُ فِي هَلَاكِهِ … بِحِيلَةٍ تَخْفَى عَلَى اسْتِدْرَاكِهِ

وَأَنَّهُ مُقَبِّحٌ احْسَانَهُ … وَمُفْسِدٌ بِجُهْدِهِ مَكَانَهُ

وَلَمْ تَزَلْ عَلَى ابْنِ آوَى مُقْبِلَا … وَإِنَّمَا وَلَّيْتَهُ بَعْدَ الْبَلَا

تَزِيدُكَ الْأَيَّامُ فِيهِ رَغْبَةً … وَكُلَّ وَقْتٍ تَسْتَزِيدُ قُرْبَهُ

تَقْتُلُهُ فِي طَابَقٍ مِنْ لَحْمٍ … بِغَيْرِ عِلْمٍ وَبِغَيْرِ فَهْمٍ

فَرُبَّمَا تَعَاوَنُوا عَلَيْهِ … وَصَمَّمُوا كَيْدَهُمْ إِلَيْهِ

قَدْ كَانَ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَأَمَّلَا … أَمْرَ ابْنِ آوَى قَبْلَ أَنْ تَسْتَعْجِلَا

لَعَلَّهُمْ لِشَرِّهِمْ قَدْ وَضَعُوا … فِي بَيْتِهِ اللَّحْمَ لِكَيْمَا يَخْدَعُوا

لِأَنَّهُ لَا يَأْكُلُ اللُّحُومَا … ثُمَّ يَرَى آكِلَهَا مَذْمُومَا

فَكَيْفَ لِلَّحْمِ الْقَلِيلِ يَسْرِقُ … مَا هُوَ إِلَّا كَذِبٌ مُخْتَلَقُ

لَمْ تَزَلِ الْأَرَاذِلُ الْأَشْرَارُ … قَصْدُهُمُ الْأَفَاضِلُ الْأَخْيَارُ

أَمَا تَرَى الْحِدَاةَ حِينَ تَخْطَفُ … لَحْمًا تَرَى الطَّيْرَ عَلَيْهَا يَعْكُفُ

وَالْكَلْبُ يَحْتَاشُ بِهِ الْكِلَابُ … إِنْ وَجَدَ الْعَظْمَ وَذَاكَ عَابُ

إِنْ هُمْ لِلُؤْمِ طَبْعِهِمْ لَمْ يَنْظُرُوا … لِلْمُلْكِ فَانْظُرْ أَنْتَ يَا مُدَبِّرُ

فَأَعْظَمُ ٱلْأُمُورِ عِنْدِي ضَرَّا عَلَى ٱلْمُلُوكِ وَٱلْأَنَامِ طُرَّا
خِيَانَةُ ٱلْأَصْحَابِ وَٱلْإِخْوَانِ وَحِيلَةُ ٱلْجُنُودِ وَٱلْأَعْوَانِ
وَلَمْ يَزَلْ هٰذَا ٱبْنُ آوَى نَاصِحَا يُدَبِّرُ ٱلْأُمُورَ وَٱلْمَصَالِحَا
يَحْمِلُ عَنْكَ ٱلْعِبْءَ حِينَ يَفْدَحُ وَيَدْفَعُ ٱلْمُلِمَّ حِينَ يَسْنَحُ
«وَبَيْنَمَا أُمُّ ٱلْهِزَبْرِ تَبْدَعُ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْقَوْلِ وَهُوَ يَسْمَعُ»
إِذْ جَاءَهُ فِي ٱلْحَالِ مِنْهُمْ وَاحِدُ فَشَرَحَ ٱلْقِصَّةَ وَهْوَ سَاجِدُ
قَالَتْ لَهُ قَدْ خَانَكَ ٱلْقَوْمُ وَقَدْ أَبْدَوْا مِنَ ٱلْجُرْأَةِ أَمْرًا لَا يُحَدّ
فَلَا تَدَعْ تَأْدِيبَهُمْ فَيَجْتَرِي عَلَيْكَ كُلُّ أَحَدٍ وَيَفْتَرِي
وَلَا تَقُلْ أَحْقِرُهُمْ فَأَعْفُو عَنْهُمْ وَفِيهِمْ ذِلَّةٌ وَضَعْفُ
إِنَّ ٱلْحَشِيشَ رَسَنٌ إِذَا فُتِلْ لَا شَكَّ وَٱلذَّوْدُ إِلَى ٱلذَّوْدِ إِبِلْ
وَهٰكَذَا ٱلْجُيُوشُ وَٱلْأَجْنَادُ جَمَاعَةٌ وَأَصْلُهَا آحَادُ
أَرْجِعْهُ فِي ٱلْحَالِ إِلَى مَنْزِلَتِهْ وَلَا تَقُلْ يَئِسْتُ مِنْ مَحَبَّتِهْ
لِأَنَّهُ مِمَّا جَرَى مُسْتَوْحِشُ مُنْقَبِضٌ بِوُدِّهِ مُنْكَمِشُ
فَلَيْسَ كُلُّ ٱلْخَلْقِ بِٱلْإِسَاءَهْ تَجْزِي وَلَا يُفَكِّرُ فِي ٱلْمَسَاءَهْ
لَيْسَ ٱبْنُ آوَى عَائِدًا عَدُوَّا تَخَافُ أَنْ يَمْنَعَكَ ٱلْهُدُوَّا
فَطَبْعُهُ طَبْعُ كَرِيمٍ فَاضِلِ وَرَأْيُهُ رَأْيُ حَلِيمٍ عَاقِلِ

وَالنَّاسُ فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ اِثْنَانِ ... فَوَاحِدٌ مِنْ صَالِحِي الْإِخْوَانِ

لَيْسَ يَجُوزُ تَرْكُهُ وَرَفْضُهُ ... وَلَا يَسُوغُ طَرْدُهُ وَبُغْضُهُ

وَوَاحِدٌ تَجْهَدُ فِي قَطِيعَتِهْ ... لِقُبْحِ مَا يُظْهِرُ مِنْ صَنِيعَتِهْ

فَبَاعِدِ الْأَشْرَارَ وَاقْطَعْ حَبْلَهُمْ ... وَقَارِبِ الْأَخْيَارَ وَاطْلُبْ وَصْلَهُمْ

فَأَمَرَ الضِّرْغَامُ بِاسْتِحْضَارِهِ ... مُبَالِغًا إِلَيْهِ فِي اعْتِذَارِهِ

وَقَالَ كُنْ كَمَا مَضَى فِي عَمَلِكْ ... مُبَلَّغًا مِنْ ذَاكَ أَقْصَى أَمَلِكْ

قَالَ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَثِقَا ... بِمَنْ نَكَبْتَ وَاسْتَشَاطَ حَنَقَا

جَمَاعَةٌ لَا تَعْتَمِدْ عَلَيْهِمِ ... وَلَا تَكُنْ مُسْتَرْسِلًا إِلَيْهِمِ

مَنْ نَالَهُ مِنْكَ عَذَابٌ ظُلْمَا ... أَوْ مَنْ سَلَبْتَ مَالَهُ فَاغْتَمَّا

أَوْ رَجُلٌ أُقْصِيَ بَعْدَ قُرْبِ ... أَوْ رَجُلٌ لَمْ تُنْجِهِ مِنْ كَرْبِ

أَوْ رَجُلٌ أُخِّرَ فِي الثَّوَابِ ... عَنْ جُمْلَةِ الْأَقْرَانِ وَالْأَضْرَابِ

أَوْ رَجُلٌ أَجْرَمَ مَعْ جَمَاعَهْ ... فَقُبِلَتْ فِي كُلِّهِمْ شَفَاعَهْ

وَعُوقِبَ الْمِسْكِينُ دُونَ الْقَوْمِ ... وَالشَّرِهُ الْحَرِيصُ عِنْدَ الرَّوْمِ

فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ لَا يُعْتَمَدْ ... قَطُّ وَلَا يُوثَقُ مِنْهُمْ بِأَحَدْ

وَإِنَّنِي لَسْتُ لَهُمْ بِآمِنِ ... أَنْ يَقْذِفُونِي بِكَلَامٍ بَاطِنِ

حِينَئِذٍ تُصَدِّقُ السَّاعِينَا ... وَلَا يُرِيدُ قَاذِفِي مُعِينَا

إِذْ قَدْ وُسِمْتُ عِنْدَهُ بِالتُّهَمَهْ ... وَقَدْ نُصِبْتُ غَرَضاً لِلنِّقْمَهْ
فَصِرْتُ لِلْأَعْدَاءِ وَالْقَوْلِ غَرَضْ ... وَلَيْسَ لِي مِنْ هٰذِهِ ٱلنَّفْسِ عِوَضْ
وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ لِي كَمَا مَضَى ... مِنْ عَهْدِهِ وَلَمْ يَعُدْ مُنْتَقِضَا
لَمَا رَجَعْتُ بَعْدَ خَوْفِي آمِنَا ... وَلَمْ أَعُدْ إِلَى مَكَانِي سَاكِنَا
فَإِنَّنِي عَرَفْتُ مِنْهُ ٱلْعَجَلَهْ ... وَأَنَّهُ يَسْمَعُ قَوْلَ ٱلسَّفَلَهْ
فَكُلُّنَا مُتَّهَمٌ لِصَاحِبِهْ ... وَخَائِفٌ يَحْذَرُ مِنْ عَوَاقِبِهْ
قَالَ لَهُ قَلْبِي نَقِيٌّ صَافِ ... وَأَنْتَ أَيْضاً فَكَرِيمٌ وَافِ
تَنْسَى ٱلَّذِي كَانَ إِلَيْكَ مِنِّي ... لِحُسْنِ آثَارِي فَتَرْضَى عَنِّي
وَقَدْ رَجَعْنَا لِلْوِدَادِ وَٱلْمِقَهْ ... فَعُدْ لَنَا أَنْتَ وَكُنْ عَلَى ثِقَهْ
فَعَادَ مِنْ بَعْدُ إِلَى مَكَانِهِ ... وَنَالَ مَا رَجَاهُ مِنْ إِحْسَانِهِ
وَعَاقَبَ ٱلْقَوْمَ ٱلْعِقَابَ ٱلْمُؤْلِمَا ... كَذَاكَ يَجْزِي ذُو ٱلنُّهَى مَنْ أَجْرَمَا



بَابُ

ٱلسَّائِحِ وَٱلصَّائِغِ

وَهُوَ بَابُ

ٱصْطِنَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ

قَالَ فَأَخْبِرْنِي إِلَى مَنْ يَنْبَغِي ... أَنْ يُصْنَعَ ٱلْخَيْرُ فَقُلْ وَأَبْلِغِ

«ثُمَّتَ خَبِّرْنِيَ عَمَّنْ لَمْ يَضَعْ ... ٱلْعُرْفَ فِي مَوْضِعِهِ لَمَّا صَنَعْ»

«ثُمَّ غَدَا يَرْجُو عَلَيْهِ ٱلشُّكْرَا ... فَهَلْ يَنَالُ مِدْحَةً أَوْ أَجْرَا»

قَالَ لَهُ فِعْلُ ٱلْجَمِيلِ وَاجِبُ ... عَلَى جَمِيعِ ٱلنَّاسِ فَرْضٌ لَازِبُ

«إِنْ يَضِعِ ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَ قَابِلِهْ ... فَلَا يُضِيعُ ٱللهُ أَجْرَ فَاعِلِهْ»

«لَكِنَّهُ يُقَالُ لَيْسَ أَخْسَرُ ... مِنْ صَانِعٍ خَيْرًا لِمَنْ لَا يَشْكُرُ»

«وَلَيْسَ أَنْمَى مِنْ بِذَارِ ٱلْبِرِّ ... فِي قَلْبِ مَنْ يَقْبَلُهُ بِٱلشُّكْرِ»

لَا يَنْظُرِ ٱلْمَرْءُ إِلَى ٱلْأَقَارِبِ ... وَلَا إِلَى ٱلْأَتْرَابِ وَٱلْمُنَاسِبِ

وَلْيَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ إِلَى ٱلضَّعِيفِ ... ٱلْعَاجِزِ ٱلْمُضْطَهَدِ ٱللَّهِيفِ

وَٱلرَّأْيُ أَنْ يُجَرِّبَ ٱلصِّغَارَا ... قَبْلَ ٱصْطِنَاعِ ٱلْعُرْفِ وَٱلْكِبَارَا

فِي شُكْرِهِمْ وَحِفْظِهِمْ وَرَعْيِهِمْ ... لِيُودِعُوا ٱلْخَيْرَ بِقَدْرِ سَعْيِهِمْ

إِنَّ ٱلطَّبِيبَ لَا يُدَاوِي ٱلْمَرْضَى بِرُؤْيَةِ ٱلْعَيْنِ فَلَيْسَتْ تُرْضَى
لَكِنَّهُ يَتْبَعُ ٱلدَّلَائِلَا وَيَغْتَدِي عَنْ أَمْرِهِ مُسَائِلَا
حَقٌّ عَلَى ٱلْعَاقِلِ أَنْ يَجْتَهِدَا فِي كَشْفِ أَخْلَاقِ ٱلْوَرَى مُنْتَقِدَا
فَمَنْ رَآهُ وَافِيًا شَكُورَا كَانَ بِأَنْ يُكْرِمَهُ جَدِيرَا
لَعَلَّهُ إِلَيْهِ يَوْمًا يُحْوِجُ أَوْ أَنْ يُلَاقِي كُرْبَةً فَيُفْرِجُ
وَلَا يَقُولُ إِنَّهُ مَهِينُ أَوْ خَامِلٌ فِي ٱلنَّاسِ لَا يَبِينُ
فَقَدْ تُعِينُ ٱلرَّجُلَ ٱلْبَهِيمَهْ وَهْيَ عَلَى عُجْمَتِهَا كَرِيمَهْ
وَٱلْمَرْءُ قَدْ يَحْذَرُ كُلَّ ٱلنَّاسِ وَيَغْتَدِي بِٱلْوَحْشِ ذَا ٱسْتِئْنَاسِ
فَيَضَعُ ٱلْبَازِيَ فَوْقَ يَدِهِ وَيُدْخِلُ ٱلْكَلْبَ إِلَى مَرْقَدِهِ (١)
وَلَا يَجُوزُ لِٱمْرِئٍ أَنْ يَحْتَقِرْ فِي ٱلنَّاسِ إِنْسَانًا وَلَكِنْ يَخْتَبِرْ
حِينَئِذٍ يُوْلِيهِمِ بِقَدْرِ مَا يَرَاهُ فِيهِمِ لَا يَخَافُ نَدَمَا (٢)
«وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ خَلْقٌ أَفْضَلُ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَذَا لَا يُشْكِلُ»
«وَرُبَّمَا لَا يَأْمَنُ ٱللَّبِيبُ لِأَحَدِ ٱلنَّاسِ وَيَسْتَرِيبُ»
«وَيَأْمَنُ ٱلْوُحُوشَ وَٱلْبَهَائِمَا وَلَمْ يَكُنْ فِيمَا أَتَاهُ آثِمَا»

---

(١) كان الاصل : فوق كفه ويدخل ابن عرس جوف كمّه

(٢) كان الاصل : خيفةً ان يندما

«فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ ٱلتَّقِيَّ ٱلصَّالِحَا ... وَفِيهِمِ تَرَى ٱلْكَنُودَ ٱلطَّالِحَا»
«حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي ٱلسِّبَاعِ ... مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِي ٱلطِّبَاعِ»
وَضَرَبُوا فِي ذَاكَ لِلنَّاسِ مَثَلْ ... يَأْخُذُ مِنْهُ ٱلرَّأْيَ كُلُّ مَنْ عَقَلْ
إِنَّ أُنَاساً حَفَرُوا فِي ٱلْقَاعِ ... عَلَى ٱعْتِمَادِ زُبْيَةَ ٱلسِّبَاعِ
فَجَاءَ صَوَّاغٌ غَرِيبٌ فَوَقَعْ ... فِيهَا وَقِرْدٌ وَٱلْغَوِيُّ مُتَّبَعْ
وَحَيَّةٌ أَيْضاً وَبَبْرٌ عَادِي ... فَجُمِعَتْ جَمَاعَةُ ٱلْأَضْدَادِ
فَسَكَنُوا جَمْعاً وَمَا تَحَرَّكُوا ... فَمَرَّ سَيَّاحٌ فَقَالَ أُدْرِكُ
ذَا ٱلرَّجُلَ ٱلْمِسْكِينَ بِٱلْخَلَاصِ ... مِنْ شَرِّهِمْ فَجَاءَ عَنْ إِخْلَاصِ
مُعْتَقِداً أَنَّ ٱلَّذِي يَفْعَلُهُ ... أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ تُقًى يَعْمَلُهُ
قُرْبَى إِلَى ٱللّٰهِ فَدَلَّى رَسَنَا ... فَصَعِدَ ٱلْقِرْدُ عَلَيْهِ مَا ٱنْثَنَى
وَصَعِدَ ٱلْحَيَّةُ وَٱلْبَبْرُ مَعَا ... فَشَكَرُوا وَعَرَفُوا مَا صَنَعَا
وَقَالَ كُلٌّ حَلَّ فِي ٱلْبِئْرِ رَجُلْ ... وَلَا تَدُرْ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَجُلْ
فَلَيْسَ فِي ٱلْأَرْضِ بِلَا عُدْوَانِ ... أَكْفَرُ لِلنُّعْمَى مِنَ ٱلْإِنْسَانِ
قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ مَكَانِي فَٱعْلَمِ ... نَوَادِرَخْتُ فِي خَرَابٍ مُظْلِمِ
وَٱلْبَبْرُ وَٱلْحَيَّةُ أَيْضاً قَالَا ... نَحْنُ هُنَاكَ نَسْكُنُ ٱلْجِبَالَا
وَرُبَّمَا ٱحْتَجْتَ إِلَيْنَا يَوْمَا ... فَنَادِنَا تُنَادِ مِنَّا قَوْمَا

«فضرب السائح صفحا عما ... سمعه ولم يزل مهتما»

وأخرج الصائغ أيضا فشكر ... وقال مثل قولهم كما ذكر

وإن أمرا بعد ذاك عرضا ... له إلى ذاك المكان فمضى

لما دنا منه أتاه القرد ... وقال إني خادم وعبد

قبل رجليه وظل داعيا ... وقال كن لقولتي مراعيا

ما لي من مال ولكن قف لي ... آت بشيء صالح للأكل

ولم يغب حتى أتى بفاكهه ... صالحة من الثمار النابهه

ثم تولى فرآه النمر ... فجاءه يبدو عليه الشكر

وقال قد أوليتني جميلا ... وحسنا أشكره جليلا

وخر ما بين يديه ساجدا ... وقام عنه داعيا وحامدا

ومر من ساعته حتى قتل ... بنت الأمير وأتاه بالحلل

والحلي وهو حسن كثير ... ومر عنه راجعا يسير

فقال قد جزتني البهائم ... عن منتي وإنها أعاجم

فكيف لو رآني الإنسان ... لجاء في الإكرام والإحسان

إن كان كالناس فقيرا معسرا ... سعى وباع ذا الحلى والجوهرا

ثم أتى من فوره إليه ... فأبصر الحلي في يديه

وَقَالَ كُنْ فِي مَنْزِلِي لِآتِيكْ ... بِطُعْمَةٍ تَقْضِي بِهَا أَمَانِيكْ
فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي مَنْزِلِي ... وَمَرَّ مِثْلَ ٱلْوَالِهِ ٱلْمُسْتَعْجِلِ
فَقَالَ لِلْحُجَّابِ قُولُوا لِلْمَلِكْ ... أُرِيدُ أَنْ أَخْلُوَ لِلْخِدْمَةِ بِكْ
وَقَالَ أَرْسِلْ ثِقَةً مِنْ وَقْتِكَا ... يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِي عَدُوَّ بِنْتِكَا
فَإِنَّنِي فِي ٱلْبَيْتِ قَدْ حَصَرْتُهُ ... وَٱلْأَمْرُ فَٱعْلَمْهُ كَمَا ذَكَرْتُهُ
فَعَرَفَ ٱلْحُلِيَّ وَٱلْجَوَاهِرَا ... وَقَالَ فِي ٱلْمِصْرِ أَطِيفُوا ٱلْفَاجِرَا
وَعَذِّبُوهُ آلَمَ ٱلْعَذَابِ ... ثُمَّ ٱصْلِبُوهُ بُكْرَةً فِي ٱلْبَابِ
فَضَرَبَ ٱلْمِسْكِينَ ضَرْبًا مُوجِعَا ... وَطَافَ فِي ٱلسُّوقِ يُنَادِي مُسْمِعَا
لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ أَطَعْتُ ٱلْبَبْرَا ... وَٱلْقِرْدَ مَا لَاقَيْتُ هٰذَا ٱلنُّكْرَا
فَسَمِعَتْ ذَاكَ ٱلْمَقَالَ ٱلْحَيَّهْ ... قَالَتْ يَعِزُّ مَا جَرَى عَلَيْهِ
وَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا مُبَادِرَهْ ... تَقُولُ مَا أَشْنَعَ هٰذِي ٱلْفَاقِرَهْ
وَفَكَّرَتْ فِي حِيلَةٍ تُنْجِيهِ ... مِنْ هَوْلِ مَا أَصْبَحَ وَهُوَ فِيهِ
فَلَدَغَتْ مِنْ وَقْتِهَا ٱبْنًا لِلْمَلِكْ ... طِفْلًا صَغِيرَ ٱلسِّنِّ غَيْرَ مُحْتَنِكْ
«وَذَهَبَتْ حَالًا إِلَى صَدِيقَهْ ... لَهَا مِنَ ٱلْجِنِّ ٱسْمُهَا شَفِيقَهْ»
«فَأَخْبَرَتْهَا عَنْ صَنِيعِ ٱلسَّائِحِ ... وَأَنَّهُ مُتَّهَمٌ بِطَالِحِ»
«فَوَعَدَتْهَا أَنَّهَا تُنْجِيهِ ... مِنْ كُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْذِيهْ»

«وَانْطَلَقَتْ تَقْصِدُ إِبْنَ الْمَلِكِ فَوَجَدَتْهُ حِلْفَ أَمْرٍ لَبِكِ»
« تَظَاهَرَتْ لَهُ وَقَالَتْ حَقًّا إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ لَكِنْ تَشْقَى»
« أَمَا إِذَا عَالَجَكَ الْمَظْلُومُ أَلسَّائِحُ الْبَرُّ فَقَدْ تَقُومُ»
«وَدَخَلَتْ إِلَى السِّجْنِ الْأَفْعَى مِنْ أَحَدِ الْجُدْرَانِ جَاءَتْ تَسْعَى»
«قَالَتْ لَهُ هَذَا الَّذِي زَجَرْتُكَا عَنْهُ فَلَمْ تُطِعْ وَقَدْ حَذَّرْتُكَا»
« لَا تَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ لِلْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَجَاحِدُ الْإِحْسَانِ »
« ثُمَّ أَتَتْهُ بِدَوَاءٍ نَاجِعٍ وَنَافِعٍ مِنْ سُمِّهَا لِلْجَارِعِ »
« قَالَتْ إِذَا دُعِيتَ كَيْ تُدَاوِيَا أَلطِّفْلَ خُذْ هَذَا الدَّوَاءَ الشَّافِيَا»
وَجَمَعُوا كُلَّ الْأَطِبَّاءِ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالَتِهِ مُوَلَّهُ
ثُمَّ أَفَاقَ نَاطِقًا فَقَالَا لَقَدْ لَقِيتُ لِلرَّدَى أَهْوَالَا
وَلَسْتُ بِالطَّامِعِ فِي الصَّلَاحِ إِلَّا بِلُطْفِ دَعْوَةِ السَّيَّاحِ
فَإِنَّهُ مَا بَيْنَكُمْ مَظْلُومُ وَغَيْرُهُ فِي ذَنْبِهِ الْمَلُومُ
فَجِيءَ بِالسَّيَّاحِ كَيْ يَرْقِيَهْ لَعَلَّهُ بِذَاكَ أَنْ يَشْفِيَهْ
فَقَالَ لَا وَاللهِ لَسْتُ رَاقِيَا لَكِنْ أَرَى بِحُسْنِ الدُّعَاءِ وَاقِيَا
« ثُمَّ سَقَاهُ وَدَعَا وَابْتَهَلَا لِيَبْرَأَ الطِّفْلُ الَّذِي قَدْ نَحَلَا»
« فَقَامَ مِنْ سَقَامِهِ مُعَافَى فَأَجْزَلَ الْمَلِكُ لَهُ الْأَلْطَافَا »

وَسَأَلُوهُ عَنْ خَفِيِّ خَبَرِهْ فَقَصَّ شَرْحَ حَالِهِ فِي سَفَرِهْ

فَصَحَّ حقًّا أَنَّـهُ بَرِيُّ إِذْ قَدْ دَعَا وَشُفِيَ ٱلصَّبِيُّ[1]

وَصُلِبَ ٱلصَّوَّاغُ بَعْدَ ٱلضَّرْبِ جَزَآءَ سُوءِ غَدْرِهِ وَٱلْكَذْبِ

وَإِنَّ فِي أَمْرِهِمِ لَمُعْتَبَرْ وَعِظَةً وَاضِحَةً لِمَنْ نَظَرْ

باب

ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ

وَهُوَ

بَابُ ٱلْقَضَآءِ وَٱلْقَدَرِ وَغَلَبَتِهِمَا عَلَى ٱلْأَشْيَآءِ

قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا مَا ٱلْعِلَّهْ قُلْ لِي فَقَدْ حَيَّرْتُ فِي ٱلْأَدِلَّهْ

لَمَّا رَأَيْتُ عَاقِلاً مَحْرُومَا وَجَاهِلاً مُكَرَّمًا مَخْدُومَا

«مَعْ أَنَّهُ يُقَالُ كُلُّ ٱلرِّزْقِ يُصِيبُ مَنْ يَطْلُبُهُ بِٱلْحِذْقِ»

---

(١) كان الاصل :

ثم دعا فشفي الصبيّ فصحّ حقا انه بريّ

«قَالَ لَهُ إِعْلَمْ كَمَا أَنَّ ٱلضَّرِيرْ ... بِقَلْبِهِ يُبْصِرُ بِٱلْجِسِّ يَسِيرْ» (١)

«كَذَا ٱللَّبِيبُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَا ... بِعِلْمِهِ وَقَلَّ أَنْ لَا يُدْرِكَا» (٢)

وَيَغْلِبُ ٱلْقَضَآءَ كُلَّ ذَلِكَا ... هَيْهَاتَ مَا ٱلْمَرْءُ لِشَيْءٍ مَالِكَا

فَيَرْفَعُ ٱلْمَرْءَ بِهِ أَوْ يَخْفِضُ ... وَيُبْرَمُ ٱلْأَمْرُ بِهِ أَوْ يُنْقَضُ (٣)

يُشْبِهُ مَا قُلْتُ لَكَ ٱبْنُ مَلِكِ ... لَمَّا رُوِيَ كَٱلْمُفَكِّرِ ٱلْمُرْتَبِكِ

ظَلَّ عَلَى بَابِ قَطُونَ جَالِسَا ... مُسْتَوْحِشًا مِنَ ٱلْوَرَى لَا آيِسَا

وَخَطَّ مِنْ بَعْدُ عَلَى ٱلْجِدَارِ ... خَطَّ ٱمْرِىءٍ بِٱلدَّهْرِ ذِي ٱعْتِبَارِ

أَلْعَقْلُ وَٱلْقُوَّةُ وَٱلْجَمَالُ ... بِٱلْقَدَرِ ٱلْمَحْتُومِ يَا رِجَالُ

فَقَالَ حَدِّثْنِي بِكُنْهِ حَالِهِ ... فَقَالَ إِذْ أَلْحَفَ فِي سُؤَالِهِ

سَمِعْتُ فِي ٱلْأَخْبَارِ أَنَّ أَرْبَعَهْ ... إِصْطَحَبُوا فِي سَفَرٍ لِلْمَنْفَعَهْ

إِبْنُ هُمَامٍ مَعَهُ ٱبْنُ تَاجِرِ ... وَٱبْنُ شَرِيفٍ مِلْءِ عَيْنِ ٱلنَّاظِرِ

---

(١) كان الاصل :

كما ان البصر ... بالعين والسمع و بالاذن الخبر

(٢) كان الاصل :

فهكذا العلم بحسن العقل ... والحلم والرأي بحسن الفعل

(٣) كان قبله :

لكنه يريد أدنى سبب ... وموجبٌ يوجب كل موجب

مَعَ ٱبْنِ ٱلْأَكَّارِ وَكَانُوا فِي نَصَبْ ... وَحَيْرَةٍ لِقُوتِهِمْ وَفِي تَعَبْ
قَالَ لَهُمْ إِبْنُ ٱلْهُمَامِ إِذْ نَظَرْ ... لَا تَحْرِصُوا فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرْ
قَالَ ٱلْفَتَى ٱلتَّاجِرُ إِنَّ ٱلْعَقْلَا ... مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي ٱلْوُجُودِ أَعْلَى
قَالَ ٱلشَّرِيفُ ٱلْحُسْنُ وَٱلْجَمَالُ ... وَذَاكَ لَوْ حَقَّقْتَهُ مُحَالُ
قَالَ لَهُ ٱلْأَكَّارُ قَوْلَ زُورِ ... ٱلِاجْتِهَادُ أَنْفَعُ ٱلْأُمُورِ
حَتَّى إِذَا مَا بَلَغُوا قَطُونَا ... وَهُمْ لِجُهْدِ ٱلسَّيْرِ جَائِعُونَا
قَالُوا لِلْأَكَّارِ ٱجْتَهِدْ فِي ٱلطَّلَبِ ... فَٱلِاجْتِهَادُ قُلْتَ أَقْوَى سَبَبِ
فَسَأَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا عَنْ عَمَلْ ... إِذَا ٱلْفَتَى ٱلْجَلْدُ لَهُ يَوْمًا فَعَلْ
عَادَ عَلَى أَرْبَعَةٍ بِقَدْرِ مَا ... يَكْفِيهِمْ مَشْرَبُهُمْ وَٱلْمَطْعَمَا
قَالَ لَهُ جَمِيعُهُمْ بَيْعُ ٱلْحَطَبْ ... فَمَرَّ فِي ٱلْحَالِ وَجَدَّ فِي ٱلطَّلَبْ
حَتَّى أَتَى وَقْتَ ٱلْعَشَا بِحُزَمِ ... ٱشْتُرِيَتْ مِنْهُ بِنِصْفِ دِرْهَمِ
فَٱبْتَاعَ مَا يَكْفِيهِمِ وَرَاحَا ... إِلَيْهِمِ فَوَجَدُوا إِصْلَاحَا
وَخَطَّ فِي جِدَارِ بَابِ ٱلْبَلَدِ ... يَمْدَحُ فِعْلَ ٱلْكَاسِبِ ٱلْمُجْتَهِدِ
وَكَانَ يَا قَوْمُ ٱجْتِهَادُ يَوْمِ ... يَعُودُ فِي ٱلْكَسْبِ بِقُوتِ قَوْمِ
حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَحُوا مِنَ ٱلْغَدِ ... قَالُوا ٱلشَّرِيفُ ذُو ٱلْجَمَالِ يَغْتَدِي
لَعَلَّهُ يَكْسِبُ مِنْ جَمَالِهِ ... فَإِنَّهُ ٱلْأَفْضَلُ فِي مَقَالِهِ

فَمَرَّ حَيْرَانَ إِلَى ٱلْمَدِينَهْ ، يَسْتَعْمِلُ ٱلْوَقَارَ وَٱلسَّكِينَهْ
يَقُولُ مَا أَصْنَعُ كَيْفَ حِيلَتِي وَمَا ٱلَّذِي أَجْعَلُهُ وَسِيلَتِي
فَنَامَ فِي ٱلْفِكْرَةِ تَحْتَ شَجَرَهْ «مَرَّ بِهِ مُصَوِّرٌ فَأَبْصَرَهْ»
«فَرَاقَــهُ جَمَالُهُ فَقَالاَ سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَ ذَا ٱلْجَمَالاَ»
«إِنِّي إِذَا صَوَّرْتُهُ وَبِعْتُ مِنَ ٱلْوَرَى صُورَتَهُ ٱنْتَفَعْتُ»
«ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ وَأَرْسَلاَ إِلَيْهِ مَنْ أَيْقَظَهُ وَفَعَلاَ»
«فَعَادَ عَنْهُ رَابِحًا عِنْدَ ٱلْمَسَا دَرَاهِمًا وَحُلَّةً قَدِ ٱكْتَسَى»[1]
وَخَطَّ مِنْ فَوْقِ ٱلْجِدَارِ وَكَتَبْ «لِلْمَرْءِ مِنْ فَرْطِ ٱلْجَمَالِ مُكْتَسَبْ»[2]
حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَحُوا مِنْ بَاكِرِ قَالُوا ٱغْدُ وَٱبْغِ ٱلرِّزْقَ يَا ٱبْنَ ٱلتَّاجِرِ
بِعَقْلِكَ ٱلْوَافِرِ إِنَّ ٱلْعُقَلاَ زَعَمْتَ مِنْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ أَعْلَى
فَمَرَّ يَسْعَى فَرَأَى سَفِينَهْ قَدْ وَقَفَتْ فِي جَانِبِ ٱلْمَدِينَهْ
فِيهَا مِنَ ٱلْمَتَاعِ وَٱلْبَضَائِعِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُشْتَرِي وَٱلْبَائِعِ
وَٱجْتَمَعَ ٱلتُّجَّارُ كَيْمَا يَشْتَرُوا وَسَاوَمُوا أَصْحَابَهَا فَأَكْثَرُوا

---

(١) كان الاصل :

فعاد عنهُ رابحًا وقد كمل خمس مئى تخلو الهموم والحلل

(٢) كان الاصل : إنَّ الفتى من الجمال يكتسب

فَانْصَرَفُوا عَنْهُمْ وَقَالُوا نَنْتَظِرْ   عَسَاهُ فِي عُيُونِهِمْ أَنْ يَنْكَسِرْ

فَجَاءَهُمْ بِلُطْفِهِ فَابْتَاعَهْ   لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ الْبِضَاعَهْ

وَبَلَّغَ الْقَوْمُ فَأَرْبَحُوهُ   مِئَةَ أَلْفٍ حِينَ صَالَحُوهُ

فَعَادَ بِالْمَالِ الْجَزِيلِ رَابِحَا   وَأَبْصَرَ الْخَطَّ مُبِينًا وَاضِحَا

فَكَتَبَ التَّاجِرُ تَحْتَ مَا كُتِبْ   بِعَقْلِ يَوْمٍ نِلْتُ أَوْقَارَ ذَهَبْ

ثُمَّ بَدَا الصُّبْحُ الْمُنِيرُ وَاشْتَهَرْ   فَابْتَدَرُوا الْأَمِيرَ قُمْ إِلَى الْقَدَرْ

فَقَامَ مِنْ سَاعَتِهِ مَدْهُوشَا   مُحَيَّرًا قَدْ كَادَ أَنْ يَطِيشَا

حَتَّى إِذَا جَاءَ إِلَى بَابِ الْبَلَدْ   أَبْصَرَ ظِلًّا وَخَلَاءً فَقَعَدْ

وَكَانَ قَدْ مَاتَ أَمِيرُ الْبَلَدِ   وَالنَّاسُ فِي هَمٍّ وَفِي تَلَدُّدِ

فَأَصْلَحُوا مِنْ يَوْمِهِ جِهَازَهْ   وَعَبَرُوا عَلَيْهِ بِالْجِنَازَهْ

فَلَمْ يَقُمْ كَأَنَّهُ لَمْ يَحْتَفِلْ   بِمَا رَأَى مِنَ الْبُكَاءِ الْمُتَّصِلْ

فَقَالَ بَعْضُ مَنْ رَآهُ لَا تَعُدْ   تَقْعُدُ فِي هٰذَا الْمَكَانِ إِنْ نَعُدْ

فَعَادَ لَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ   فَاجْتَازَ ذَاكَ ثَانِيًا عَلَيْهِ

وَقَالَ لِمْ خَالَفْتَنِي وَعُدْتَا   قُلْ لِي مَنْ أَنْتَ وَلِمْ قَعَدْتَا

وَقَالَ مِنْ سَاعَتِهِ اسْحَبُوهْ   فَإِنَّهُ مُخَالِفٌ مَعْتُوهْ

فَسُجِنَ الْمِسْكِينُ فِي الْمَطْمُورَهْ   وَصَارَ فِي ضُرٍّ قَبِيحِ الصُّورَهْ

حَتَّى إِذَا مَا اجْتَمَعُوا لِيَنْصِبُوا فِي الْمُلْكِ مِنْهُمْ وَاحِدًا يُنْتَخَبُ
وَلَمْ يَكُنْ لِلْمَلِكِ الْمَاضِي وَلَدْ وَلَا أَخٌ وَلَا نَسِيبٌ يُعْتَمَدْ
وَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ فِي مَنْ يَقْعُدُ مِنْهُمْ وَكُلٌّ وَاحِدٍ يَجْتَهِدُ
قَالَ الَّذِي كَانَ لِذَاكَ قَدْ حَبَسْ إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا مِثْلَ الْقَبَسْ
حَبَسْتُهُ لِأَنَّنِي أَنْكَرْتُهُ وَحَقَّ لِي يَا قَوْمُ أَنْ حَذَرْتُهُ
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَيْنَا لِبَعْضِ مَنْ يَكِيدُنَا عَلَيْنَا
فَأَحْضَرُوهُ عِنْدَ ذَاكَ فَحَضَرْ وَسَأَلُوا مِنْ أَمْرِهِ عَنِ الْخَبَرْ
فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ وَابْنُ مَلِكْ اضْطُهِرْ كَانَ وَالِدِي وَقَدْ هَلَكْ
وَابْتَزَّنِي مَلَابِسَ الْمُلْكِ أَخِي فَعُدْتُ فِي الْبُؤْسِ عَنِ الْعَيْشِ الرَّخِي
فَعَرَفُوهُ وَالشَّهِيرُ يُعْرَفُ وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ مَا تَوَقَّفُوا
وَقَلَّدُوهُ الْمُلْكَ بِاتِّفَاقِ وَأَلْبَسُوهُ التَّاجَ بِاسْتِحْقَاقِ
وَرَكِبَ الْفِيلَ وَطَافَ فِي الْبَلَدْ ثُمَّ رَأَى مَا كَتَبُوهُ فَعَمَدْ
لِكَتْبِ مَا قُلْنَا بِخَطٍّ تَحْتَهُ وَنَصَبُوا يَوْمَ السَّلَامِ تَخْتَهُ
وَجَمَعَ الْقُوَّادَ وَالرِّجَالَا وَقَامَ فِيهِمْ خَاطِبًا فَقَالَا
لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مَا كَسَبْتُمْ بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ حِينَ يُخْتَمُ
أَوْ كَانَتِ الْأَقْدَارُ مِنْ أَسْبَابِهِ فَهْوَ مُعِينُ الْمَرْءِ فِي طِلَابِهِ

لَكِنَّنِي مَا نِلْتُ إِلَّا بِالْقَدَرْ — لَا بِالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ وَالنَّظَرْ

فَإِنَّ فِي ذِي الْأَرْضِ كُلَّ فَاضِلِ — وَحَسَنٍ مِنَ الرِّجَالِ كَامِلِ

قَدْ كُنْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ النَّزْرِ — مُسْتَصْغِرًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْرِي

لَكِنْ قَضَاءُ اللهِ لَا سِوَاهُ — مَهَّدَ لِي الْمُلْكَ وَحَسْبِي اللهُ

وَكَانَ فِيهِمْ سَائِحٌ فَقَامَا — وَقَالَ قَدْ أَسْمَعْتَنَا كَلَامَا

فِيهِ سَدَادٌ وَرَشَادٌ وَحِكَمْ — كَأَنَّهُ الدُّرُّ إِذَا الدُّرُّ انْتَظَمْ

وَدَلَّنَا ذَاكَ عَلَى رَشَادِكَا — وَأَوْضَحَ الْحَقَّ مِنِ اعْتِقَادِكَا

وَحَسُنَتْ فِيكَ ظُنُونُ النَّاسِ — وَأَنْتَ خَيْرُ النَّاسِ فِي الْقِيَاسِ

فَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي مَلَّكَكَا — أُمُورَنَا أَجْمَعَ إِذْ فَضَّلَكَا

وَقَامَ أَيْضًا سَائِحٌ فَقَالَا — مِنْ بَعْدِ حَمْدِ رَبِّنَا تَعَالَى

قَدْ كُنْتُ فِي شَبِيبَتِي عَسِيفَا — آجَرْتُ نَفْسِي رَجُلًا شَرِيفَا

وَكَانَ أَعْطَانِي دِينَارَيْنِ — فَلَبِثَا فِي الْكِيسِ مَصْرُورَيْنِ

حَتَّى إِذَا تُبْتُ وَصِرْتُ سَائِحَا — أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ فِعْلًا صَالِحَا

فَقُلْتُ دِينَارٌ لِأَجْلِ النَّفَقَهْ — وَأَجْعَلُ الثَّانِي بِرَسْمِ الصَّدَقَهْ

ثُمَّ رَأَيْتُ صَائِدًا يَبِيعْ — زَوْجَيْ حَمَامٍ حُسْنُهُ بَدِيعْ

فَقُلْتُ تَخْلِيصِيَ هَذَا أَفْضَلُ — مِنْ كُلِّ فِعْلٍ وَجَمِيلٍ أَجْمَلُ

وَقُلْتُ لِلصَّيَّادِ أَسْتَرْخِصُهُ قَالَ بِدِينَارَيْنِ لَا أَنْقُصُهُ
فَٱبْتَعْتُ مِنْهُ ذَلِكَ ٱلْحَمَامَا وَلَمْ أَذُقْ فِي لَيْلَتِي طَعَامَا
وَقُلْتُ إِنْ أَطْلَقْتُهُ فِي ٱلْبَلَدِ حَارَ وَرَامَتْ صَيْدَهُ كُلُّ يَدِ
فَجِئْتُ مِنْ فَوْرِي بِهِ صَحْرَاءَ وَمَوْضِعًا رَأَيْتُهُ خَلَاءَ
حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتُهُ دَعَا لِي وَقَالَ لِي مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ عَالِ
حَقُّكَ يَا هَذَا عَلَيْنَا قَدْ وَجَبْ وَفِي ٱلْمَكَانِ جَرَّةٌ مِنَ ٱلذَّهَبْ
فَٱحْفِرْ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ تَحْتَ ٱلشَّجَرَهْ تَجِدْ هُنَاكَ بِدَرًا مُبَدَّرَهْ
فَلَمْ أُصَدِّقْهُ وَلَكِنْ رُمْتُهَا فَبَعْدَ أَنْ حَفَرْتُهَا وَجَدْتُهَا
وَقُلْتُ قَدْ أُتِيتُمَا عِلْمًا حَسَنْ وَفِطْنَةً مُوْفِيَةً عَلَى ٱلْفِطَنْ
فَكَيْفَ فِي مَصِيدَةٍ وَقَعْتُمَا وَبِنَفِيسِ ٱلْعِلْمِ مَا ٱنْتَفَعْتُمَا
قَالَا أَلَمْ تَعْلَمْ وَأَنْتَ عَاقِلُ أَنَّ ٱلْقَضَاءَ لِلرِّجَالِ قَاتِلُ
تَعْمَى بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَٱلْبَصَائِرُ حَتَّى يَعُودَ ٱلْمَرْءُ وَهْوَ حَائِرُ
وَقَالَ بَعْدُ ٱلْفَيْلَسُوفُ يَنْدُبَا لِيَعْلَمِ ٱلشَّيْخُ وَإِخْوَانُ ٱلصِّبَا
أَنَّ ٱلْأُمُورَ كُلَّهَا مُقَدَّرَهْ وَبِٱلْقَضَاءِ كُلُّهَا مُيَسَّرَهْ
لَا يَقْدِرُ ٱلْمَرْءُ عَلَى ٱنْتِفَاعِ بِغَيْرِ مَقْدُورٍ وَلَا دِفَاعِ
وَإِنَّ مَنْ أَيْقَنَ بِٱلْقَضَاءِ لَمْ يَكُ بِٱلْحِيلَةِ ذَا عَنَاءِ

باب

اللَّبُؤَةِ وَالإِسْوَارِ وَالشَّعْهَرِ

وَهُوَ

بَابُ مَنْ يَدَعُ ضُرَّ غَيْرِهِ لِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الضُّرِّ

قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا أَبِنْ لِي ... فَأَنْتَ إِنْسَانٌ كَثِيرُ الفَضْلِ
مَنْ لَا يَضُرُّ غَيْرَهُ لِحَذَرِهِ ... مِنْ أَنْ يَضُرَّ نَفْسَهُ بِضُرِّهِ
فَيَقْتَدِي مُتَّعِظًا بِغَيْرِهِ ... وَإِنَّمَا ذَاكَ لِيُمْنِ طَيْرِهِ
قَالَ الحَكِيمُ لَا يَضُرُّ النَّاسَا ... وَيُوحِشُ النُّدْمَانَ وَالجُلَّاسَا
إِلَّا سَفِيهٌ طَبْعُهُ لَئِيمُ ... وَأَصْلُهُ وَخِيمُهُ وَخِيمُ
لَيْسَ لَهُ فِي أَمْرِ دَارَيْهِ نَظَرْ ... وَلَا مِنَ العُقْبَى الَّتِي يَخْشَى حَذَرْ
وَإِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الغِرَّهْ ... بِمَنْ نَجَا مِنْهُمْ مِنَ المَعَرَّهْ
لَوْ عَجَّلَ اللهُ العُقُوبَاتِ لِمَنْ ... يُجْرِمُ مَا أَجْرَمَ خَلْقٌ فِي الزَّمَنْ
وَرُبَّمَا يَتَّعِظُ الإِنْسَانُ ... بِغَيْرِهِ إِنْ نَابَهُ الزَّمَانُ
كَقِصَّةِ اللَّبْوَةِ وَالإِسْوَارِ ... وَالشَّعْهَرِ المَذْكُورِ فِي الأَخْبَارِ
فَقَالَ أَخْبِرْنِي بِذَاكَ أَعْلَمِ ... بِأَمْرِهَا فَالعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ

فَقَالَ كَانَتْ لَبُوَةٌ فِي أَجَمَهْ　لَهَا شُبَيْلَانِ بِجَنْبِ سَلَمَهْ
فَبَكَرَتْ تَطْلُبُ رِزْقًا لَهُمَا　فَحِينَ غَابَتْ فِي ٱلْغِيَاضِ عَنْهُمَا
إِجْتَازَ إِسْوَارٌ فَإِذْ رَآهُمَا　رَمَاهُمَا رَمْيًا بِهِ أَصْمَاهُمَا
وَكَشَطَ ٱلْجِلْدَيْنِ عَنْ لَحْمِهِمَا　وَتَرَكَ ٱلْبَاقِيَ مِنْ شِلْوِهِمَا
فَرَجَعَتْ وَأَبْصَرَتْ مَا هَالَهَا　فَصَرَخَتْ وَأَكْثَرَتْ بَلْبَالَهَا
وَكَانَ فِي ذَاكَ ٱلْمَكَانِ شَعْهَرُ　فَقَالَ مَا أَمْرُكِ قَالَتْ مُنْكَرُ
وَقَصَّتِ ٱلْقِصَّةَ وَهْيَ بَاكِيَهْ　قَالَ لَهَا ٱلشَّعْهَرُ كُونِي هَادِيَهْ
مَا فَعَلَ ٱلْإِسْوَارُ إِلَّا مِثْلَ مَا　فَعَلْتِ بِٱلْخَلْقِ فَذُوقِي ٱلْأَلَمَا
لَمْ تَرْحَمِي يَا هٰذِهِ لِتُرْحَمِي　كَمْ قَدْ فَجَعْتِ مِنْ فُؤَادٍ مُغْرَمِ
مَا ذُقْتِ إِلَّا مَا أَذَقْتِ مِثْلَهُ　إِنْ كُنْتِ وَلْهَى فَسِوَاكِ أَوْلَهُ
وَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قِصَاصِ　لَا تَطْمَعِي مِنْ ذَاكِ فِي ٱلْخَلَاصِ
وَٱلصَّبْرُ خَيْرٌ فَٱصْبِرِي مُحْتَسِبَهْ　وَلِلثَّوَابِ فَٱطْلُبِي مُكْتَسِبَهْ
لِكُلِّ غَرْسٍ ثَمَرٌ يُصَابُ　لِكُلِّ سَاعٍ فِي ٱلْوَرَى ٱكْتِسَابُ
وَثَمَرُ ٱلصَّنَائِعِ ٱلْمَكْسُوبَهْ　مَثُوبَةٌ تُحْمَدُ أَوْ عُقُوبَهْ
وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِقَدْرِ ٱلْعَمَلِ　وَقَدْ أَبَنْتُ فَٱسْمَعِي وَٱمْتَثِلِي
كَذَلِكَ ٱلرَّاعِ وَقْتَ ٱلْقِسْمَهْ　يَأْخُذُ كُلٌّ حَقَّهُ وَقِسْمَهْ

عَلَى حِسَابِ بَذْرِهِ وَعَمَلِهْ	قَالَتْ فَبِيِّنْ مَا عَنِي بِمِثْلِهْ
قَالَ لَهَا كَمْ عِشْتِ فِي ذِي ٱلْأَجَمَهْ	قَالَتْ عَمَرْتُ مِئَةً مُحَرَّمَهْ
قَالَ لَهَا مَا كَانَ فِيهَا أَكْلُكِ	قَالَتْ لُحُومُ ٱلْوَحْشِ فَهْيَ مُمْسِكِي
قَالَ أَمَا كَانَ لَهُنَّ وَالِدَهْ	شَفِيقَةٌ رَفِيقَةٌ مُسَاعِدَهْ
قَالَتْ بَلَى فَقَالَ لِمْ لَا يُسْمَعُ	صُرَاخُهَا وَمَا لَهَا لَا تَجْزَعُ
وَأَنْتِ قَدْ لَجَجْتِ فِي ٱلْبُكَاءِ	وَزِدْتِ فِي ٱلنَّوْحِ عَلَى ٱلْخَنْسَاءِ
إِنَّكِ مَا ٱبْتُلِيتِ بِٱلْمَصَائِبِ	إِلَّا لِتَرْكِ ٱلْفِكْرِ فِي ٱلْعَوَاقِبِ
فَتَابَتِ ٱللَّبْوَةُ عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمْ	وَٱلنُّصْحُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا ذَا ٱلْفَهْمْ
وَأَصْبَحَتْ تَأْكُلُ أَنْوَاعَ ٱلثَّمَرْ	فَضَجِرَ ٱلشَّعْهَرُ مِنْهَا وَذَكَرْ
قَوْلًا قَبِيحًا بِذَوِي ٱلْأَحْلَامِ	وَٱلْمَرْءُ قَدْ يَغْلَطُ فِي ٱلْكَلَامِ
قَالَ نَوَيْتُ إِذْ رَأَيْتُ ٱلثَّمَرَا	قَلِيلَةً أَنِّي أَذُمُّ ٱلشَّجَرَا
وَخِلْتُهَا مَا حَمَلَتْ كَمَا مَضَى	وَبِتُّ مِنْ ذَاكَ عَلَى جَمْرِ ٱلْغَضَا
ثُمَّ عَرَفْتُ ٱلْآنَ أَنَّ حَمْلَهَا	كَانَ كَمَا كَانَ ٱلسِّنِينَ قَبْلَهَا
فَأَنْتِ قَدْ أَفْنَيْتِهِ لَا غَيْرُكِ	وَلَيْسَ ذَا مِنْ عَمَلٍ لِتَنَسُّكِ
فَخَلَّتِ ٱلثِّمَارَ لِلْوُحُوشِ	وَعَدَلَتْ عَنْهَا إِلَى ٱلْحَشِيشِ
وَإِنَّنِي بَيَّنْتُ فِي هٰذَا ٱلْمَثَلْ	أَنَّ ٱلْجَهُولَ رُبَّمَا خَفِيَ ٱلْخَطَلْ

لِأَجلِ ضُرٍّ عَاجِلٍ يُصِيبُهُ ... وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ نَصِيبُهُ

فَالنَّاسُ أَوْلَى لَوْ أَفَاقُوا بِالْحَذَرْ ... وَالْخَوْفِ مِمَّا يَفْعَلُونَ وَالنَّظَرْ

قَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْبَرَرَهْ ... وَالْعُلَمَاءِ قَوْلَةً مُشْتَهِرَهْ

إِيَّاكَ أَنْ تُرِيدَ لِابْنِ جِنْسِكَا ... إِلَّا الَّذِي تُرِيدُهُ لِنَفْسِكَا

إِصْنَعْ إِلَى النَّاسِ كَمَا تَرُومُ ... أَنْ يَصْنَعُوا إِلَيْكَ يَا كَرِيمُ

فَإِنَّهُ عَدْلٌ وَفِي الْعَدْلِ رِضَى ... لَا بُدَّ لِلدُّيُونِ مِنْ أَنْ تُقْتَضَى

بَابُ

النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

وَهُوَ

بَابُ مَنْ يَدَعُ عَمَلَهُ الَّذِي يَعْنِيهِ وَيَطْلُبُ سِوَاهُ

فَقَالَ أَخْبِرْنِي عَمَّنْ يَتْرُكُ ... سَبِيلَهُ وَفِي سِوَاهَا يَسْلُكُ

وَإِذْ رَأَى بِأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ ... مَا قَدْ تَمَنَّى وَالتَّمَنِّي مُهْلِكُ

عَادَ إِلَى طِلَابِ مَا قَدْ تَرَكَا ... فَضَلَّ عَنْهُ وَبَقِي مُرْتَبِكَا

قَالَ لَهُ كَانَ بِأَرْضِ الْكَرْخِ ... مُجْتَهِدٌ فِي النُّسْكِ ذُو بَالٍ رَخِي

فضافهُ خِلٌّ لهُ فأتحفهْ بالتمرِ وهيَ تحفةٌ مستظرفهْ
فقالَ ما أطيبَ هذي الثمرهْ يا ليتَ في داري نخيلاً مثمرهْ
«لكنَّما مالي وللتمرِ الذي يعدُّ ما بينَ الثمارِ كالبذي»
وإنَّ في داري منَ الفواكهِ والتينَ ما ليسَ بنزرٍ تافهِ
وإنَّ فيهِ غنيةً عنِ الرطبْ وهوَ إلى خلقٍ منَ الناسِ أحبّْ
والتمرُ فيهِ وخمُ الطبائعِ وليسَ مثلَ التينِ ذا منافعِ
قالَ منِ احتاجَ إلى مفقودِ في دهرهِ فليسَ بالمسعودِ
لأنَّهُ يدخلهُ منَ الشرَهْ والحرصِ والهمِّ أمورٌ منكرَهْ
وأنتَ لا شكَّ سعيدُ الجدِّ موفَّقٌ مؤيَّدٌ بالرشدِ
قنعتَ بالقدرِ الذي رزقتَهُ عقلاً ولم تبغِ الذي منعتَهُ
فأحسنَ الضيفِ عليهِ ردَّهُ عنْ قولهِ فيهِ وأثنى جهدَهُ
«وكانَ ذا الناسكُ قد تعلَّما منَ اللغى أكثرَها وفهِما»
«ينطقُ إذْ ينطقُ بالتجويدِ لا سيَّما في لغةِ اليهودِ»
«سمعهُ الضيفُ بها تكلَّما يوماً فرامَ عندهُ التعلُّما»
وقالَ إنِّي قدْ سمعتُ منكا لفظاً فعلِّمنيهِ أروِ عنكا
قالَ لهُ الناسكُ إنِّي أحسبُ أنَّكَ منْ بعدُ لهُ تستصعبُ

وَتَقْتَدِي فِي ذَاكَ كَالْغُرَابِ وَفِعْلِهِ مَا لَيْسَ بِالصَّوَابِ
قَالَ وَمَا شَأْنُ الْغُرَابِ الْبَائِسِ ضَرَبْتَهُ لِي مَثَلَ الْمُقَايِسِ
قَالَ لَهُ إِنَّ غُرَابَ الْمَثَلِ أَرَادَ أَنْ يَمْشِيَ مَشْيَ الْحَجَلِ
فَلَمْ يُطِقْ وَعَادَ يَبْغِي مِشْيَتَهُ فَلَمْ يَنَلْ مِنْ ذَاكَ أَيْضًا بُغْيَتَهُ
فَعَادَ حَيْرَانَ شَدِيدَ الْحَسْرَهْ تَبْدُو عَلَيْهِ فَتْرَةٌ وَكَسْرَهْ
كَذَاكَ أَنْتَ إِنْ تَرَكْتَ لَفْظَكَا هَذَا وَلَمْ يَسَعْ لِذَاكَ حِفْظُكَا
أَعْيَاكَ هَذَا وَنَسِيتَ ذَاكَا فَلَمْ تَنَلْ فِي أَحَدٍ مُنَاكَا
قَدْ قِيلَ مَنْ يَطْلُبُ مَا لَا يُشْبِهُهْ لَمْ يَخْلُ فِيهِ مِنْ كَلَامٍ يَجْبَهُهْ
وَهُوَ بِلَا شَكٍّ غَبِيٌّ جَاهِلُ وَالْجِلْدُ مَنْ يَطْلُبُ مَا يُشَاكِلُ
إِنِّي أَرَى الْمُلُوكَ حِينَ تَتْرُكُ أَمْثَالَ ذَا مِنَ الْمَلُومِ تَهْلِكُ
لَوْ نَصَحَ الْحَاكِمُ لِلرَّعِيَّهْ أَوْ أَنَّهُ بَالَغَ فِي الْوَصِيَّهْ
مَا طَلَبَ الْأَدْنَى مَكَانَ الْأَعْلَى جَهْلًا وَلَا خَالَفَ فَرْعٌ أَصْلَا
فَإِنَّ فِي هَذَا انْتِشَارَ الْأَمْرِ وَسُبَّةً عَلَى وُلَاةِ الْعَصْرِ



خَاتِمَةُ الْكِتَابِ

لَمَّا انْتَهَى إِلَى حَدِيثِ النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ لَمْ يَسْأَلْهُ كَالْمُتَارِكِ

قَالَ لَهُ يَا ذَا ٱلسَّجَايَا ٱلْحَسَنَةْ   عِشْتَ كَمَا تُؤْثِرُهُ أَلْفَ سَنَةْ

فِي ظِلِّ مُلْكٍ وَمَلَكْتَ ٱلْأَرْضَا   وَنِلْتَ مِنْ أَمْلَاكِهَا مَا تَرْضَى

أُعْطِيتَ يَا خَيْرَ ٱلْمُلُوكِ نَسَبَا   مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بُلْغَةً وَسَبَبَا

فِي فَرَحٍ وَغِبْطَةٍ وَنِعْمَةْ   وَقُرَّةِ ٱلْعَيْنِ وَبُعْدِ ٱلْهِمَّةْ

سَاعَدَكَ ٱلْقَضَاءُ فِيمَا تَطْلُبُ   فَقَدْ جَمَعْتَ ٱلْكُلَّ لَسْتُ أَكْذِبُ

حِلْمًا وَعِلْمًا وَذَكَاءً وَكَرَمْ   وَٱلْبَأْسَ وَٱلْجُودَ وَحِفْظًا لِلذِّمَمْ

قَوْلًا وَفِعْلًا وَصَلَاحَ نِيَّةْ   وَهِمَّةً شَامِخَةً عَلِيَّةْ

لَا نَقْصَ فِي ٱلرَّأْيِ وَلَا ٱلْقَوْلُ سَقَطْ   لَا عَيْبَ فِي مَا جِئْتَهُ وَلَا غَلَطْ

لَقَدْ جَمَعْتَ نَجْدَةً وَلِينَا   فَلَسْتَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مُسْتَكِينَا

شَرَحْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِشَرْحِهِ   وَأَفْتَرَّ لَيْلُ مَنْطِقِي عَنْ صُبْحِهِ

قُلْتُ وَمَا ٱلْآمِرُ بِٱلصَّوَابِ   أَسْعَدَ مِنْ مُطِيعِهِ فِي ٱلْبَابِ

كَلَّا وَلَا ٱلنَّاصِحُ يَوْمًا أَسْعَدَا   بِٱلنُّصْحِ مِنْ قَابِلِهِ مُجْتَهِدَا



خَاتِمَةُ ٱلنَّاظِمِ

تَمَّ ٱلْكِتَابُ وَٱنْقَضَتْ أَبْوَابُهُ ... كَٱلدُّرِّ إِذْ يُزْجِي بِهِ سَحَابُهُ
بَادٍ لِكُلِّ فَاضِلٍ صَوَابُهُ ... مُؤَدِّبًا إِنْ قُبِلَتْ آدَابُهُ
بِسَعْدِ مَجْدِ ٱلْمُلْكِ دَامَ مُلْكُهُ ... فَوَصْفُهُ دُرٌّ وَنَظْمِي سِلْكُهُ
حَرَزْتُ فِي عَشْرِ لَيَالٍ عَقْدَهُ ... وَلَمْ أُطِقْ حَتَّى ٱسْتَعَنْتُ جَدَّهُ
نَعَمْ وَلَوْ أَنِّي وَقَفْتُ ٱلنَّفَسَا ... عَلَيْهِ لَا غَيْرُ لَكَانَتْ خَمْسَا
وَلَسْتُ مِنْ فَضَائِلِي أَعُدُّهُ ... فَإِنَّمَا سَهَّلَ ذَاكَ سَعْدُهُ
لَمَّا غَدَا بَعِيدُهُ قَرِيبَا ... رَأَيْتُ ذَاكَ عَجَبًا عَجِيبَا
وَقُلْتُ إِنَّ دَوْلَةَ ٱلْمُشَيِّدِ ... وَجَدُّهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُسْعِدِ
فَإِنَّنِي لَوْ رُمْتُ رَدَّ أَمْسِ ... بِسَعْدِهِ عَادَ بِغَيْرِ حَبْسِ
لَوْ رُمْتُ حَبْسَ ٱلْفَلَكِ ٱلدَّوَّارِ ... وَرَدَّ صَبْغِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْبَحْرُ لَوْ رَدَدْتُهُ عَنْ مَدِّهِ ... وَٱلدَّهْرُ لَوْ مَنَعْتُهُ عَنْ قَصْدِهِ
لَكَانَ ذَاكَ أَيْسَرَ ٱلْأَشْيَاءِ ... وَنِلْتُ مِنْ غَايَتِهِ رَجَائِي

باب

ٱلْحَمَامَةِ وَٱلثَّعْلَبِ وَمَالِكِ ٱلْحَزِينِ (١)

وَهُوَ

بَابُ مَنْ يَرَى ٱلرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ

« قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا هَذَا ٱلْمَثَلْ وَعَيْتُهُ فَبَيِّنَنْ سُوءَ ٱلْعَمَلْ »

« فِي مَنْ يَرَى ٱلرَّأْيَ ٱلسَّدِيدَ ٱلصَّائِبَا لِغَيْرِهِ إِذَا أَتَاهُ طَالِبَا »

« وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ ٱلصَّوَابَا قَالَ لَعَمْرِي ذَاكَ مَا أَصَابَا »

« فَإِنَّهُ لَمْ يَلْقَ إِلَّا ضَرَرَا وَقَدْ رَوَى لِيَ ٱلثِّقَاتُ خَبَرَا »

« حَكَوْهُ عَنْ مَالِكٍ ٱلْحَزِينِ أَلطَّائِرِ ٱلْمَعْرُوفِ بِٱلْبَلَشُونِ »

« وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ ٱلْوَرْقَاءِ وَٱلثَّعْلَبِ ٱلْمَشْهُورِ بِٱلدَّهَاءِ »

« قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ قَالَ نَقَلَا خِلٌّ حَكِيمٌ لِيَ هَذَا ٱلْمَثَلَا »

« فَقَالَ لِي قَدْ كَانَ لِلْحَمَامَهْ عُشٌّ بِأَعْلَى نَخْلَةٍ فِي رَامَهْ »

---

(١) ليس هذا الباب منظوماً في الأصل والذي اراهُ ان الناسخ اغفله لا الناظم فالذي نظم الكتاب كلهُ في عشر ليال لا يعجز عن هذا الباب الوجيز وقد نظمته كي لا يبقى غريباً

«تبنيهِ مِنْ بعدِ عناً وتعبِ   وكلفةٍ شديدةٍ ونصبِ»
«لأنَّ ذي النخلةَ كانتْ عاليهْ   غصونُها إلى السحابِ راقيهْ»
«ثمَّ إذا ما فرغتْ وباضتْ   حضنتِ البيوضَ حتى انقاضتْ»
«ثمَّ إذا ما أدركتْ صغارُها   من بعدِ أنْ طالَ لها انتظارُها»
«أتى إليها ثعلبٌ قد عرفا   في أيِّ وقتٍ بيضُها قد نقفا»
«وصاحَ من أسفلِ تلكَ النخلهْ   حمامةَ الدوحِ اسمعي لي جملهْ»
«إرمي الفراخَ ليَ أوْ أرقى فلا   يقيكِ شرّي غيرُ مبدعِ الملا»
«إنّي إذا ارتقيتُ لستُ أنحدرْ   حتى تصيري عبرةً للمعتبرْ»
«فتجزعُ الحمامةُ الوديعهْ   منهُ وترميها لهُ مطيعهْ»
«فبينما الورقاءُ ذاتَ مرّهْ   في عشّها تبدي الجوى والحسرهْ»
«وكانَ إذْ ذاكَ لها فرخانِ   قد أدركا كلاهما حلوانِ»
«وإذْ أتى مالكُ الحزينْ   رأى الأسى في وجهها يبينْ»
«فقالَ لِمْ أنتِ بسوءِ حالِ   كئيبةٌ كثيرةُ البلبالِ»
«فأخبرتهُ بالذي تلقاهُ   من ذلكَ الثعلبِ معْ دهاهُ»
«فقالَ هذا الخطبُ ليسَ خطبا   وكفّهُ سهلٌ وليسَ صعبا»
«متى أتى وقالَ مثلَ ما سبقْ   فلا تخافي شرّهُ وإنْ برقْ»

« وَإِنَّمَا قَوْلِي لَهُ لَا أُلْقِي — إِلَيْكَ فَرْخِيَّ كَاضِي حُمْقِي »

« فَارْقَ إِلَيَّ لَا تُبَالِ بِالْخَطَرْ — مَنْ لَمْ يُخَاطِرْ لَمْ يَنَلْ قَطُّ وَطَرْ »

« فَإِنْ بَلَغْتَ سَالِمًا إِلَيَّا — وَنِلْتَ عُشِّي آكِلًا فَرْخَيَّا »

« أَطِرْ إِذَا نَاجِيَةً بِنَفْسِي — طَالِبَةً فِي الْبُعْدِ عَنْكَ أُنْسِي »

« وَعِنْدَمَا عَلَّمَهَا مَا قَالَا — مِنْ حِيلَةٍ سَتَخْذُلُ الْمُحْتَالَا »

« طَارَ بَعِيدًا وَاعْتَلَى وَارْتَفَعَا — ثُمَّ عَلَى شَاطِىءِ نَهْرٍ وَقَعَا »

« وَأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ ثُمَّ وَقَفَا — وَقَالَ مِثْلَ مَا ذَكَرْنَا آنِفَا »

« فَهَدَّدَتْ وَرْقَاؤُنَا وَاحْتَدَمَتْ — ثُمَّ أَجَابَتْهُ بِمَا تَعَلَّمَتْ »

« فَقَالَ قُولِي لِي مَنْ لَقَّاكِ — هٰذَا الْجَوَابَ وَبِهِ نَجَّاكِ »

« قَالَتْ لَهُ فَرْخُهَا بِبَيْنْ — عَلَّمَنِي مَالِكٌ الْحَزِينْ »

« فَأَعْمَلَ الثَّعْلَبُ فَرْطَ الْمَكْرِ — وَأَمَّ مَالِكًا لِقُرْبِ النَّهْرِ »

« فَقَالَ يَا مَالِكُ أَيْنَ تَجْعَلُ — رَأْسَكَ إِنْ هَبَّتْ عَلَيْكَ شَمْأَلُ »

« قَالَ وَرَائِي قَالَ أَيْنَ تَضَعُهْ — إِذَا أَتَتْ رِيحُ الْجَنُوبِ تَصْفَعُهْ »

« قَالَ شِمَالًا قَالَ أَيْنَ تَسْتُرُهْ — إِنْ هَبَّتِ النَّكْبَا وَكَادَتْ تَبْتُرُهْ »

« قَالَ لَهُ تَحْتَ جَنَاحِي حَالَا — أَسْتُرُهُ وَأَتَّقِي الْوَبَالَا »

« قَالَ لَهُ ذٰلِكَ لَيْسَ يُمْكِنُ — قَالَ بَلَى وَإِنَّهُ لَهَيِّنُ »

« قَالَ لَهُ فَأَرِنيهِ فِعلاَ إِنَّكَ قَدْ سَلَبْتَ مِنِّي ٱلْعَقْلاَ »
« يَا مَعْشَرَ ٱلطَّيْرِ لَقَدْ فَضَّلَكُمْ رَبِّي عَلَينَا بِٱلذَّكَا جَمَّلَكُمْ »
« فَهِمتُمُ فِي زَمَنٍ قَلِيلِ مَا نَحْنُ لاَ نَفْهَمُهُ فِي جِيلِ »
« فَأَرِنِي بِٱللهِ كَيفَ تَفعَلُ هٰذَا إِذَا فَعَلْتَ أَمْرٌ يُذْهِلُ »
« فَأَدْخَلَ ٱلطَّائِرُ حَالاً رَاسَهُ تَحْتَ جَنَاحَيْهِ بِلاَ فِرَاسَهْ »
« فَوَثَبَ ٱلثَّعلَبُ غَيْرَ مَهِلِ عَلَيهِ وَٱخْتَطَفَهُ بِٱلْعَجَلِ »
« ثُمَّتَ قَالَ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ وَمَنْ أَزَالَ سَعْدَهُ بِنَحْسِهِ »
« تَرَى سَدِيدَ ٱلرَّأْيِ لِلْوَرْقَاءِ تُنْقِذُهَا بِٱلْمَكْرِ وَٱلدَّهَاءِ »
« وَلاَ تَرَى لِنَفْسِكَ ٱلآرَاءَ لِتُبْعِدَ ٱلْخُصُومَ وَٱلأَعْدَاءَ »
« سُحْقًا وَيَا وَيْحًا له ذَكَاءَ إِنْ كُنْتَ لَمْ تُزِلْ بِهِ ٱلْبَلاَءَ »
« وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى ٱلْكَلاَمَ قَتَلَهْ عَضًّا وَضَرْبًا بِٱلثَّرَى وَأَكَلَهْ »
« فَلْنَسْأَلِ ٱلرَّحْمَانَ ان نَكُونَا لِمَا أَمَرْنَا ٱلْغَيْرَ فَاعِلِينَا »
« مُنْتَصِحِينَ بِٱلَّذِي نَصَحْنَا فَإِنْ نَكُنْ كَذَا فَقَدْ نَجَحْنَا »

إِنْتَهَى



تنبيه

لقد اصلحت في هذا الكتاب ما اصلحت ونظمت ما رأيته خالياً منه وانا بين عوامل اشغال جمة تتنازع اوقاتي فلا تدع لي منها الا النزر القليل فان كان قد طاش سهمي او زلت قدمي فالمطالع كريم يعفو عما هفوت وسقطت ويغض الطرف عما يراه من ركيك الكلام وواهن التعبير وان دلته اصابة رأيه الى خطأ عثر عليه فنبهني اليه فانا له من الشاكرين لأنَّ لي في هذا النظم رجعة الى الاصلاح فاثقف ما اعوجَّ من كلامي واشدد ما وهن علّه يجيئ كنثره تحفة مستظرفة · والله اسأل ان يجعله مفيداً لمطالعه انه خير من سئل

فهرس لتفسير الغريب من الالفاظ

عند قبره فلا تُعلف ولا تُسقى حتى تموت . وعلى ذلك القول : بلي التدبير اي انه ترك امر النظر في العواقب واهمله كما تهمل الناقة المذكورة

بُهِتَ : دُهش وتحير

حرف التاء

أَلتَدْرُج : طائر حسن الصورة ارقش وهو شبيه بالدرّاج وقيل هو الحجل وقيل السماني

الأَتراب : جمع تِرب وهو اللدة والسن ومَن وُلد معك

تفِهَ : الشيء خسَّ

المتالف : جمع متلفة وهي المفازة

حرف الثاء

الثبْت : الثابت

تثبَّتَ : في الأمر تأنى فيه

الثراء : الغنى وكثرة المال

ثقفه : قوَّمه

ثابَ : رجع بعد ذهاب

حرف الجيم

الجُبار : السيل او فنآء المقبرة وهما عديا الشفقة فالاول يجرف كل ما يصادفه لا يلوي على شيء والثاني لا يحنو لما يرى من كثرة البكاء

الجبلّة : الخلقة والطبيعة

جَبَهَهُ : لقيه بما يكره

الجُحْر : كل مكان تحتفره الهوام والسباع لانفسها

الجدار : الحائط

الجريّ : من اسما الاسد

جزَفَ : الشيء باعه واشتراه بلا وزن ولا كيل

تُجفّةٌ : اراد بها تجففه ولم اجد أَجفَّ بمعنى جفّف

الجَلْد : الرجل الجلد اي الشديد القوي

الجَلْف : الرجل الجافي

الجنوب : ريح تخالف الشمال

جَنَح : مالَ

الجنازة : الميت ويُفتح او بالكسر الميت او السرير مع الميت ومن يشيعه وبالفتح السرير

الجَنَف : الميل الى الجور

الجَنّة : الحديقة

الجُنّة : السترة وكل ما وقى من سلاح
الجِهاز : جهاز الميت والعروس والمسافر هو ما يحتاجون اليه
الجَور : الظلم
الجوّاس : الطالب الشيء بالاستقصاء
اجتوى : المكان كره المقام فيه وان كان في نعمة
: الهوى الباطن والحرقة وشدّة الوجد من عشق او حزن

حرف الحآء

الحِجْر : العقل سمي به لانه يحجر صاحبه عما لا ينبغي
الإِحجام : الكفّ والنكوص هيبة
الحِدَأَة : طائر يصطاد الجرذان ويعرف عند العامة بالشوحة
حرَبَه : سلبه وتركه بلا شيء
المِحْرَب : الشديد الحرب الشجاع
الحارث : ابو الحارث كنية الاسد
الحَرَد : الغضب
حرَقَ : نابهُ سحقه حتى سمع له صريف
الحُرمة : ما لا يحل انتهاكه
حزَبَ : الامرُ اشتدّ

الحسبة : الاجر والثواب
احتسبَ : بكذا اجرًا عند الله اعتدّه ينوي به وجه الله
الحصيف : المستحكم العقل
المحاضر : جمع محضر وهو السجلّ وخطّ يكتب في واقعة وخطوط الشهود في آخره بصحة ما تضمنه صدره
حضنت : الحمامةُ بيضها ضمّنه تحت جناحيها ورخمت عليه للتفريخ
الحُطام : ما في الدنيا من مال قليل او كثير
الحفاظ : المراعاة
حَفَا : البرقُ لمع ضعيفًا معترضًا في نواحي الغيم
الحِقاق : المخاصمة
الحَلْي : ما يزين به من مصوغ المعدنيات او الحجارة والحُليّ جمع
الحنادس : جمع حندِس اي الظلمة
حاورَ : حادَث
الحوّل : الشديد الاحتيال
حاف : يحيف جارَ وظلم

الحوّآء : اراد به صاحب الحية الذي يرقيها ويحملها للتفرجة ولم ارَ له هذا المعنى في كتب اللغة

حرف الخآء

الخَبّ : الخبيث الخدّاع

الخَبّاز : صانع الخبز والمراد به الخنزير كما يتبين مما يليه اذ يقول : وضرف الخنزير الخ

الخَبَال : الفساد والشر

الختل والمخاتلة : الخداع

الخاتون : كلمة اعجمية للمرأة الشريفة وهي من لغة التتر تُلقب بها نساء الملوك عند العرب

الخادر : اسد خادر اي مقيم في الاجمة

الخرْق : ضد الرفق وضعف الراي والجهل والحمق

الخسف : الذلّ

الخصلة : الفضيلة والرذيلة او قد غلب على الفضيلة وقيل الخصلة لا تكون الا في المدح والخلة تكون في الخير والشرّ

خفَتَ : الصوتُ سكن

المِخلب : ظفر كل سبع من الماشي والطائر

أخلَفَ : الوعدَ لم يفهِ

خَلِق : الثوبُ بلِيَ

الاخلاق : جمع خُلق وهو السجية والطبع

الخُوَان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل

خاس : كذب وبالعهد غدر

خام : عنه نكص وجبُن

الخِيم : الطبيعة والسجية

حرف الدال

دَبَّ : بالشرّ سعى

المدبِر : في قوله ثم ادّخار اللحم قول المدبر اسم فاعل من أدبر فلان اذا صار ذا مال كثير

دَثَرَ : درس وانمحى

الدَّدَن : اللهو واللعب

الدُّسوت : جمع دست وهو صدر البيت والمجلس

الدَّشت : الصحرآء

الدَّامل : الشافي

تدنّي : اقترب قليلاً قليلاً

دهِمَه : فاجأه

دَاهَنَ : غشّ واظهر خلاف مايضمر

المدهن : المنافق

حرف الذال

ذبذَبَ : تردّد

الذَرع : الخُلق وضاق ذرعه اي ضعفت طاقته

أَذعنَ : ذَلّ وانقاد

الذَكاء : حدّة الفؤاد وسرعة الفطنة

الذَود : من الإِبل ما بين ثلث الى الثلاثين وقولهم الذود الى الذود إِبل مثل يريدون به القليل من الإِبل اي اذا اضيف القليل الى القليل يصير المجموع كثيرًا

ذوى : ذبُلَ

حرف الراء

الاسترسال : حسن الثقة بالصديق والاستئناس به

الرُقية : العوذة

رنق : الماء كدر

الرَهط : قوم الرجل وقبيلته

أرهقه : حمّله ما لا يطيق

المرهق : المضيق عليه ومن أُدرك ليقتل

الرَوح : الراحة

الروائح : جمع رائحة وهي الامطار والسحب التي تجيء في الرواح اي العشي و يقابلها الغوادي

الرَوزنة : الكوّة

الرُوع : القلب او موضع الفزع منه

روّى : في الامر تثبّتَ

ارتاد : طلب

الرَيد : الحرف الناتيء من الجبل

رام : عنه يريم تباعدَ

حرف الزاي

الزُبية : حفرة يصاد بها الذئب او الاسد والزُبى جمع

الزَجر : الكهانة اي بالقضآ بالغيب

الزُخرُف : الزينة

المزرِئة : ما يحطّ من القدر

الزُلفة : القرب والمنزلة

الزمازمة : احدى طوائف الفرس

اُزَنّ : اُتّهم

الزَور : وسط الصدر او ما ارتفع منه الى الكتفين او ملتقى اطراف عظام الصدر

حرف السين

السبخ : ذو السباخ وهو ما لم يُحرَث من الارض

أَسْجَحَ : أحسن العفو

سخال: جمع سخلة وهو ولد الشاة ذكرًا كان او انثى

السخيمة: الضغينة والموجدة في النفس

السديد : الصواب

سدِم : الرجل بالشيء لهج به

السدَم: الغيظ مع حزن والهم مع ندم

السرَب : الحفير تحت الارض

السرْقان : السرقة

السفرة : طعام المسافر

السفط : وعآ كالقفة واسفاط جمع

أسفّ : الطائرُ دنا من الارض في طيرانه حتى كادت رجلاه تصيبانها

السَلَمَة : واحدة السَلَم وهو شجر من العضاه يُدبغ به

السماد : الزبل

سمير : إبنا سمير الليل والنهار

السِماك : اراد به واحد السماكين وهما كوكبان نيّران احدهما في جهة الشمال ويقال له السماك الرامح والآخر في الجنوب ويقال له السماك الاعزل

سَنَّ السُنَّةَ : وضع الشريعة

السنام : حدبة في ظهر البعير

الإسوار : الجيد الرمي بالسهام

سورةُ : الغضب شدّته

السوط : ما يُضرب به من جلد مضفور او نحوه

السوقة: الرعية من الناس تحت سياسة الولاة (وسموا سوقة لان الملك يسوقهم و يصرفهم الى ما شاء من امره لا لانهم من اهل السوق كما تزعم العامة

سِيَةُ : القوس ما عطف من طرفيها

حرف الشين

الشرَّة : الشرّ

اشرف : الشيء علا وارتفع

اشتطّ : تباعد عن الحق وقال شططًا اي قولاً بعيدًا عن الحق مفرطًا في الظلم

شعوب : اسم للمنية

اشفق : منه خاف وحاذر

الشِلو : الجسد من كل شيء وكل مسلوخ اكل منه شيء وبقيت منه بقية

الشَمْأَل : ريح الشمال

الشَنِع : ذو الشناعة

المشوب : الممتزج

شايحَ : الرجلُ قاتل

المَشيمة : محل الولد تخرج معه عند الولادة

حرف الصاد

صدَفَ : عن الشيء اعرض وصدّ

الصُغر : الذل

الصفقة : عقد البيع

صَفَنَهُ به : ضربه به

صكَّ : ضرب شديداً

الأصلخ : الأصمّ لا يسمع البتة

إصطلَمَ : الشيء استأصله

الصَيلَم : الامر الشديد والداهية

اصطلى : تدفّأ

الصنج : الصنج ذو الاوتار آلة طرب مختصة بالعجم وهو معرّب جنك بالفارسية

الصندل : شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز يحمل ثمراً في عناقيد وله حب اخضر

الصِيال : الوثوب على العدو لقهره

حرف الضاد

الأضبارة : الحزمة

الضَرب : الرجل الماضي الندب

الضِرب : المثل

الضرائب : جمع ضريبة وهي السجية

اضغاثُ : احلام هي رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها

المضطغن : الحاقد

حرف الطاء

الطَبّ : الماهر الحاذق بعمله

أطرأه : بالغ في مدحه

الطرّار : المختلس السالب

أطرَقَ : الرجلُ لم يتكلّم وفلان ارخى عينيه ينظر الى الارض

الطَغام : اوغاد الناس

طفَرَ : وثب في ارتفاع قيل الوثوب من فوق الى اسفل والطفور عكسه

المطمورة : الحفيرة تحت الارض

الطَوْل : الفضل

التطوُّل : الامتنان

حرف الظاء

الظَنين : المتَّهم والمعادى لسوء ظنه وسوء الظن به

الظِنة : التهمة

حرف العين

العَبّ : شرب الماء بلا تنفس

العدْو : من قوله في عدْو خصميه معناه منافاة الالتئام

عذَلَ : لامَ

العرّ : الجرَب

عرس : ابن عرس دويبَّة كالفارة

العِراص : جمع عرصة وهي ساحة الدار

اعرضَ : عنه اضربَ وصدّ

العَريض : من المَعَز ما اتى عليه سنة وتناول النبات بعُرض شدقه

العُرْف : المعروف والجود واسم ما تبذله وتعطيه

الأعراق : الاصول جمع عِرق

العسيف : الاجير والعبد

العلجوم : طائر ابيض

الأعلاق : جمع عِلق وهو النفيس من كل شيء

تعمَّل : لكذا تكلف العمل

العَنَت : الوقوع في امر شاقّ

العنصر : الاصل والحسب

اعتنّ : له الشيء ظهر له واعترض

عناه : الامرُ شغله واهمه

عنيّ : آذى واتعب

المعاد : الآخرة

استعاذ : به اعتصم ولجأ به منه

العاهة : الآفة

العاب : اسم بمعنى العيب

عالَ : صبرُه وعِيل غُلب

العين : الذهب والجاسوس ولها معان شتى

حرف الغين

غبط : فلانًا حسده وتمنى مثل حاله من غير ان يريد زوالها عنه

الغَدور : الغادر

الغَوادي : جمع الغادية وهي السحابة تنشأ غدوة او مطرة الغداة

غرّ : فلانًا خدَعَه واطمعه بالباطل

الغِرّ : الشاب لا تجربة له

الغرم : الغرامة ولزوم نائبة في مال من غير جناية

الغَشوم : الظالم

الغِمر : من لم يجرّب الامور والجاهل

غوى : ضل

مغيرة : يقال ارض مغيرة اي مسقية ولم أرَ لهذه اللفظة في كتب اللغة معنى يصح ان تتناوله جنى بسائر معانيها

الغِيلة : الخديعة والاغتيال وقتله غيلة اي خدعه وقتله

الغِيل : الأجمة وموضع الاسد

حرف الفاء

فَتنه : اعجبه

فحّص : فحص وشدّد للمبالغة

افحمه : اسكته بالحجة في خصومة او غيرها

الفراسة : التثبت في الامور والاستدلال بالامور الظاهرة على الامور الخفية وعلم الفراسة (وهو المراد بقوله : تستخرجون بالزجر والفراسة) علم بقوانين يعرف بها الامور الخفية بالنظر في الامور الظاهرة وموضوعه العلامات والامور الظاهرة في بدن الانسان

الفرسِن : هو للفيل والبعير كالقدم للانسان والحافر للدابة

فُضِح : كُشفت مساوئه

الفُضول : جمع فضل ضد النقص وقد استُعمل الجمع استعمال المفرد في ما لا خير فيه

فغر : فتح

الفاقرة : الداهيه

الفَلّ : الجماعة

فالٍ : اسم فاعل من فلى الأمرَ اذا تأمل وجوهه ونظر الى عاقبته

الفَهد : حيوان من السباع ضيق الخلق شديد الغضب ذو وثبات بعيدة كثير النوم قيل هو متولد من الاسد والنمر

فآء : رجع

فاضت : روحه خرجت

فالَ : رايه اخطأ وضعف

حرف القاف

قبس : النار اخذها شعلة

اقتر : الرجل قلّ ماله وافتقر

الأقتال : جمع قِتل وهو العدوّ

المُقاتلة : الذين ياخذون في القتال والتآ للتأنيث على تأويل الجماعة

قحل : يبس

المِقدار : في قوله فان يكن قد وافق المقدار اراد به القضآء والقدر ولم أرَ له هذا المعنى

القارح : من ذي الحافر الذي شق نابه وطلع وهو في السنة الاولى حوليّ ثم جذع ثم ثنيّ ثم رباعٍ ثم قارح

قرطس : الرامي اصاب الغرض

القرن : النظير

انقاضت : البيضة انكسرت

حرف الكاف

الكؤود : عقبة كؤود اي صعبة شاقة المصعد

الكتائب : جمع كتيبة وهي القطعة من الجيش

الكاشح : المضمر العداوة

الكفيف : الاعمى

الأكلف : من اسمآ الاسد

الكلفة : المشقة

الكلّ : التعب والمصيبة والثقل والضعيف وهو يُطلق على الواحد وغيره

الكلام : جمع كَلْم وهو الجرح

الكُند : الشرس الشديد

الكنود : الذاكر السيئة الناسي الحسنة

الكُنْه : جوهر الشيء وقدره ووجهه وحقيقته

الكَيس : خلاف الحمق والعقل

الكياسة : الفطنة

استكان : له ذلّ وخضع

حرف اللام

اللؤم : واللوم ضد الكرم ولؤم يلؤم ضد كرم وكان دنيء الاصل شحيح النفس

اللأوآء : الشدّة والمحنة

اللَبِك : امر لبِك اي ملتبس

ألحَف : في السؤال ألحّ

لحى : فلانًا لامه وسبّه وعابه

اللَدود : الشديد الخصومة

تلدَّد : الرجلُ تلفت يميناً وشمالاً وتحيّر

اللَغط : الجلبـة او اصوات مبهمة لا تفهم

اللغى : جمع لغة

الملاذ : الحصن والملجأ

تلوَّم : في الامر تمكث فيه وانتظر

حرف الميم

المؤونة : الثقل والشدة

مذقَ : الودَّ لم يخاصه

المَرْخ : شجر سريع الوَرْي يُقتدح به

التمريخ : الدهن بالمروخ

المرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس الفرس

المريع : الخصيب

المارق : الخارج من الدين ببدعة او ضلالة ويستعمل للخارج على ملكه

مشَّشَ : العظمَ استخرج منه المخ

المصاع : القتال والجلاد

المِنَن : جمع مِنَّة وهي الاحسان

المُنَّة : القوّة

مَهَدَ : كسب وعمل

المُوق : الحمق في غباوة

المائن : الكاذب

حرف النون

النآد : الداهية

أنجبَ : الرجلُ ولد اولاداً نجباء

النَجر : الاصل والحسب

النَدْب : الخفيف في الحاجة الظريف لانه اذا ندب اليها خفَّ لقضائها

النيروز : اول يوم من السنة الشمسية وهو معرَّب نوروز بالفارسية ومعناه يوم جديد

الناسور : عرق غبر في باطنه فساد كلما برئ اعلاه رجع غبراً فاسداً

النُضار : الذهب او الفضة

نفِد : فني وفرغ

النكباء : ريح تدور بالبيت فلا يتعيَّن لها مهب

النكال : اسم ما يجعل عبرة للغير

النَمير : الماء العذب

المنهج : الطريق الواضح

النوَب : جمع النوبة وهي المصيبة
النيلوفر : نوع من الرياحين ينبت في المياه الراكدة له اصل كالجزر وساق املس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى راسه سطح الماء اورق وازهر واذا بلغ يسقط عن راسه ثمر داخله بزر اسود

حرف الهاء

الهبَّال : الكاسب المحتال
الهجر : القبيح من الكلام والافحاش في النطق
هرَف : به مدحه بلا خبرة
الهمج : من الناس الرعاع
الهامِش : حاشية الكتاب
الهمام : الملك العظيم الهمة والسيد الشجاع السخي
الهميان : ما يجعل فيه الدراهم ويشد على الحقو
الأهوَج : الاحمق
الهون : الخزي

حرف الواو

الموئل : الملجأ
الوبال : سوء العاقبة
الوِتر : الثأر
وحف : اسرع
الوحي : السريع
الوَزَر : الملجأ والمعتصم
الوَصَب : المرض والوجع الدائم
استوصف : الطبيب لدائه سأله ان يصف له ما يتعالج به
الصلة : العطية والاحسان
وَضَحَ : يضح بان وانجلى
اوغرَ : صدر فلان احماه من الغيظ
اوفى : عليه زاد
الوِقر : الحمل واوقار جمع
الوقيذ : السريع
ومض : البرقُ لمع خفيفاً
المِقة : المحبة

حرف الياء

اليراعة : ذبابة تطير في الليل كأنها نار

تمّ

فهرس الكتاب

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صواب
٤	١٥	محمد واحمد الجلال	جلال الدين حسن المعروف بالنقاش وضع كتابه سنة ٨٢٨ هجرية
٨	١٢	أنعامه	إنعامه
٨	١٥	جِوارح	جَوارح
٩	٠٢	مثلَه	مثلُه
٩	٠٥	ابّان	آبان
١٠	٠٤	أخرهم	آخرهم
١٠	٠٥	نظمث	نظمت
١٠	٠٦	خدمتَه	خدمتُه
١٠	٠٧	انفذتَه	انفذتُه
١٠	١٥	انالَ	انالُ
١١	٠٢	آلفيلسوف	ألفيلسوف
١٢	٠٨	أُوتيت	أُوتيت
١٤	٠٤	غبيّ	غبيّ
١٤	٠٦	المَسمار	المِسمار
١٥	٠٢	صاحبَه وجهدة	صاحبُه وجهدُه
١٥	٠٣	واكبرة	واكبرهُ
١٥	٠٦	حسبهُ ۰ كربهُ	حسبهْ ۰ كربهْ
١٦	١٢	جِهلهم	جَهلهم

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٧	٠٨	اظيلُ	اطيلَ
٢٠	١٤	صطفيا	مصطفيا
٢٢	١٥	النطر	النظر
٢٣	٠٤	وقربهِ	وقربهُ
٢٣	١١	اكونَ	اكونُ
٢٦	٠٥	وُالزهد	وَالزهد
٢٧	١١	اشرْ	اشرّ
٣٠	٠٤	وكلُّ	وكلّ
٣٤	١٣	امام	اقام
٣٩	١٠	مَحلَةُ	مَحَلَّةُ
٤٢	٠٣	الاسم	الِاسم
٤٣	١١	يحقرَ	يحقرِ
٤٩	١٣	بلدةِ	بلدةً
٥٠	١٠	تَريد	تُريد
٥١	١٠	وَالِةً	وَالِهَةً
٥٥	٠٥	ابنُ	ابنِ
٥٥	٠٩	عِش	عُش
٥٦	١٢	بِكره	بُكره
٥٨	٠٧	قدْ	قدِ
٥٧	١٣	فعل	وَفعل
٥٨	١٣	وقالتْ	وقالتَ
٥٩	٠٤	قالتَ	قالتْ

صفحة	سطر	غلط	صواب
٦٢	١٢	يشكْ	يشكّ
٦٢	١٤	للسّمك	للسّمك
٦٤	٠٧	يرَى	يرَ
٦٦	٠٦	الخبيت	الخبيث
٦٨	٠٥	ليخذعه	ليخدعه
٧٠		قال فيّ رآيه	قال فيّ رايُه
٧٩	٠١	الامر الملوكُ	امر الملوكِ
٨٢	١٢	وَستُوِينَ	وَستَرَينَ
٨٣	٠٢	انتِ	انتَ
٨٨	٠٤	الصبْا	الصّبا
٩٠	٠١	فقال	فقالا
٩١	١١	عِش	عُش
٩١	١٤	تَضع	تُضع
٩٥	١٤	لمّا	لمَا
٩٨	٠٨	شرّكا	شرّكا»
٩٩	٠٤	ونَصحه	ونُصحه
١٠٢	٠٣	اجهد	اجهل
١٠٤	٠٩	بالاتفاق	بالِاتفاق
١٠٥	٠٢	بيديهُما	بيديهِما
١٠٥	١٤	صنَعته	صنْعته
١٠٧	٠٦	إساآه	إساءة
١٠٧	١١	يَصلِ	يُصلَ

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٠٨	١٢	فَبَهُتَ	فَبُهِتَ
١٠٨	١٥	الُعالم	الْعالم
١٠١	٠٨	افَكا	افِكا
١١٣	١٣	مشو به	مشو به
١١٥	٠٤	منها	منه
١١٦	١٣	ابقُوا	ابقَوا
١١٧	٠٦	في ليلة مظلمة ليلآء	في حلمه في اللَيلة الدهماء
١٢٠	١٠	التشبثا	التثبتا
١٢٢	١٣	فَشَوَوا	فثَوَوا
١٢٣	١٦	طالحةٌ	طالحةً
١٢٤	٠١	اقابلُ المَنسرا	اقابلِ المُسرا
١٢٤	٠٧	دمنةٍ	دمنةٍ
١٢٨	١٥	رعبت	رغبت
١٣٢	٠٥	بالمُصائب	بالمَصائب
١٣٥	٠١	كَلاهما	كِلاهما
١٣٧	١١	وجهُه	وجَهه
١٣٨	٠١	سوء	سوء
١٣٩	٠٦	فأسمع	فأسمع
١٤١	١١	ثراً	ثرآ
١٤٤	٠٨	ألاحتيال	الِاحتيال
١٤٨	٠٧	به	بهم
١٥١	١٣	لي	ليَ

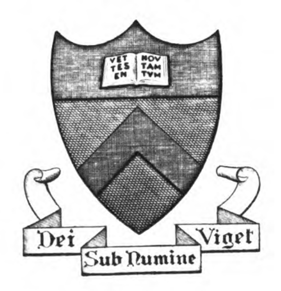
صفحة	سطر	غلط	صواب
١٥١	١٦	الكُراكي	الكَراكي
١٥٦	٠٦	يَفلَح	يُفلِح
١٦٢	٠٧	أُريد	أَريك
١٦٣	٠١	فيُعطب	فيَعطب
١٦٣	١٠	اهلُ الغيرة	اهلَ الغَيرة
١٦٤	٠٣	كنؤا	كفُّوا
١٦٤	٠٤	انْ	انَّ
١٦٥	١٠	بينكمُ	بينكمْ
١٦٦	١٤	يوماً	بوماً
١٦٩	٠١	بالنَّفط	بالنِفط
١٦٩	١٣	يسال	ينال
١٧٣	١٢	إد	إذ
١٧٣	١٤	للصّد	للضّد
١٧٨	٠٨	مروّةُ	مروءةَ
١٧٩	١٥	المحاتله	المخاتله
١٨١	٠٤	محمّاً	محبّاً
١٨٦	٠٩	اخدعهُ	اخدعَه
٢٠٥	١٠	الفرقُ	الفرقَ
٢٠٧	١١	فعاجز	ففاجر
٢٢٥	١٤	فرحاً	فرجاً
٢٣٠	١٤	والشكل	والثكل
٢٤٥	١٥	يكونا	يكونَ

صفحة	سطر	غلط	صواب
٢٤٦	١٠	لكيما	لكيما
٢٥٤	٠٧	أصلبوه	أصلبوه
٢٦٣	٠٩	أتيتما	أوتيتما
٢٦٧	١٠	تبغي	تبغ
٢٦٩	١٣	انتشار	انتشار
٢٧٢	٠٩	بالبلثون	بالبلشيوك
٢٧٢	٠٥	نقفا	تقفا

وقد بقيت اغلاط اخر لا تخفى على المطالع اللبيب




DEI·SVB·NVMINE·VIGET


Dei
Sub Numine
Viget



